

الإيمان بالله جل جلاله

الدكتور علي محمد محمد الصلابي

دار المعرفة
بيروت - لبنان

الإيمان بالله جل جلاله

سلسلة أركان الإيمان - 1 -



قال تعالى:

(ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) (التغابن، آية ١١)

تأليف

د. علي محمد الصلابي

دار المعرفة
بيروت. لبنان

ISBN: 9953-85-209-X

الطبعة الأولى
1432 هـ ـ 2011 م



جسر المطار شارع البرجاوي • هاتف: ٨٣٤٣٠١ـ٨٣٤٣٣٢
فاكس: ٨٣٥٦١٤ • ص.ب: ٧٨٧٦ ـ بيروت ـ لبنان
Airport Bridge Birjawi Str. • Tel: 834301-834332
Fax: 835614 • P.O.Box: 7876 Beirut - Lebanon
Email: info@marefah.com • www.marefah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهداء

إلى كل إنسان في الوجود يبحث عن الطريق لمعرفة الله

والإيمان به وتحقيق عبوديته الشاملة على المنهج الصحيح

أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى ﷻ بأسمائه الحسنى

وصفاته العلا أن يكون خالصاً لوجهه الكريم

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110]

د. علي محمد محمد الصلابي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمرَان: 102].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء: 1].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: 70، 71].

يا رب، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى.

أما بعد:

فهذا الكتاب يتحدث عن الخالق العظيم والرازق الكريم، الفعّال لما يريد، الكريم المنّان، الواسع العليم، الذي رأيت من خلال مسيرتي في عالم التاريخ عظمته في الحياة، وفي قيام الدول وزوالها، وانتشار الحضارات واندثارها، وعز الحكومات وإذلالها وقصص الناس، وفي مخلوقاته العجيبة الغريبة، وفي هذا الكون الفسيح وحركة التاريخ.

هذا الكتاب إنما كان نِتاج هذه المسيرة، بل إحدى ثمارها حيث وجدت أن الذين آمنوا بالله العظيم واتبعوا رسوله الكريم هدى الله قلوبهم، بل زادها إيماناً، لقد عرفوا ربهم وعلموا أن الله هو التواب الرحيم ذو الفضل العظيم، العزيز الحكيم الذي ابتلى إبراهيم بكلمات، وسمع نداء يونس في الظلمات، واستجاب لزكريا فوهبه على الكِبَر يَحْيَى هادياً مهدياً، وحناناً من لدنه وكان تقياً.

الله الذي أزال الكرب عن أيوب، وألان الحديد لداود، وسخّر الريح لسليمان، وفلق البحر لموسى، ورفع إليه عيسى، ونجّى هوداً وأهلك قومه، ونجّى صالحاً من الظالمين فأصبح قومه في دارهم جاثمين، وجعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وفدى إسماعيل بذبح عظيم، وجعل عيسى وأمه آية للعالمين.

الله الذي أغرق فرعون وقومه ونجّاه ببدنه ليكون لمن خلفه آية، وخَسَف بقارون وداره الأرض، ونجّى يوسف من غَيَابات الجب وجعله على خزائن الأرض، ونصر نوحاً على القوم الكافرين، ونجّاه وأهله من الكرب العظيم.

الله الذي أضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وأسعد وأشقى،

وأوجد وأبلى، ورفع وخفض، وأعز وأذل، وأعطى ومنع.

الله الذي هدى نوحاً وأضل ابنه، واختار إبراهيم وأبعد أباه، وأنقذ لوطاً وأهلك امرأته، ولعن فرعون وهدى زوجته، واصطفى محمداً ومقت عمه، وجعل من أنصار دعوته أبناء ألد خصومه، كخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، فسبحانه عَدَدَ خَلْقه، ورضا نفسه، وزِنَة عرشه، ومَداد كلماته[1].

الله جلّ وعلا الذي جمع في هذا الوجود بين الكمال والجمال، وعنصر الجمال في هذا الكون مقصود قصداً، جمال مقصود وكمال بلا حدود، فرؤية الجمال على حقيقته لا تكون إلا حينما ينظر القلب بنور الله، فتتكشف له الأشياء عن جواهرها الجميلة وروائعها البديعة، ويتذكر الله كلما وقعت عينه أو حسه على شيء بديع، أو منظر حسن، فيحس بالصلة، ويشعر بالترابط بين المبدع وما أبدع، والجميل وما جمّل، والمحسن وما أحسن، ويرى من وراء هذا الجمال جمال الله وجلاله وكماله، والقرآن الكريم يوقظ القلوب لتتبع مواضع الحسن وآيات الجمال في هذا الكون البديع: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14]، ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ [السّجدَة: 7]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦﴾ [قٓ: 6].

وتأمل كلمة: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ﴾ إنه استفهام استنكاري لأولئك الذين لهم أعين لا يبصرون بها، وقلوب لا يفقهون بها، ولا يرون ذلك الجمال الساحر، والإبداع الأخّاذ والحسن الجذّاب الذي يدل على رب

(1) الله أهل الثناء والمجد، د. ناصر الزهراني، ص: 41.

العباد، ولذلك يكثر في القرآن الكريم الأمر بالنظر لأخذ العبرة، وللإحساس بالجمال:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 185].

وقال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: 50].

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: 20].

قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: 24 ـ 33].

وقال تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: 101].

فأين الأعين الناظرة، والقلوب المبصرة، والأذهان المتوقدة، والفطرة السليمة، والمشاعر الحية، والأحاسيس المرهفة؟ يا الله ما أروع هذا الكون وما أجمل هذا الوجود، إن المتأمل فيه يبهر بجماله، وروعة نظامه وعظمة إحكامه، كل شيء فيه جميل، ليله ونهاره، صبحه

ومساؤه، أرضه وسماؤه، بَذْرُه وشمسه، حرّه وبرده، غيمه وصحوه، أخضره وأغبره، جباله وتلاله[1]، سهوله ووديانه، بَرُّه وبحره، كل شيء جميل، وكل شيء بديع وكل شيء متقن، وكل شيء متناسق وكل شيء منتظم، وكل شيء بقدر، وكل شيء بإحكام، من الذرة الصغيرة إلى الجرم الكبير، ومن الخلية الساذجة إلى أعقد الأجسام.

انظر إلى الإنسان وروعة خلقه، وتباين أجناسه وتعدد لغاته واختلاف نغماته، فهو جلّ وعلا قد أحسن كل شيء خلقه، ومن أحسن مخلوقاته وأجملها الإنسان ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: 3] ، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: 6 ـ 8] ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: 4].

انظر إلى السماء وهيبتها والنجوم وفتنتها، والشمس وحسنها، والكواكب وروعتها، والبدر وإشراقه، والفضاء ورحابته، تأمل في السماء في ليلة حالكة وقد انتشرت فيها الكواكب وبث فيها النجوم.

انظر إلى الأرض كيف دحاها، وأخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، هذه البحار، هذه الأنهار، هذا الليل، هذا الصبح، هذا الضياء، هذه الظِّلال، هذه السُحب، هذا التناغم الساري في الوجود كله، هذا التناسق، هذه الزهرة، هذه الوردة، هذه الثمرة اليانعة، هذا اللبن السائغ، هذا الشُهد المذاب، هذه النخلة، هذه النحلة، هذه النملة، هذه الدويبة الصغيرة المجهزة بالأرجل أو

---

(1) الله أهل الثناء والمجد، ص: 66، 67.

الشعيرات أو الملامسة، والمرونة لتشق طريقها وتتعامل مع واقعها، هذه السمكة، هذا الطائر المغرد، والبلبل الشادي، هذه الزاحفة، هذا الحيوان، جمال لا ينفذ، وحُسْن لا ينتهي وقرة عين لا تنقطع[1]، ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم: 17 ـ 19].

الله سبحانه إلٰه واحد ليس له شريك، وليس له مثيل في ذاته أو صفاته، أو أفعاله، كل ما في الكون من إبداع، ونظام، وانسجام يدل على أن مبدعه ومدبره واحد، ولو كان وراء هذا الكون أكثر من مدبر وأكثر من منظم لاختلّ نظامه، واضطربت سننه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: 22].

وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عبّاد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن محبة الله والخضوع له والذل له، وكمال الانقياد لطاعته وإخلاص العبادة له وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال والمنع والعطاء والحب والبغض، وهو واحد سبحانه في ألوهيته فلا يستحق العبادة إلا هو، ولا يجوز التوجه بخوف أو رجاء إلا إليه. لا خشية إلا منه، ولا ذل إلا إليه، ولا طمع إلا في رحمته، ولا اعتماد إلا عليه، ولا انقياد إلا لحكمه[2].

---

(1) الله أهل الثناء والمجد، ص: 68، 69.

(2) المصدر نفسه، ص: 85.

الله، كل الخلق مفتقرون إليه، قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: 15].

قد يعطي الإنسان أموالاً وقد يمنح عقاراً، وقد يرزق عيالاً وقد يوهب جاهاً، وقد ينال منصباً عظيماً أو مركزاً كريماً أو زعامة عريضة، أو رياسة مكينة، قد يحف به الخدم ويحيط به الجند، وتحرسه الجيوش، ويرضخ له الناس وتذل له الرؤوس، وتدين له الشعوب، ولكنه مع ذلك فقير إلى الله محتاج إلى مولاه[1].

الله، أسعد عباده بكتابه، وأبهج قلوبهم بكلامه، وأنار بصائرهم بقراءته، أكثرهم قراءة له من أشدّهم تعظيماً له، وأقربهم منزلة منه، أقربهم من كلامه، وأقرؤهم لوحيه، كلام معجز، وقرآن مبهج، وحبل متين، ونور مبين، ينطق بالعظمة ويهتف بالإبداع، ويصدح بالألوهية ويشهد للربوبية[2].

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزُّمَر: 23].

وجود الله جلّ وعلا أمر ثابت في الأنفس، متمكن في الفطر، مزروع في الأذهان، مغروس في الأفئدة لا يحتاج إلى دليل ولا يتطلب إثباتاً، ولا يفتقر إلى تأكيد.

---

(1) الله أهل الثناء والمجد، ص: 126، 127.

(2) المصدر نفسه، ص: 490.

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل[1]

ولكن بعض ذوي الفطر المنكوسة والأنفس المريضة، والعقليات المتعنتة قد يجادلون في ذلك مع أنه مغروس في حقيقة ضمائرهم ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: 14].

وجاء القرآن الكريم مزدهراً بآيات تنطق بالعظمة وتشهد بالربوبية، تسُر أنفس الواثقين، وتدحض مزاعم المارقين ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطُور: 35].

وقد تَعَرَّض أنبياء الله، وأمناء الوحي، وحملة الدعوة، ومصابيح الدجى وأنصار التوحيد، تعرضوا لعدد من المتعنتين على مرّ العصور مع اختلاف في طبقاتهم، وتباين في تفنناتهم، إلا أن بعضهم وصل به الأمر أن ادَّعى أنه رب العالمين، فأيّد الله أولياءه بحجج قاهرة ودلائل باهرة وأدلة قاصمة، وصواعق مرسلة تدمر أباطيلهم وتنسف افتراءاتهم وتزلزل كياناتهم وتظهر سخف عقولهم وقلة فهمهم وانحطاط أمانيهم.

فهذا إبراهيم عليه السلام يحاور النمرود الذي طغى وتجبر، وعتا وتكبر، وادَّعى الربوبية من دون المولى عز وجل، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: 258].

فحينما أدلى إبراهيم بالدليل الأول على وجود الله تعالى وربوبيته

(1) الله أهل الثناء والمجد، ص: 565.

فقال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ قال النمرود: وأنا أحيي وأميت، أي: أنه إذا أتى بالرجلين قد تَحَتَّم قتلهما، فإذا أمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخر، فكأنه قد أحياه وأمات الآخر، وهذه حجة واهية ورد سخيف، ولكن إبراهيم عليه السلام تدرج معه في المحاجة فأتاه بالضربة القاضية والحجة الدامغة فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾: أي هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق، كما سخرها خالقها، ومسيّرها وقاهرها وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء، فإن كنت كما زعمت أنك تحيي وتميت، فأت بهذه الشمس من المغرب، فإنّ الذي يحيي ويميت هو الذي يفعل ما يشاء، ولا يمانع، ولا يغالب، بل قد قهر كل شيء، ودان له كل شيء، فإن كنت كما تزعم فافعل هذا، فإن لم تفعله، فلست كما زعمت، وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على هذا ولم يبق للنمرود كلام يجيب فيه الخليل عليه الصلاة والسلام[1]، ولهذا قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وقال الشاعر:

يا عجباً كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

والله في كل تحريكة ... وفي كل تسكينة شاهد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد[2]

---

(1) الله أهل الثناء والمجد، ص: 567.

(2) المصدر نفسه، ص: 572.

وما أجمل هذه الأبيات الرائعة التي قالها الشاعر إبراهيم بريول رَحِمَهُ اللَّهُ :

إني أويت لكل مأوى في الحياة فـمـا رأيـت أعـز مـن مـأواكـا

وتلمست نفسي السبيل إلى النجاة فلم تجد منجى سوى منجاكا

وبحثت عن سِرّ السعادة جاهداً فوجدت هذا السر في تقواكا

فليرض عني الناس أو فليسخطوا أنا لم أعد أسعى لغير رضاكا

أدعوك يا ربي لتغفر حوبتي وتعينني وتمدني بهداكا

فاقبل دعائي واستجب لرجائي ما خاب يوماً من دعا ورجاكا

إلى أن قال:

يا أيها الإنسان مهلاً ما الذي بالله جلّ جلاله أغراكا

فاسجد لمولاك القدير فإنما لابد يوماً تنتهي دُنياك

وتكون في يوم القيامة ماثلاً تُجزى بما قد قَدّمته يَداكا[1]

إن حقائق الإسلام ثابتة لا تتغير منذ أنزلت على رسول الله ﷺ إلى قيام الساعة، المرجع فيها هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولكن علماء الأمة في كل جيل ـ وطلاب العلم فيها ـ يتناولونها بالشرح والتفسير من خلال الواقع الذي يعيشه كل جيل، وما جدّ فيه من نوازل وما حدث فيه من انحراف في الفهم أو السلوك.

(1) الله أهل الثناء والمجد، ص: 550.

وإن جيلنا الذي نعيش فيه لَهُو من أحوج الأجيال إلى التعرف على حقائق دينه وخصوصاً أركان الإيمان الستة، وهذا الكتاب الذي بين يدي القارئ يتناول الركن الأول: **(الإيمان بالله ﷻ)** وستلحقه بإذن الله تعالى دراسات أخرى في أركان الإيمان الستة، والأخلاق والتربية الروحية، والسنن الإلٰهية، ومقاصد الشريعة والسياسة الشرعية، وعلم المصالح والمفاسد وغيرها من الدراسات المنهجية الهادفة إلى المساهمة في نهضة الأمة وانطلاقتها الحضارية الجديدة المرتقبة.

هذا وقد قسمت هذا الكتاب إلى مباحث:

المبحث الأول: معنى لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، وبيَّنت فضل لا إلٰه إلا الله، وأنها أفضل الذكر، وتحدثت عن شروطها، كالعلم، واليقين والقبول والانقياد والصدق، والإخلاص والمحبة وارتباطها بالولاء والبراء، وآثار الإقرار بهذه الكلمة في حياتنا.

وفي المبحث الثاني والثالث: تكلمت عن إثبات وجود الخالق، وتوحيد الربوبية وأشرت لدليل الخلق، ودليل الفطرة والعهد، ودليل الآفاق ودليل الأنفس، ودليل الهداية، ودليل انتظام الكون وعدم فساده، ودليل التقدير، ودليل التسوية، التي جاءت في القرآن الكريم.

ووضحت في المبحث والرابع والخامس: توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية وتكلمت عن علاقة تحكيم الشريعة بالتوحيد، والآثار الحسنة للحكم بما أنزل الله، كالاستخلاف والتمكين والأمن والاستقرار والنصر والفتح والعز والشرف، وبركة العيش ورغده والهداية والتثبيت والفلاح والفوز والمغفرة وتكفير السيئات، ومرافقة النبيين والصِّدِّيقين.

كما وقفت مع الآثار السيئة للحكم بغير ما أنزل الله، كقسوة القلب والضلال عن الحق، والوقوع في النفاق والحرمان من التوبة، والصدّ عن سبيل الله، وغياب الأمن وانتشار الفوضى وانتشار العداوة والبغضاء، والحرمان من النصر والتمكين، وهول العقاب الذي ينتظر المبدلين لشرعه، والإهانة عند قبض الأرواح والأكل من النار وغضب الجبار والعذاب المهين، وتكلمت عن جهود النبي ﷺ في حماية توحيد الألوهية، كالنهي عن الغلو والإطراء لشخصه الكريم، وكيفية التعامل مع الرقى والتمائم ونهيه عن الكهانة... إلخ.

أما في المبحث السادس: كان الحديث عن الإيمان، واخترت كلمة الإيمان بدلاً من العقيدة واستخدمتها في كتابي تماشياً مع العرض القرآني الذي عرض مقررات الإيمان وخصائصه، ضمن المصطلح اللطيف والكلمة الحبيبة **(الإيمان)**، ولا شك أن العودة إلى تعبير القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام أنفع وأولى مع جواز المصطلحات الأخرى، فكلمة الإيمان أرقى معنى وأشف ظلاً، وأحل على المقصود من الكلمات الأخرى، فهي تشيع في الأجواء عندما تكتب أو تنطق معاني الأمن والثقة، وتلقي ظلال الطمأنينة، واليقين، وتوحي بمعاني الإلزام والتصديق والخضوع وتطلق إيحاءات الثبات والدوام والمتانة والحيوية، وكلمة العقيدة لا تتضمن كل هذا، كما أنني بينت الفرق بين الإسلام والإيمان والإحسان والأسس التي يقوم عليها الإيمان بالله ﷻ، وشرحت بعض الآيات القرآنية التي تحدثت عن الإيمان، كزينة الإيمان، ونور الإيمان، وروح الإيمان، ولخّصت في هذا الكتاب أهم أسباب قوة الإيمان مثل:

1 ـ معرفة أسماء الله الحسنى.

2 ـ تدبر القرآن على وجه العموم.

3 ـ معرفة النبي ﷺ.

4 ـ التفكير في الكون والنظر في الأنفس.

5 ـ الإكثار من ذكر الله في كل وقت.

6 ـ معرفة محاسن الدين.

7 ـ الاجتهاد في التحقق من مقام الإحسان.

8 ـ الدعوة إلى الله.

9 ـ توطين النفس على مقاومة ما ينافي الإيمان.

10 ـ معرفة حقيقة الدنيا واعتبارها ممراً للآخرة.

وعرضت بعض صفات المؤمنين التي جاءت في القرآن الكريم، وشرحتها وبيَّنت أهميتها وركَّزت على أهم فوائد الإيمان وثمراته، كالاغتباط بولاية الله الخاصة ودفاع الله عن المؤمنين والفوز برضا الله، وحصول البشارة بكرامة الله، حصول الفلاح والهدى، الانتفاع بالمواعظ والتذكير، والشكر والصبر، تأثيره على الأعمال والأقوال، هداية الله إلى الصراط المستقيم، محبة الله والمؤمنين من خلقه، رفع الله لمكانتهم.

وفي المبحث السابع والأخير: كان الحديث عن الشرك والكفر والنفاق والردة والفسق والمعاصي.

أيها القارىء الكريم، أضع بين يديك هذا الكتاب راجياً من الله أن يحيي قلبك وتزداد هداية مع كل معرفة جديدة عن ربك، فالهدف من كتابته هو زيادة إيمانك برب العالمين بعيداً عن العوائق التي وضعت

في طريق الإيمان الذي بيّنه رسولنا محمد ﷺ، وسار عليه الصحابة الكرام سهلاً ميسراً بدون عناء ولا شقاء، فآمنوا بربهم فهدى الله قلوبهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: 11].

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الأحد الثالثة إلا ربع ظهراً بتاريخ 8/ 5/ 1430هـ/ 3/ 3/ 2009م بالدوحة، والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ولعباده نافعاً، ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنّه وكرمه وجوده، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يصله هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: 19].

وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: 2].

وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: 180 ـ 182].

سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الإخوة الكرام: يَسرني أن تصل ملاحظاتكم وانطباعاتكم حول هذا الكتاب وغيره من كتبي من خلال دور النشر، وأطلب من إخواني الدعاء في ظهر الغيب بالإخلاص لله والصواب لخدمة دينه العظيم.

Mail: info@alsallaby.com
Website : www.alsallaby.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمة الشهادة: لا إله إلا الله محمد رسول الله

المبحث الأول
معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله، فضلها وشروطها

أول كلمة يدخل بها الإنسان بَوَّابة الإسلام، ويصل إلى مدارج التوحيد، ويرتقي في مراقي العبودية، هي كلمة: **«لا إله إلا الله محمد رسول الله»** التي بموجبها يعترف العبد لله ﷻ وحده بالربوبية والألوهية ولمحمد ﷺ بالرسالة. وأن يشهد العبد أن الله هو المستحق للعبادة، وأن تنصرف قواه - قوى عقله وقلبه وبدنه وجوارحه - في التسبيح والتهليل والتمجيد، والعبودية لهذا الإله العظيم، الذي أنت أيها الإنسان بعض فضله وبعض خلقه، فكل ذرات كيانك الداخلية تعترف به، وتمجّده وتسبّحه، شئت أم أَبَيْت، غَفلت أم انتبهت، حييت أم مِتَّ، آمنت أم كفرت، فيبقى اختيار الإنسان أن يعبد ربه سبحانه وتعالى طوعاً بما أمره الله تعالى، وبما جاء على ألسنة رسله المكرمين عليهم الصلاة والسلام[1]. وأن يشهد بأن محمداً ﷺ الخاتم للرسل هو عبد الله ورسوله أرسله ربنا إلى الخلق أجمعين من الإنس والجن، وذلك إقراراً

---

(1) مع الله، د. سلمان العودة، ص: 39.

باللسان وإيماناً بالقلب بأنه رحمة مهداة للعالمين.

أولاً: معنى لا إله إلا الله محمد رسول الله

إن معنى كلمة: «لا إله إلا الله» أنه لا معبود بحق إلا الله، فهو وحده سبحانه المستحق بأن تصرف له جميع العبادات وتكون خالصة له دون سواه، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البَقَرَة: 163].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: 26، 28].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255].

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمد ابن عبد الله القرشي الهاشمي رسول الله ﷺ إلى جميع الخلق من الجن والإنس، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: 158]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: 1].

فكلمة لا إله إلا الله تشمل جزءين، النفي والإثبات:

1 ـ أما النفي (لا إله) نافية جميع ما يعبد من دون الله تعالى فلا يستحق أن يعبد أحد سواه، والنكرة في سياق النفي تعم وتفيد العموم،

فهي تشمل كل ما يمكن أن يتوجه إليه بالعبادة وكل من تصرف إليه غير الله تعالى.

2 ـ وأما الإثبات (إلا الله) مثبتاً العبادة لله تعالى فهو الإلٰه الحق المستحق للعبادة فإن خبر (لا) المحذوف (بحق) هو الذي جاءت به نصوص الكِتَاب، فمعنى أنه لا إلٰه بحق إلا الله، أي: لا معبود بحق إلا الله، فكما تفرَّد سبحانه وتعالى بالخلق والرزق والإحياء، والإماتة والإيجاد، والإعدام والنفع والضر، وغير ذلك من معاني ربوبيته ولم يشاركه أحد في خلق المخلوقات ولا في التصرف في شي منها، فكذلك تفرد سبحانه بالألوهية حق لا شريك له، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٠﴾[1] [لقمان: 30].

ولفظ الجلالة في كلمة الشهادة (الله) ﷻ فهو اسم من أسمائه جل وتعالى، بل هو اسمه الأعظم عند قوم، وهذا أكثر الأسماء تردداً في القرآن والسنة. (الله) هو أكثر الأسماء اشتهاراً وترديداً على ألسنة المخلوقين كلهم بمختلف لغاتهم وألسنتهم.

(الله) هو الاسم الدال على الذات العظيمة الجامعة لصفات الإلٰهية والربوبية فهو اسم له وحده لا يتعلق به أحد سواه، ولا يُطلق على غيره ولا يدّعيه أحد من خلقه.

(الله) اسم للرب المعبود المحمود الذي يمجّده الخلق ويسبحونه

---

(1) العقيدة الصافية، سيد سعيد عبد الغني، ص: 260.

ويحمدونه، وتسبح له السمٰوات السبع والأرضون السبع، ومن فيهم، والليل والنهار، والإنس والجن والبر والبحر ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: 44].

(الله) هو الرب الذي تألهُهُ القلوب، وتحنُّ إليه النفوس وتتطلع إليه الأشواق، وتحب وتأنس بذكره وقربه وتشتاق إليه وتفتقر إليه المخلوقات كلها في كل لحظة وومضة، وخطرة وفكرة، في أمورها الخاصة والعامة، والكبيرة والصغيرة، والحاضرة والمستقبلة، فهو مبديها ومعيدها، ومُنْشِئها وباريها، وهي تدين له سبحانه وتُقِرُّ، وتفتقر إليه في كل شؤونها وأمورها. ما من مخلوق إلا ويشعر بأن الله تعالى طوّقه مِنَناً ونعماً وأفاض عليه من آلائه وكرمه وإفضاله وإنعامه بالشي الكثير، فجدير بأن يتوجه قلب الإنسان إلى الله تبارك وتعالى بالحب والتعظيم والحنين.

(الله): إنه العظيم في ذاته وصفاته وأسمائه وجلاله ومجده، لا تحيط به العقول ولا تدركه الأفهام ولا تصل إلى عظمته الظنون، فالعقول تَحَارُ في عظمته وإن كانت تستطيع بما مُنحت من الطّوق والقدرة على أن تدرك جانباً من هذه العظمة، يمنحها محبة الله والخوف منه والرجاء فيه والتعبد له بكل ما تستطيع[1].

قال الشاعر:

لله في الآفاق آيات لعل أقلَّها هو ما إليه هداكا

(1) مع الله، د. سلمان العودة، ص: 36، 37.

ولعلَّ ما في النفس من آياته عجب عُجاب لو ترى عيناكا

والكون مشحون بأسرار إذا حاولت تفسيراً لها أعياكا[1]

(الله) هو الإلٰه المعبود الذي يُخلص له المؤمنون قلوبهم وعبادتهم، وصلاتهم وحَجَّهم وأنساكهم وحياتهم وآخرتهم ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: 162، 163].

وروح «لا إلٰه إلا الله» وسرها: إفراد الرب ـ جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إلٰه غيره ـ بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك من التوكل والإنابة والرغبة والرهبة، فلا يُحَبُّ سواه، بل كان ما كان يحب غيره فإنما هو تبع لمحبته وكونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يُخاف سواه، ولا يُرجى سواه، ولا يتوكل إلا عليه ولا يُرغب إلا إليه، ولا يُرهب إلا منه، ولا يُحلف إلا باسمه، ولا يُنذر إلا له، ولا يُتاب إلا إليه، ولا يُطاع إلا بأمره، ولا يُحتسب إلا له، ولا يُستعان في الشدائد إلا به، ولا يُلتجأ إلا إليه، ولا يُسجد إلا له، ولا يُذبح إلا له وباسمه، يجتمع ذلك في حرف واحد هو أن لا يعبد بجميع أنواع العبادات إلا هو فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إلٰه إلا الله، ولهذا حَرَّم الله على النار من شهد أن لا إلٰه إلا الله حقيقة الشهادة، ومُحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [المعارج: 33]. فيكون قائماً بشهادته في باطنه وظاهره وفي قلبه وقالبه[2].

---

(1) مع الله، د. سلمان العودة، ص: 39.

(2) الجواب الكافي، لابن القيم، ص: 139.

ومقتضى هذه الشهادة: أن تصدّق رسول الله ﷺ فيما أخبر وأن تمتثل أمره فيما أمر، وأن تتجنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع وأن لا تعتقد أن لرسول الله ﷺ حقاً في الربوبية وتصريف الكون، أو حقاً في العبادة، بل هو ﷺ عبدٌ لا يُعبد ورسول لا يكذب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً من النفع أو الضر إلا ما شاء الله[1].

لقد عُرفت «لا إله إلا الله» لدى المسلمين بكلمة: «التوحيد» وكلمة: «الإخلاص» وكلمة: «التقوى»، وكانت لا إله إلا الله، إعلان ثورة على جبابرة الأرض وطواغيت الجاهلية، ثورة على كل الأصنام والآلهة، المزعومة من دون الله، سواء كانت شجراً أم حجراً أم بشراً، وكان «لا إله إلا الله» نداءً عالمياً لتحرير الإنسان من عبودية الإنسان والطبيعة وكل من خلق، وكانت لا إله إلا الله عنوان منهج الله الذي لا تعنو الوجوه إلا له، ولا تنقاد القلوب إلا لحكمه، ولا تخضع إلا لسلطانه[2].

ثانياً: فضل كلمة «لا إله إلا الله»:

لقد ورد في كتاب الله وسنة نبيه من الفضائل الجمة لهذه الكلمة والخصال العديدة والأوصاف الحميدة، ما يصعب استقصاؤه في هذا الموضع، فهي كلمة قامت بها الأرض والسمٰوات، وخُلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه وشرع

---

(1) الأمثال في القرآن، د. عبد الله جربوع (1 / 233).

(2) الإيمان والحياة، للقرضاوي، ص: 31.

شرائعه ولأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام ومفتاح دار السلام، وعنها يُسأل الأولون والآخرون فلا تزول قَدَما العبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟

فجواب الأولى: بتحقيق لا إله إلا الله معرفة وإقراراً وعملاً.

وجواب الثاني: بتحقيق أن محمداً رسول الله معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعة[1].

ومما ورد في فضل هذه الكلمة في القرآن الكريم أنها وصفت بالكلمة الطيبة والقول الثابت كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: 24، 25].

وأنها العروة الوثقى، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: 256].

---

(1) زاد المعاد (1 / 34).

ومن فضائلها أن الرسل جميعهم أُرسلوا بها منذرين ومبشرين كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: 25].

إلى غير ذلك من الفضائل التي ذكرت في القرآن الكريم، وأما ما ورد في فضلها في السنة المشرفة فكثير جداً نذكر منه بعضها:

ـ فمن ذلك أنها أعلى شُعَب الإيمان فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»**[1].

ـ ومن فضائلها: أن الجهاد أقيم من أجل إعلائها كما قال الرسول ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»**[2].

ـ ومن فضائلها: أنها ترجح بصحائف الذنوب كما في حديث البطاقة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا**

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان... (الحديث: 152).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الإيمان، باب: ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ (الحديث: 25).

حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء»[1].

ثالثاً: أفضل الذكر لا إله إلا الله:

إن ذكر الله من أجلّ العبادات المقربة إلى الله تعالى وأجلّها وأعظمها أجراً، مع سهولته ويسره على من يسّره الله عليه، هذا وإن أفضل أنواع الذكر بعد القرآن العظيم هو قول المرء: لا إلٰه إلا الله وهي كلمة التوحيد، كما ورد عنه ﷺ أنه قال: **«أفضل الذكر لا إلٰه إلا الله»**[2]، وهذه الكلمة الجليلة واجب على كل مسلم أن يتعلمها ويعلم مضمونها ومعناها وشروطها وأركانها وكل ما يتعلق بها؛ لأنها الكلمة التي يصير بها المرء مسلماً، فهي الفيصل بين الكفر والإسلام، ولأن الله جل جلاله أمر أفضل خلقه وخاتم رسله ﷺ أن يعلم كل ما يتعلق بها ويعتقده في قوله: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: 19].

وقد ذم الله سبحانه من استكبر عنها وأعرض عنها وترك العمل بها في قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: 35 ـ 36].

ووصف الله سبحانه نفسه بما تضمنته هذه الكلمة في غير موضع من كتابه فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255]

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب: الإيمان، باب: ما جاء فيمن يموت... (الحديث: 2639).

(2) صحيح الجامع، للألباني، رقم 1115.

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: 65] وحققها إبراهيم عليه السلام كما حكى الله عنه بقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: 26-28].

رابعاً: اشعة كلمة لا إله إلا الله، تبدد ظلمات القلوب:

اعلم أن أشعة «لا إله إلا الله» تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوت أهلها في ذلك النور، قوة وضعفاً، لا يحصيه إلا الله تعالى، فمن الناس، من نَور هذه الكلمة كالشمس، ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري، ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم، وبين أيديهم، على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة علماً وعملاً ومعرفة وحالاً، وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة ولا شهوة ولا ذنباً، إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده الذي لم يشرك بالله شيئاً، فأي ذنب أو شهوة أو شبهة دنت من هذا النور أحرقها، فسماء إيمانه قد حرست بالنجوم من كل سارق لحسناته، فلا ينال منها السارق إلا على غرّة وغفلة لا بد منها للبشر، فإذا استيقظ وعلم ما سُرق منه استنقذه من سارقه أو حصّل أضعافه بكسبه، فهو هكذا أبداً مع لصوص الجن والإنس، ليس كمن فتح لهم خزانته وولى الباب ظهره[1].

---

(1) مدارج السالكين (1 / 369).

خامساً: التوافق بين لا إله إلا الله و﴿إياك نعبد﴾:

إن معنى: «لا إله إلا الله» تضمنه قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفَاتِحَة: 5] وهذه متضمنة لأجل الغايات، ففيها يسر الخلق والأمر، والدنيا والآخرة، وهي متضمنة لأجل الغايات وأفضل الوسائل فأجل الغايات عبوديته، وأفضل الوسائل إعانته، فلا معبود يستحق العبادة إلا هو، ولا معين على عبادته غيره، فعبادته أعلى الغايات، وإعانته أجلّ الوسائل.

وقد اشتملت هذه الكلمة على نوعي التوحيد، وهما توحيد الربوبية، وتوحيد الإلٰهية، وتضمنت التعبد باسم الرب واسم الله، فهو يعبد بألوهيته، ويستعان بربوبيته، ويهدي إلى الصراط المستقيم برحمته، فكان أول السورة ذكر اسمه: «الله» والرب، والرحمٰن تطابقاً لأجل الطالب من عبادته وإعانته وهدايته، وهو المنفرد بإعطاء ذلك كله، لا يعين على عبادته سواه ولا يهدي سواه[1].

سادساً: شروط لا إله إلا الله:

لمّا كان معنى «لا إله إلا الله» هو: أنه لا معبود بحق إلا الله، ولمّا كان كثير من الناس لا يُدرك معنى وأهمية «لا إله إلا الله»: كان لا بدَّ لنا أن نتحدث عن شروط هذه الكلمة.

ورحم الله وهب بن منبه حين سئل: أليست «لا إله إلا الله» مفتاح الجنّة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت

(1) الإيمان بالله، د. عمر الأشقر، ص: 96، نقلاً عن: ابن القيم في الصلاة.

بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك[1]، وهذه الأسنان هي شروط هذه الكلمة العظيمة[2]، والتي عددها سبعة عند العلماء، وليس المراد من هذا عدُّ ألفاظها، وحفظها، فكم من عاميّ اجتمعت فيه والتزمها، ولو قيل له عددها لم يحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم، وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله[3]، وإليك هذه الشروط مع أدلتها من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ مع الاختصار:

1 ـ العلم بمعناها، نفياً وإثباتاً، علماً ينافي الجهل بها، قال الله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمّد: 19]، وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: 18].

وفي الصحيح قال ﷺ: **«من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»**[4].

2 ـ اليقين المنافي للشك، وذلك بأن يكون قائلها مُسْتَيقناً بمدلول هذه الكلمة يقيناً جازماً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله (الحديث: تعليقاً).

(2) مسائل هامة في توحيد العبادة، محمد القحطاني، ص: 21.

(3) معارج القبول، للحكمي (1/ 377).

(4) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (الحديث: 135).

ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجرَات: 15].

وقال ﷺ: **«أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»**[1]، وقال ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: **«اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة»**[2].

3 ـ القبول لما اقتضته هذه الكلمة بالقلب واللسان، وقد قَصّ الله علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء مَن قَبِلها وانتقامه ممّن ردّها وأباها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: 47].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يُونس: 103] ، وقال تعالى عن الذين كذبوا بهذه الكلمة ورفضوها ولم يقبلوها: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف: 25].

وقال ﷺ: **«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكانت منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها**

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (الحديث: 137).

(2) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (الحديث: 146).

الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدى الله الذي أُرسلت به»[1].

4 ـ الانقياد لما دلت عليه المنافي لترك ذلك: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزُمَر: 54] ، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: 125].

5 ـ الصدق المنافي للكذب، وذلك بأن يقولها صدقاً من قلبه يواطئ قلبه لسانه، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: 1 ـ 3] .

وقال ﷺ: **«ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله صدقاً من قلبه إلا حرّمه الله على النار»**[2].

6 ـ الإخلاص: وهو تصفية العمل لصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُمَر: 3]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: 2]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البيّنة: 5].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: فضل من عَلِمَ وعلّم (الحديث: 79).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من خص بالعلم قوماً. . . . (الحديث: 128).

وقال ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه**»[1]، وقال ﷺ: «**إن الله حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»[2].

7 ـ المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها وبغض ما ناقض ذلك، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: 165].

وقال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبُه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر، كما يكره أن يقذف في النار**»[3].

وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**»[4].

ومحبة الله سبحانه وتعالى لا تتم إلا بمحبة ما يحبه، وكره ما يكرهه، وطريق معرفة ذلك هو اتباع الرسول ﷺ ومحبته، فمحبة الله تستلزم محبة الرسول ﷺ واتباعه وطاعته[5]، فهذه الشروط من حققها

---

(1) أخرجه **البخاري** في كتاب: العلم، باب: الحرص على الحديث (الحديث: 99).
(2) أخرجه **البخاري** في كتاب: الأطعمة، باب: الخزيرة (الحديث: 5401).
(3) أخرجه **البخاري** في كتاب: الإكراه، باب: من اختار الضرب والقتل... (الحديث: 6941).
(4) معارج القبول، **للحكمي** (2/ 418. 427).
(5) المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار (2/ 623).

وعمل بها وابتعد عما يناقضها أوجب له مغفرة الذنوب، بإذن الله تعالى[1].

سابعاً: ارتباط لا إله إلا الله بالولاء والبراء:

ولما كان أصل الموالاة: الحب، وأصل المعاداة: البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنفرة والأنس والمعاونة، وكالجهاد والهجرة ونحو ذلك[2]، فإن الولاء والبراء من لوازم لا إله إلا الله قال الله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: 28]، وقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: 51]، وقال رسول الله ﷺ: **«أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»**[3].

ولقد ضرب نبي الله إبراهيم عليه السلام نموذج الأسوة الحسنة في ولائه لرب العالمين حيث كان عليه السلام أسوة حسنة وقدوة طيبة في ولائه لربه ودينه وعباد الله المؤمنين، وبرائه ومعاداته لأعداء الله ومنهم أبوه، لقد كانت سيرة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع قومه، كأي نبي رسول، حيث دعاهم بالتي هي أحسن إلى عبادة الله وتوحيده، وإفراده بالعبادة والكفر

---

(1) المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار، (2/ 623).

(2) الرسائل المفيدة، عبد اللطيف بن عبد الرحمن، ص: 296.

(3) الإيمان، لابن أبي شيبة، ص: 45.

بكل طاغوت يعبد من دون الله[1].

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: 41-49.] تلك هي نقطة البدء في دعوة خليل الرحمٰن، دعوة بالحسنى، مبتدئاً بأقرب الناس إليه، فإن لم يكن هناك تجاوب مع هذه الدعوة فالاعتزال لهذا الباطل وأصحابه، علّ في ذلك ردعاً وزجراً وتفكراً في هذا الأمر الجديد، ونجاة للداعي من مشاركة أهل الباطل في باطلهم، إذا كان لا بد له من مخالطتهم ومعاشرتهم وعدم تمكنه من الهجرة من أرضهم، ثم يمضي القرآن في بيان دعوة إبراهيم عليه السلام، مبيناً أنه استخدم مع قومه كل حجة ودليل، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: 70-77].

(1) الولاء والبراء في الإسلام، د. القحطاني، ص: 145،

ولما لم يجدوا حجة وإنما هو التقليد الأعمى لفعل الآباء والأجداد قال لهم إبراهيم عليه السلام: أنا عدو آلهتكم هذه، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: 4].

وعقيدة إبراهيم عليه السلام هذه هي التي عبّر عنها علماؤنا الأجلاء بقولهم: لا موالاة إلا بالمعاداة، ولا تصح الموالاة إلا بالمعاداة[1] كما قال تعالى عن إمام الحنفاء المحبين، أنه قال لقومه: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: 75-77] فلم تصح لخليل الله هذه الموالاة والخلة إلا بتحقيق هذه المعادلة فإنه لا ولاء إلا لله، ولا ولاء إلا بالبراء من كل معبود سواه، قال تعالى: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: 26 ـ 28] ، أي جعل هذه الموالاة لله، والبراءة من كل معبود سواه، كلمة باقية في عقبه يتوارثها الأنبياء بعضهم عن بعض، وهي كلمة: «لا إله إلا الله» وهي التي ورّثها إمام الحنفاء لأتباعه إلى يوم القيامة. وقد كان من نتيجة هذه المعاداة وهذا البراء القوي أن أجمع الطغاة على قتل إبراهيم ـ كما هو حال كل طاغية على مر عصور التاريخ في إبادة الدعاة إلى الله لا لشيء، إلا لأنهم يدعونهم

---

(1) الولاء والبراء في الإسلام، د. **القحطاني**، ص: 146 ، 147.

إلى عبادة الله وحده، وجمعوا له ناراً عظيمة فكانت رعاية الله وحفظه تحوطان خليله الصادق عليه الصلاة والسلام فصارت النار برداً وسلاماً عليه، قال تعالى: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الصافات: 97، 98].

لقد عدلوا عن الجدال والمناظرة لما انقطعوا وغلبوا، ولم تبق لهم حجة ولا شبهة إلى استعمال قوتهم وسلطانهم لينصروا ما هم عليه من سفههم وطغيانهم فكادهم الرب جلّ جلاله وأعلى كلمته ودينه وبرهانه كما قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: 68، 70].

وجاءت التوجيهات الربانية لخاتم الأنبياء محمد ﷺ باتباع ملة إبراهيم عليه السلام[1].

- قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: 123].

- قال تعالى: ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 95].

- قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: 135].

- قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: 68].

---

(1) الولاء والبراء في الإسلام، ص: 148، 149.

- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: 125].

- قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ اجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: 78]

- قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: 130].

فهذه الأخبار من الله لأمة محمد ﷺ عن فعل إبراهيم عليه السلام من أجل الاقتداء به في الإخلاص والتوكل على الله وحده، وعبادة الله وحده والبراء من الشرك وأهله ومعاداة الباطل وحزبه[1].

والأمثلة على أن من لوازم «لا إله إلا الله» الولاء والبراء كثيرة كقصة نوح مع وزوجته، وغيرها من القصص.

لقد جمعت «لا إله إلا الله» صهيباً الرومي، وبلالاً الحبشي، وسلمان الفارسي وأبا بكر العربي القرشي، وتوارت عصبية القبيلة والجنس والأرض، وقال لهم ﷺ: **«دعوها فإنها منتنة»**[2]، وقال: **«ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»**[3]. وتبقى سيرة المصطفى وسيرة صحابته

(1) الولاء والبراء في الإسلام، ص: 150.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿سواء عليهم أستغفرت...﴾ (الحديث: 4905).

(3) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في العصبية (الحديث: 5121).

الأخيار منار هدى وإصلاح لمن سلك ذلك السبيل ورضي بذلك النهج القويم[1].

ثامناً: آثار الإقرار بـــ (لا إله إلا الله):

إن لكلمة لا إله إلا الله آثاراً عظيمة في حياة المؤمن منها:

1 - إن المؤمن بهذه الكلمة لا يكون ضَيِّق النظر، بخلاف من يقول بآلهة متعددة، أو من يجحدها.

2 - إن الإيمان بهذه الكلمة يُنشيء في النفس من الأنفة وعزة النفس ما لا يقوم دونه شيء، لأنه لا نافع إلا الله ولا ضار إلا الله، وهو المحيي المميت، وهو الحكيم القوي ملك الملك، ومن ثم ينزع من القلب كل خوف إلا منه سبحانه، فلا يطأطئ الرأس أمام أحد من الخلق، ولا يتضرع إلا إليه، ولا يتكفف له ولا يرتعب من كبريائه وعظمته، لأن لله وحده الكبرياء والعظمة والقدرة، وهذا بخلاف المشرك والكافر والملحد.

3 - ينشأ من هذه الكلمة، تواضع من غير ذل وتَرَفُّع من غير كبر.

4 - المؤمن بهذه الكلمة، يعلم علم اليقين أنه لا سبيل إلى النجاة والفلاح إلا بتزكية النفس والعمل الصالح، أما المشركون والكفار فإنهم يقضون حياتهم على أماني كاذبة، فمنهم من يقول: إن ابن الله قتل وصلب كفارة لذنوبنا عند أبيه، ومنهم من يقول: نحن أبناء الله وأحباؤه فلن يعذبنا بذنوبنا، ومنهم من يقول: إنا سنتشفع عند الله

(1) الولاء والبراء، ص: 158.

بكبرائنا وأتقيائنا، ومنهم من يقدم النذور والقرابين إلى آلهته زاعماً أنه قد نال بذلك رخصة في العمل بما يشاء، أما الملحد الذي لا يؤمن بالله فيعتقد أنه حر في هذه الدنيا غير مُقيد بشرع الله، وإنما إلٰهه هواه وشهوته وهو عبدهما.

5 ـ قائل هذه الكلمة لا يتسرب إليه اليأس، ولا يقعد به القنوط لأنه يؤمن أن الله له خزائن السمٰوات والأرض، ومن ثم فهو على طمأنينة وسكينة وأمل، حتى ولو طرد وأهين وضاقت عليه سبل العيش.

6 ـ الإيمان بهذه الكلمة يربي الإنسان على قوة عظيمة من العزم والإقدام والصبر والثبات والتوكل حينما يطّلع بمعالي الأمور ابتغاء مرضاة الله، إنه يشعر أن وراءه قوة مالك السماء والأرض، فيكون ثباته ورسوخه وصلابته التي يستمدها من هذا التصور، كالجبال الراسية وأنّى للشرك والكفر بمثل هذه القوة والثبات؟

7 ـ هذه الكلمة تشجع الإنسان وتملأ قلبه جرأة، لأن الذي يجبن الإنسان ويوهن عزمه شيئان: حبه للنفس والمال والأهل، أو اعتقاده أن هناك أحداً غير الله يميت الإنسان، فإيمان المرء «**بلا إلٰه إلا الله**» ينزع عن قلبه كل ذلك، فيجعله موقناً أن الله هو المالك الوحيد لنفسه وماله، فعندئذ يُضحي في سبيل مرضاة ربه بكل غال ورخيص عنده، وينزع الثاني: بأن يلقي في روعه أنه لا يقدر على سلب الحياة منه إنسان ولا حيوان ولا غيره إلا إذا جاء أجله، من أجل ذلك لا يكون في الدنيا أشجع ولا أجرأ ممن يؤمن بالله تعالى فلا يكاد يخيفه أو يثبت في وجهه زحف الجيوش، ولا السيوف المسلولة، ولا مطر الرصاص، ولا وابل القنابل .

8 ـ الإيمان بـ (**لا إلٰه إلا الله**) يرفع قدر الإنسان وينشىء فيه

الترفع والقناعة والاستغناء، ويطهر قلبه من أوساخ الطمع والشر، والحسد والدناءة، واللؤم وغيرها من الصفات القبيحة.

9 ـ والإيمان بـ (لا إلٰه إلا الله) يجعل الإنسان متقيداً بشرع الله ومحافظاً عليه، فإن المؤمن يعتقد بيقين أن الله خبير بكل شيء، وهو أقرب إليه من حبل الوريد وأنه إن كان يستطيع أن يفلت من بطش أيّ كان، فإنه لا يستطيع أن يفلت من الله ﷻ، وعلى قدر ما يكون هذا الإيمان راسخاً في ذهن الإنسان يكون متبعاً لأحكام الله قائماً عند حدوده لا يجرؤ على اقتراف ما حرم الله، ويسارع إلى الخيرات والعمل بما أمر الله.

لذا فالعبد الذي ملأ الله قلبه إيماناً بـ (لا إلٰه إلا الله) هو في الحقيقة عبد مطيع منقاد لربه سبحانه وتعالى وهذا هو أصل الإسلام، وهو مصدر قوته وكل ماعداه من معتقدات الإسلام وأحكامه إنما هي مبنية عليه ولا تستمد قوتها إلا منه، والإسلام لا يبقى منه شيء لو زال هذا الأساس[1].

(1) مبادئ الإسلام، للمودودي، ص: 87.

المبحث الثاني
إثبات وجود الخالق

رغم أنه لا يوجد في القرآن مناقشة صريحة لِمُنكري الخالق إلا أن الإيمان بوجود خالق لهذا الكون قضية ضرورية لا مساغ للعقل في إنكارها، فهي ليست قضية نظرية تحتاج إلى دليل وبرهان، ذلك لأن دلالة الأثر على المؤثر يدركها العقل بداهة، والعقل لا يمكن أن يتصور أثراً من غير مؤثر، أي أثر ولو كان أثراً تافهاً فكيف بهذا الكون العظيم؟ ولذلك لم يناقش القرآن هذه القضية، حتى حينما أورد إنكار فرعون لرب العالمين يوم أن قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشُّعَرَاء: 23]، و﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القَصَص: 38]، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: 36-37].

فكان موسى عليه السلام لا يعير اهتماماً لهذه الإنكارات وتعامل مع فرعون على أساس أنه مؤمن بوجود الخالق فتراه يقول له مثلاً: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: 102].

وقد عزا القرآن الكريم هذا الإنكار والتكبر والعناد، فقال: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ

فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: 45-47] ، وأوضح أكثر فقال: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: 14].

إن البيئة التي أُنزل فيها القرآن الكريم كانت وثنية في الغالب وكتابية في بعض القرى أو بعض الأشخاص والكتابيون لا ينكرون الخالق، وأما الوثنيون فمع عبادتهم للأوثان إلا أنهم كانوا يؤمنون بالخالق سبحانه، وسجل القرآن هذا لهم في أكثر من موضع[1]، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزُمَر: 38] ، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمَان: 32] ، ولهذا لم يحتج القرآن أن يفتح الموضوع مع هؤلاء الناس، بل حتى خارج هذه البيئة لم يعرف هناك منكر للخالق، يقول الشهرستاني: أما تعطيل العالم عن الصانع العليم القادر الحكيم فلست أرَها مقالة لأحد، ولا أعرف عليها صاحب مقالة إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية، ولست أرى صاحب هذه المقالة ممن ينكر الصانع، بل هو معترف بالصانع، فما عُدت هذه المسألة من النظريات التي قام عليها دليل[2].

ومع خلو القرآن من مناقشة صريحة لِمُنكري الخالق إلا أنه تضمن أدلة كثيرة لإثبات الخالق، غير أنها جاءت في الغالب لإثبات مسائل أخرى، كالوحدانية والنبوة والبعث[3]، ومن هذه الأدلة التي ذكرت في القرآن الكريم:

---

(1) المحكم في العقيدة، د. محمد الكبيسي، ص: 65 ، 66.

(2) نهاية الإقدام، للشهرستاني، ص: 123، 124.

(3) المحكم في العقيدة، ص: 66، 67.

أولاً: دليل الخلق:

وخلاصة هذا الدليل، أن هذا الخلق بكل ما فيه شاهد على وجود خالقه العلي القدير سبحانه، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ [الطور: 35، 36] ، يقول لهم: أنتم موجودون هذه حقيقة لا تنكرونها وكذلك السمٰوات والأرض موجودتان ولا شك، وقد تقرر في العقول أن الموجود لا بد من سبب لوجوده، وهذا يدركه راعي الإبل في الصحراء فيقول: البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج أفلا تدل على العليم الخبير؟ ويدركه كبار العلماء الباحثين في الحياة والأحياء، يقول أحدهم: إن الله الأزلي الكبير العالم بكل شيء والمقتدر على كل شيء قد تجلى لي ببدائع صنعه حتى صرت دهشاً متحيراً، فأي قدرة، وأي حكمة، وأي إبداع أودعه مصنوعات يده صغيرها وكبيرها[1]. وهذا الذي أشرت إليه هو الذي يُعرف عند العلماء باسم: قانون السببية، هذا القانون يقول: إن شيئاً من «الممكنات» لا يحدث بنفسه من غير شيء، لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده ولا يستقل بإحداث شيء، لأنه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئاً لا يملكه هو[2]. وبهذا الدليل كان علماء الإسلام ولا يزالون يواجهون الجاحدين، فهذا الإمام أبو حنيفة يعرض له بعض الزنادقة المنكرين للخالق، فيقول

---

(1) مع الله، للشيخ حسن أيوب، ص: 76.

(2) العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، ص: 69.

لهم: ما تقولون في رجل يقول لكم: رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة من الأنفال، قد احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملّاح يجريها ولا متعهد يدفعها، هل يجوز في العقل؟ قالوا: هذا شيء لا يقبله العقل، فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله! إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وتغيّر أعمالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع ولا حافظ؟ فبكوا جميعاً، وقالوا: صدقت وتابوا[1].

هذا القانون الذي سلمت به العقول وانقادت له هو الذي تشير إليه الكريمة: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: 35]، وهو دليل يرغم العقلاء على التسليم بأن هناك خالقاً معبوداً، إلا أن صياغته صياغة بليغة مؤثرة فلا تكاد تمس السمع حتى تزلزل النفس وتهزها[2].

قال الشاعر:

فوا عجباً كيف يُعصى الإلٰه ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

لقد تناول القرآن الكريم قضية الخلق والتدبير تناولاً فريداً وعني بتوجيه العقول إلى النظر في آفاق الكون وآيات الله الكثيرة، وأهاب بالعقل أن يستيقظ من سباته، ليتفكر في ملكوت السمٰوات والأرض وما

---

(1) مع الله، ص: 68، حسن أيوب، العقيدة في الله، ص: 70.

(2) العقيدة في الله، للأشقر، ص: 71.

أودع فيها من الآيات، ويكرر القرآن ذلك في أساليب متنوعة ليرى هذا الإنسان ويسمع في آفاق الكون ما يقوده إلى الإيمان بخالقه سبحانه وتعالى، ويعلم أن هذا الكون هو من صنع الله الخالق المدبر المستحق للعبادة وحده لا شريك له[1].

ثانياً: دليل الفطرة والعهد:

إن معرفة الخالق والإقرار بوجوده تبارك وتعالى وربوبيته أمر بدهي مغروس في نفوس الناس وفطرهم، إذ لو تُرك الإنسان في مكان خال لا يوجد فيه أحد بعيداً عن كل المؤثرات الخارجية وعن كل الشوائب العقدية، لاستطاع بفطرته أن يعرف أن لهذا الكون خالقاً مدبراً ومتصرفاً، ثم بفطرته يتوجه لمحبة خالقه. ومن هنا نعلم أن من أنكر وجود الخالق جل جلاله من الملحدين إنما أُتوا من انحراف فطرهم ومن تأثير الشياطين عليهم وتلاعبهم بهم، ودليل الفطرة هذا دل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: 30]. فالفطرة المقصودة بها هنا الإسلام، فالله جل جلاله فطر الناس على دين الإسلام والتوحيد[2]، وقال ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**»[3]، وفي الحديث القدسي يقول

---

(1) حماية الرسول حمى التوحيد، للغامدي، ص: 216.

(2) المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار (1/ 368).

(3) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي (الحديث: 1358).

تبارك وتعالى: «**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم**»[1]. ومعنى (حنفاء) أي: مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام[2]. ومن أجل أهمية الفطرة في دلالة الناس على ربهم وتعريفهم به كان ﷺ إذا أصبح أو أمسى يقرر أنه يصبح ويمسي على هذه الفطرة فطرة الإسلام وأنها لم تتأثر بالمؤثرات والعوارض الخارجية من نزغات الشيطان ووساوسه، فقد ورد عنه ﷺ أنه كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى: «**أصبحنا ـ أو أمسينا ـ على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين**»[3]. فقد أكد على سلامة الفطرة من الانحراف بقوله: «**وعلى كلمة الإخلاص**»، وهي الشهادة: لا إلٰه إلا الله، وبقوله: «**وعلى دين نبينا محمد ﷺ**»، وهو الدِّين الإسلامي، وبقوله: «**وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً**». أي: مائلاً عن كل ما يخالف هذه الفطرة ـ من الأديان والعقائد الفاسدة التي تنكر الرب سبحانه وتعالى أو تزعم أن معه شريكاً في ملكه أو عبوديته ـ إلى الإسلام الخالص، فإذا حقق توحيد الألوهية كان توحيد الربوبية محققاً، لأن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وبذلك تكون الفطرة قد دلت على توحيد الربوبية[4].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها، باب: الصفات التي يعرف بها. . . (الحديث: 7136).

(2) تفسير القرطبي (20/ 144).

(3) ذكره الألباني في «السلسلة الصحيحة» (الحديث: 2989)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 3/ 406، 407).

(4) المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار (1/ 370).

وهذه الفطرة التي فطر الله عليها عباده لها صلة وارتباط وثيق بالعهد الذي أخذه الله سبحانه وتعالى على بني آدم وهم في عالم الذر كما أشار الله بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: 172، 173].

فهذا العهد والميثاق الذي أخذه الله جل جلاله على الناس مضمونه الاعتراف والإقرار بربوبيته، وأشهدهم على أنفسهم فشهدوا، فمن الناس من حافظ على ذلك العهد وقام بمقتضاه ولازمه من عبادة ربه وحده لا شريك له وتوحيده، وصَدَّق رسل الله وآمن بهم وبما جاؤوا به، ومن الناس من تغيرت فطرته وانحرفت واجتالته الشياطين ـ والعياذ بالله ـ فنسي ما شهد عليه وما جُبِل عليه من الإقرار بربوبية الله ﷻ فوقع في الكفر والإلحاد، مع أن الله سبحانه لم يترك عباده سدى، بل أرسل لهم الرسل وأنزل معهم الكتب ليذكّروا الناس بهذا الإشهاد وهذا العهد والميثاق، ولكي يبقى المسلم متذكراً هذا العهد الذي أخذه الله عليه في عالم الذّر، فقد علم رسول الله ﷺ أصحابه ذكراً يقولونه في الصباح والمساء ففي الحديث الصحيح عنه ﷺ قال: **«سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفرلي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»**[1].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: أفضل الاستغفار (الحديث: 6306).

فقوله: «**وأنا على عهدك**»: أي: ما عاهدتك عليه من الإيمان بك والإقرار بوحدانيتك، لا أزول عنه[1]، قال ابن حجر: وقال ابن بطال: قوله: «**وأنا على عهدك ووعدك**» يريد العهد الذي أخذه الله على عباده حيث أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ،فأقروا له بالربوبية، وأذعنوا له بالوحدانية، وبالوعد ما قاله على لسان نبيه[2]، فهذا الذكر العظيم من داوم عليه يومياً ولازمه حفظ نفسه ـ بإذن الله ـ من انحراف فطرته وتغيّرها ووفّى بعهده الذي بينه وبين ربه[3].

ثالثاً: دليل الآفاق:

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فُصِّلَت: 53]. فقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ أي: علامات وحدانيتنا وقدرتنا[4]، وقوله: «في الآفاق» يعني أقطار السمٰوات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح والأمطار والرعد والبرق، والصواعق والنبات[5]، وغير ذلك مما فيها من عجائب خلق الله، وفي حديث العلماء عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ما يدل على آيات الله في الآفاق والتي منها:

---

(1) نتائج الأفكار في شرح حديث الاستغفار، ص: 240.
(2) فتح الباري (11 / 99).
(3) المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار (1 / 373).
(4) تفسير القرطبي (15 / 374).
(5) المصدر نفسه (15 / 374).

1 ـ نقص الأكسجين في الارتفاعات:

قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: 125] ، تنص هذه الآية الكريمة على أن الإنسان عندما يصّعّد في السماء، أي: يرتفع في أعالي الجو يضيق صدره ويشعر بالاختناق، وهذه حقيقة علمية سببها: أن نسبة الأكسجين تقل كلما ارتفعنا إلى أعلى كما يقل الضغط الجوي، وهذان السببان يجعلان الإنسان يشعر بضيق التنفس.

2 ـ حركة النجوم والكواكب في مداراتها:

كان الناس يرون أن الأرض مركز الكون ويدور حولها الشمس والقمر والنجوم السيارة، ويرون نجوماً ثابتة طوال السنة فيصفونها بالثبات، ثم حدث في عصر «غاليلو» رأي يعتبر أن الأرض هي التي تدور حول الشمس، والشمس هي مركز الكون، أما القرآن الكريم فقد رفض قبل ذلك جميع الآراء التي تزعم أن للكون مركزاً ثابتاً، قال تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يسٓ: 40]. وكان ذلك في عصره سبقاً علمياً[1]. وقال تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [الواقعة: 75، 76].

فقد وجد العلماء أن مواقع النجوم ومساراتها ليست اعتباطية، فالكوكب وُضع في مسار بحيث لا تؤدي قوى التجاذب الكونية الكثيرة

---

(1) البراهين العلمية، عبد المجيد العرجاوي، ص: 105.

والقوى النابذة الناشئة عن الدوران إلى اضطراب كوني، ولقد اختير له المسار الذي يحقق له التوازن بين تلك القوى الكثيرة، ووجد العلماء أيضاً أن أبعاد المجموعة الشمسية تتبع سلسلة حسابية، وأنى للعربي الجاهلي الذي كان يرى النجوم مبعثرة في صفحة السماء أن يعرف من تلقاء نفسه أن لمواقعها شأناً عظيماً[1].

3 ـ دوران الأرض والجبال:

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النّمل: 88] ، لقد كان الناس قديماً يرون أن الأرض وجبالها ثابتة، بل يضربون المثل بثباتها، فجاء القرآن ليخالف ما ألفه الناس واستقر في أذهانهم، وتحدث عن ظاهرة كونية، فقال عن الجبال: إنها تمر مر السحاب، أي: أن الجبال كالسحاب، فكما أن السحاب لا يتحرك ذاتياً إلا إذا كان هناك شيء يدفعه إلى التحرك، والذي يحرك السحاب ويدفعه هي الرياح، فكذلك الجبال لا تتحرك بنفسها، لأنها أوتاد الأرض ولكن هي تتحرك، وحركتها تابعة لحركة الأرض فالأرض تتحرك وتدور، وإلا فكيف تتحرك الجبال وتمرّ مرّ السحاب؟ وهذا من صنع الله الذي أتقن كل شيء، حينئذ يكون هناك يقين ثابت[2].

4 ـ حاجز بين بحرين مالحين:

قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾

---

(1) البراهين العلمية، عبد المجيد العرجاوي، ص: 106.

(2) تأملات في العلم والإيمان، ص: 178.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمٰن: 19 ـ 22].

تتحدث الآيات الكريمة عن بحرين يتلاقيان، وفي مكان تلاقيهما يوجد حاجز والظاهر أنها تتحدث عن بحرين حقيقيين مالحين، وليس عن بحر ونهر لأنه قال: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمٰن: 22].

والمرجان: هو الخرز الأحمر، لا يخرج إلا من المياه المالحة، فالآية الكريمة إذن تتحدث عن حاجز حقيقي بين بحرين مالحين في مكان تلاقيهما، والبحران يتلاقيان في المضائق، لأنه إن لم يكن هناك مضيق فليس من مسوغ لاعتبارهما بحرين، بل يكونان بحراً واحداً، إن هذا الذي أثبتته الآية الكريمة مستغرباً جداً في عُرْف الناس، إذ الانطباع السائد أن المياه المتلاقية لا حواجز بينها، وما كان أحد يعرف هذه الحقيقة ولا تخطر له على بال إلى أن اكتشفت عام 1962م، وثبت ما قاله القرآن الكريم كحقيقة مدهشة[1].

5 ـ اهتزاز الأرض وزيادتها بالمطر:

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: 5]. إن العلم يؤكد أن الأرض تهتز فعلاً بنزول الغيث عليها، فالحبوب، والبصيلات، والدرنات، والحويصلات، والجراثيم كلها تبدأ بالحركة والانقسامات الخلوية، وامتصاص الماء، وتحليل الغذاء المعقد إلى

---

(1) البراهين العلمية، ص: 111.

وحدات أقل ارتباطاً وأكثر عدداً وأكبر حجماً، وبامتلاء مَسَام الأرض بالماء تتحرك جزيئات الطين، وتبدأ عملية تأين عجيبة في جزيئات التربة، وتنشط الديدان الأرضية في شق الأنفاق الأرضية وابتلاع كميات كبيرة من التربة المتلاصقة وإخراجها بعد ذلك مفككة، كل هذه النشاطات تؤدي إلى زيادة حجم التربة ويمكننا رؤية صورة مصغرة لهذه العمليات بتخمير العجين وزيادة حجمه نتيجة نشاط خلايا الخمائر، وفي التربة تحدث ضروب كثيرة لمثل هذا النشاط، من كل ما سبق نجد التوافق بين ما عرفه العلم وما وصفه القرآن الكريم(1).

6 ـ ﴿أوهن البيوت﴾:

قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت: 41].

إن قوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾، وقوله بعد ذلك ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: 43]، يشيران إلى أن وهن بيت العنكبوت المتحدث عنه وهن غير ظاهر ومعروف لدى عامة الناس، وقد ضرب هذا الوهن مثلاً لموالاة الكافرين بعضهم لبعض، فماذا وجد العلماء عند دراسة العنكبوت؟ وجدوا أن الروابط بين أفراد العنكبوت في غاية التفكك، فالأنثى كثيراً ما تأكل الذكر بعد الإلقاح وقد تأكل أبناءها والأبناء يأكل

(1) البراهين العلمية، ص: 127.

بعضهم بعضاً، فهو بيت متفكك متداع وذلك مثل موالاة الكافرين بعضهم بعضاً[1].

والأمثلة في البراهين العلمية على صحة العقيدة الإسلامية كثيرة، ذكرت في كتب بحثت هذا الموضوع، «كرحلة الإيمان في جسم الإنسان»، د .حامد أحمد حامد، و«البراهين العلمية على صحة العقيدة»، لعبد المجيد العرجاوي و«وحدانية الله تتجلى في وحدة مخلوقاته». للأستاذ عمر أحمد الهواري، وغيرها كثير لمن أراد التوسع.

رابعاً: دليل الأنفس:

قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: 21]. ولما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه دعاه خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من قطرة ماء إلى التبصر والتفكر في نفسه، فإذا تفكر الإنسان في نفسه استنارت له آيات الربوبية وَسَطَعت له أنوار اليقين، واضمحلت عنه غمرات الشك والريب، وانقشعت عنه ظلمات الجهل، فإنه إذا نظر في نفسه وجد آثار التدبير فيه قائمات، وأدلة التوحيد على ربه ناطقات، شاهدة لمدبره، دالة عليه مرشدة إليه[2]، وإليك بعض البراهين العلمية المتعلقة بالإنسان وخلقه:

1 ـ الإحساس والجلد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ

---

(1) البراهين العلمية، عبد المجيد العرجاوي، ص: 128.

(2) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (1 / 190).

﴿جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: 56]، وهذه حقيقة كونية وهي أن موطن الإحساس والألم في الإنسان هو الجلد، فالكافرون يعذبون عن طريق تبديل الجلد أو تغييره، وذلك ليذوقوا العذاب، فالإذاقة حسب القرآن محلها الجلد، وقد بين التشريح المجهري للجلد أنه عضو غني بالألياف العصبية التي تقوم باستقبال ونقل جميع أنواع الحس من المحيط الخارجي وذلك عن طريق طبقات الجلد «البشرة، الأدمة، النسيج تحت الأدمة» وهي تنقل حس الألم، والحرارة والبرودة، والضغط، وحس اللمس، فالقرآن ينبهنا إلى هذه الحقيقة الكونية ويقول: إن الله سبحانه كلما أراد أن يذيق الكفار بدّل جلودهم التي احترقت، وماتت فيها الألياف العصبية بجلود سليمة لم تحترق، ليذوقوا العذاب مرة أخرى، وعندما يأتي التشريح المجهري، ليقول: إن الألياف العصبية تكمن في الجلد نقول: إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد أخبرنا بهذه الحقيقة في القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً[1].

2 ـ البصمات وتحديدها لهوية الإنسان:

قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝﴾ [القيامة: 3-4]. لقد توصل العلم إلى سر البصمة في القرن التاسع عشر، وبين أن البصمة تتكون من خطوط بارزة في بشرة الجلد تجاوزها منخفضات، وتعلو الخطوط البارزة فتحات المسام العرقية، تتمادى هذه الخطوط وتتلوى، وتتفرع عنها تَغَصُّنات وفروع،

---

(1) تأملات في العلم والإيمان، ص: 180.

لتأخذ في النهاية وفي كل شخص شكلاً مميزاً، وقد ثبت أنه لا يمكن للبصمة أن تتطابق وتتماثل في شخصين في العالم، حتى في التوائم المتماثلة التي أصلها من بويضة واحدة، يتم تَكوّن البنان في الجنين في الشهر الرابع، وتظل ثابتة ومميزة له طوال حياته ويمكن أن تتقارب بصمتان في الشكل تقارباً، ولكنهما لا تتطابقان البتة، ولذلك فإن البصمة تُعَد دليلاً قاطعاً، ومميزاً لشخصية الإنسان معمول بها في كل بلاد العالم، ويعتمد عليها في تحقيق القضايا الجنائية، لكشف المجرمين واللصوص وقد يكون هذا هو السر في أن الله سبحانه وتعالى خص البنان بالذكر ليبين للإنسان هذين الأمرين:

- السر المختفي في البنان الذي لم يعلم أمره إلا في عصر الكشوف العلمية.

- القدرة الفائقة على إعادة خلق الإنسان بصورته وخلقته التي كان عليها[1].

والدعوة مفتوحة للإنسان في التفكر في أجهزته العضوية كالجهاز الهضمي والنفسي والدموي وغيرها في جسم الإنسان، وفي التأمل في عالم المشاعر والأحاسيس والأفكار والعقائد.

خامساً، دليل الهداية،

قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: 1 ـ 3]، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: 50]، والمقصود بالهداية

(1) تأملات في العلم والإيمان، ص: 131.

المرادة في الآيات السابقة: إعطاء كل مخلوق من الخلق والتصوير ما يصلح به لما خلق له، وإرشاده إلى ما يصلح في معيشته ومطعمه ومشربه، ومنكحه وتقلبه وتصرفه[1].

ومن أسماء الله الحسنى: الهادي سبحانه وتعالى الذي يُبصّر عباده، ويعرّفهم طريق الإيمان به، والإقرار بألوهيته، ومعرفة طريق بناء الحياة ومعرفة نواميسها وسننها، حتى هدى الطيور والحيوانات والهوّام والوحوش إلى ما فيه مصالحها وعيشها، ومحاذرة ما يضرّها أو يُعْطِبُها، وقد جاء اسم الهادي في القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: 31] ، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: 54].

إنها هداية المعارف الفطرية الضرورية لكل مخلوق ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه: 50].

وهي ثانياً: هداية الإرشاد والبيان التي بعث بها أنبياءه وأنزل بها كتبه ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: 73].

وثالثاً: الأخذ بالقلوب والعقول إلى مواضع رضاه بالتوفيق والإلهام والحفظ، كما وعد سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس: 9] ، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: 69]. وهو منزل الكتاب الذي من تركه ضاع في بيداء الحياة، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله[2]. وقد

(1) دار السعادة (1/ 109)، شفاء العليل، ص: 78.
(2) مع الله، الاسم الأعظم، ص: 280.

نبّه العلماء على كثير من هداية الله لمخلوقاته وكتبوا في ذلك كتباً نافعاً، فتحدثوا عن هداية الله للنمل وللهدهد والنحل وغيرها من مخلوقات الله الكثيرة وهذا باب واسع يكفي فيه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: 38]، وهذه الأمم تعبد الله وتسبحه وتحمده، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 44]، ومثل قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: 41] وتأمل معي في كل من:

1 - **النحل**: قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾. فانظر إليها وإلى اجتهادها في صنعة العسل وبنائها البيوت المسدّسة التي هي من أتمّ الأشكال وأحسنها استدارة وأحكمها صنعاً، وتلك من أثر صنع الله وإلهامه إياها وإيحائه إليها، ثم انظر كيف أدّاها حسن الامتثال إلى أن اتخذت البيوت أولاً، فإذا استقر لها بيت خرجت منه، فَرَعَت وأكلت من الثمار، ثم آوت إلى بيوتها، لأن ربها سبحانه أمرها باتخاذ البيوت أولاً ثم بالأكل بعد ذلك، ثم إذا سلكت سبل ربها مذلّلة لا يستوعر عليها شيء، ثم ترعى ثم تعود، ومن عجيب شأنها: أن لها أميراً يسمى: «اليعسوب» لا يتم لها رواح ولا إياب، ولا عمل ولا مرعى إلا به، فهي مؤتمرة لأمره، سامعة له مطيعة، وله عليها تكليف وأمر

ونهي، وهي منقادة لأمره، متبعة لرأيه يدبّرها، كما يدبّر الملك أمر رعيته، حتى إنها إذا آوت إلى بيوتها وقف على باب البيت فلا يدع واحدة تزحم الأخرى لا تتقدم عليها في العبور، بل تَعْبر بيوتها واحدة بعد واحدة، بغير تزاحم ولا تصادم ولا تراكم، كما يفعل الأمير إذا انتهى بعسكره إلى معبر ضيق لا يجوز إلا واحد واحد. ومن تدبر أحوالها وسياساتها وهدايتها واجتماع شملها وانتظام أمرها وتدبير ملكها، وتفويض كل عمل إلى واحد منها، يتعجب منها كل العجب، ويعلم أن هذا ليس في مقدورها ولا هو من ذاتها، فإن هذه أعمال محكمة متقنة في غاية الإحكام والإتقان، فمن الذي أوحى إليها أمرها، وجعل ما جعل في طباعها، ومن الذي هداها لشأنها؟ ومن الذي أنزل لها من الطلّ ما إذا جنته ردّته عسلاً صافياً مختلفاً ألوانه في غاية الحلاوة واللذاذة والمنفعة؟[1]، «إنه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى».

2 ـ **الهدهد**: ومن هدايته ما حكاه الله عنه في كتابه أن قال لنبي الله سليمان وقد فقده وتوعده فلما جاء بدره بالعذر قبل أن ينذره سليمان بالعقوبة، وخاطبه خطاباً هيَّجه به على الإصغاء إليه والقبول منه، فقال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: 22]، وفي ضمن هذا أني أتيتك بأمر قد عرفته حق المعرفة بحيث أحطت، وهو خبر عظيم له شأن فلذلك قال: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: 22]، والنبأ هو الخبر الذي له شأن والنفوس متطلعة إلى معرفته، ثم وصفه بأنه نبأ

---

(1) مفتاح دار السعادة (1/ 309 ـ 310).

يقين لا شك فيه ولا ريب، فهذه مقدمة بين يدي إخباره لنبي الله بذلك النبأ استفرغت قلب المخبر لتلقي الخبر، وأوجبت له التشويق التام إلى سماعه ومعرفته، وهذا نوع من براعة الاستهلال وخطاب التهييج، ثم كشف عن حقيقة الخبر كشفاً مؤكداً بأدلة التأكيد، فقال: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ [النمل: 23]، ثم أخبر عن شأن تلك الملكة وأنها من أجلّ الملوك بحيث أوتيت من كل شيء يصلح أن تؤتاه الملوك، ثم زاد في عظيم شأنها بذكر عرشها التي تجلس عليه وأنه عرش عظيم ثم أخبره بما يدعوه إلى قصدهم وغزوهم في عقر دارهم بعد دعوتهم إلى الله فقال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ. . .﴾ [النمل: 24.] وحذف أداة العطف من هذه الجملة وأتى بها مستقلة غير معطوفة على ما قبلها إيذاناً بأنها المقصودة وما قبلها توطئة لها، ثم أخبر عن المغوي لهم الحامل لهم على ذلك، وهو تزيين الشيطان لهم أعمالهم حتى صدهم عن السبيل المستقيم وهو السجود لله وحده، ثم أخبر أن ذلك الصد حال بينهم وبين الهداية والسجود لله الذي لا ينبغي السجود إلا له.

ثم ذكر من أفعاله سبحانه إخراج الخبء في السمٰوات والأرض، وهو المخبوء فيهما من المطر والنبات والمعادن وأنواع ما ينزل من السماء وما يخرج من الأرض، وفي ذكر الهدهد هذا الشأن من أفعال الرب تعالى بخصوصه إشعار بما خصه الله به من إخراج الماء المخبوء تحت الأرض، قال صاحب الكشاف: وفي إخراج الخبء أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الأرض، وذلك بإلهام من يخرج الخبء في السمٰوات والأرض، جلّت قدرته ولطف علمه، ولا يكاد يخفى على ذي الفراسة، الناظر بنور الله مخايل

كل شخص بصناعة أو فن من العلم في رواته ومنطقه وشمائله، فما عمل آدمي عملاً إلا ألقى الله عليه رداء عمله[1].

سادساً: دليل انتظام الكون وعدم فساده:

وانتظام أمر العالم، العلوي والسفلي، وارتباط بعضه ببعض، وجريانه على نظام محكم، لا يختلّ ولا يفسد، من أدلّ دليل على أن مدبّره واحد لا إله غيره[2].

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: 22]، لو كان في السمٰوات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء وله العبادة والألوهية التي لا تصلح إلا له «لفسدتا» أي: لفسد أهل السمٰوات والأرض[3].

وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: 91].

يقول تعالى ذكره: ما لله من ولد ولا كان معه في القديم أو عند خلقه الأشياء من تصلح عبادته، إذن لاعتزل كل إلٰه منهم بما خلق من شيء فانفرد به ولتغالبوا، ولعلا بعضهم على بعض، وغلب القوي منهم الضعيف، لأن القوي لا يرضى أن يعلوه الضعيف، والضعيف لا يصلح

(1) العقيدة في الله، ص: 116.
(2) الصواعق المرسلة، لابن القيم (3/ 464).
(3) تفسير الطبري (17/ 13).

أن يكون إلهاً، فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها لمن عقل وتدبر[1]. وهكذا فإن دليل انتظام الكون وعدم فساده دليل عقلي قوي على وحدانية الله، لا تملك العقول السوية ردّه، وهي ترى انتظام أمر السموات والأرض وما فيهن، مما يدل على وجود إله واحد متفرد بالخلق والتدبير، مما يستوجب صرف العبادة له دون سواه[2].

سابعاً: دليل التقدير:

قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: 49]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرّعد: 8] ، وظاهرة التقدير تبدو في كل ما خلق الله ﷻ في الأرض والسماء والإنسان والنبات والحيوان، فقد نظم الله أجزاء هذا الوجود على أحسن نظام وأدلّه على كمال قدرة خالقه وكمال عمله وكمال حكمته وكمال لطفه[3].

ثامناً: دليل التسوية:

قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾﴾ [النازعات: 27، 28]، وقال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: 88] وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة: 7].

والتسوية: إحسان الخلق، وإكمال الصنعة بحيث يكون المخلوق

---

(1) تفسير الطبري (18/ 49).

(2) الدلالة العقلية في القرآن، ص: 314.

(3) مفتاح دار السعادة (1/ 259).

مُهيَّئاً لأداء وظيفته وبلوغ كماله المقدَّر عنه، وجعله مستوياً معتدلاً متناسب الأجزاء بحيث لا يحصل تفاوت يخلّ بالمقصود[1] منها، وإذا تأملنا في مظاهر التسوية في الإنسان تبدو في كل عضو من أعضائه فقد أحسن الله خلقه كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين: 4] أي: منتصب القامة سويّ الأعضاء حسنها[2]، كما قال سبحانه في موضع آخر: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 7-8]، وإن الجمال والسواء والاعتدال ليبدو في تكوين الإنسان الجسدي، والعقلي والروحي، وكل ذلك يتناسق في كيانه في جمال واستواء. والأجهزة العامة لتكوين الإنسان الجسدي، كالجهاز العظمي، والجهاز العضلي، والجهاز الهضمي، والجهاز التنفسي... إلى غير ذلك من أجهزة الجسم المتعدد، كل منها عجيبة، لا تقاس إليها كل العجائب الصناعية التي يقف الإنسان مدهوشاً أمامها وينسى عجائب ذاته، وهي أضخم وأعمق وأدق بما لا يقاس[3]. وخَلْقُ الإنسان على هذه الصورة السويّة المعتدلة أمر يستحق التدبر الطويل لأنه خلق لا يملك العقل حياله إلا الإقرار بعظمة الله والشكر له، بأن أكرمه بهذه الخلْقة، وقد كان قادراً أن يركبه في أي صورة أخرى يشاؤها[4].

(1) المدخل إلى الثقافة الإسلامية، أحمد جلي، ص: 75.
(2) تفسير ابن كثير (4/ 396)
(3) الدلالة العقلية في القرآن، ص: 294.
(4) المصدر نفسه، ص: 294.

المبحث الثالث

توحيد الربوبية

ومعنى توحيد الربوبية: هو الاعتقاد الجازم بأن الله جل جلاله رب كل شيء ومالكه وخالقه ومدبر أمره ورازقه، وأنه وحده الذي ينفع ويضر ويحيي ويميت، وأنه سبحانه وحده المتصرف بهذا الكون وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى ولا مُعطي لما منع، بيده الخير وإليه ترجع الأمور وهو على كل شيء قدير[1]، وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام، بل لا بد أن يأتي مع ذلك بلازمة من توحيد الإلٰهية، لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مُقرّون بهذا التوحيد لله وحده، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزُمَر: 38].

وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ

---

(1) المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار (1/ 348).

تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۢ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: 84 - 92].

- وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يُوسُف: 106].

وغير ذلك من الآيات من القرآن كثير مما يدل على اعتراف الكفار بخالقهم وإقرارهم به[1]، وإنما عبدوا من دون الله ما عبدوا ليجعلوهم وسائط وشفعاء بينهم وبين الله، ومع ذلك يتخلون عنهم إذا نزلت بهم الشدائد ووقت الاضطرار، ومع هذا الإقرار فلم تغن عنهم شيئاً ولم ينتفعوا به، إذ لم يصبحوا به مسلمين ولم تعصم أموالهم ولا دماؤهم ولا أعراضهم، لأنهم أنكروا توحيد الألوهية، وأشركوا بربهم، ولم يلتزموا بلازم ما أقروا به، إذ إن توحيد الربوبية يلزم منه توحيد الألوهية[2]، وهو إفراد الله ﷻ بجميع أنواع العبادات.

إن المؤمن يشعر بطمأنينة كبيرة وهو يتأمل في ملكوت الله تبارك وتعالى فيرى عظمة الله في خلقه وحكمته البالغة في تدبيره ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾﴾ [الملك: 22]

والحديث عن عظمة الله يملأ القلب سكينة، والتدبر في ملكوته

(1) المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار (1/ 353).
(2) اقتضاء الصراط، ص: (460).

يملأه إيماناً، فحُق للشاعر أن يتساءل بعد جولة تأمل في مخلوقات الله سبحانه فقال:

قل للوليد بكى وأجْهَشَ بالبكاء	لدى الولادة ما الذي أبكاكا
وإذا ترى الثعبان ينفُثُ سُمّه	فاسأله من ذا بالسموم حشاكا
واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو	تحيا وهذا السمُ يملأُ فاكا
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت	شهْداً وقل للشهد من حلاّكا
بل سائل اللبن المصفّى كان	بين دم وفرثٍ ما الذي صفّاكا
واسأل شعاع الشمس يدنو وهي	أبعد كل شيء ما الذي أدناكا
يا أيها الإنسان مهلاً ما الذي	بالله جلّ جلاله أغراكا؟[1]

إن التأمّل في خلق الله ﷻ وملكوته يقود إلى رسوخ الإيمان به سبحانه، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: 190-191].

فتأمّل وسبِّح وتعبد لمن خلقك وذرأك وإليه المصير[2].

إن من أبرز صفات الله ﷻ الدّالة على ربوبيته صفة الخلق وما

(1) مع الله الاسم الأعظم، ص: 79.
(2) المصدر نفسه، ص: 79.

تميزت به، من إتقان وبديع صنع لا يكون إلا من رب العالمين، فالله ﷻ هو الذي خلق المخلوقات ومن عظيم إتقانه أن سَنَّ لها قوانين وسنناً ثابتة منها العام ومنها الخاص عليها مدار انضباطها، وهذه السنن لا يمكن إضافتها لغير الله سبحانه وتعالى، لأنه هو المتفرد بالربوبية وحده لا شريك له[1].

فالسنن العامة تخضع لها جميع الكائنات في وجودها المادي وما يمر بها من حوادث مادية، كنمو الإنسان، وحركته ومرضه وما شابه ذلك، وما تقع من حوادث كونية، كنزول المطر وتعاقب الليل والنهار وغيرها من متعلقات الوجود المادي لمخلوقات الله ﷻ. ولقد وجه الأنبياء والرسل أقوامهم إلى المشاهدة والنظر، والتأمل والتفكر في مثل هذه السنن التي تتضمن دلالات كبيرة على عظمة الخالق وحُسن تدبيره وبديع خلقه لأمره وتدبيره ﷻ، وفق سننه ونظامه وقوانينه التي وضعها بقدرته وحده لا شريك له، ومن ذلك قول نوح عليه السلام لقومه قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: 15-20][2].

وأما السنن الخاصة فهي تتعلق بخضوع البشر لها باعتبارهم أفراداً وأمماً وجماعات، خضوعاً يتعلق بتصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم

---

(1) منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني، ص: 29.
(2) المصدر نفسه، ص: 29.

في الحياة، وما يكونون عليه من أحوال وما يترتب على ذلك من نتائج كالسعادة والشقاء، والعز والذل، والقوّة والضعف، والنصر والهزيمة، ونحو ذلك من الأمور الاجتماعية في الدنيا وما يترتب عليها من جزاء في الآخرة سواء كان عذاباً أو نعيماً، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: 128]، أي الخاتمة المحمودة أو النهاية في الدنيا والآخرة لمن اتقى[1]، وكذلك ما ورد في القرآن حول غزوة أحد مثل قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: 160]. ومن سمات هذه السنن بنوعيها الثبات والإطراد والعموم، قال تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 62]، أي لن تجد لها تحويلاً وتغييراً، بل هي ثابتة دائمة[2]، فما من نبي إلا أرشد قومه إلى هذه السنن بُغية توحيد الخالق، وخاصة النوع الثاني منها التي تتعلق بالأحوال الاجتماعية، ففي الاعتبار والاتعاظ بها تتحقق الاستقامة المطلوبة في سلوك البشر، وتتحقق الضوابط المرجوة في سبيل تحقيق العبودية الخالصة لله ﷻ، لذا كان من أهداف إيراد القصص في القرآن الكريم الاتعاظ بما جاء فيها من ذكر لهذه السنن، كسنة الأخذ بالأسباب، وسنة التدافع، وسنة الله في نصر المؤمنين، وسنة الله في الفتنة والابتلاء وسنة الله في الظلم والطغيان[3] وغيرها.

---

(1) منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني، ص: 30.

(2) زبدة التفسير، **محمد سليمان الأشقر**، ص: 560.

(3) منهج الدعوة إلى العقيدة، ص: 30 ـ 36.

إن توحيد الربوبية هو أعظم برهان ودليل على توحيد الألوهية وهو بالنسبة له كالمقدمة بالنسبة للنتيجة، فمن اعتقد أن لهذا الكون العظيم الواسع خالقاً ومدبراً وقاهراً ومتصرفاً فيه، يفعل ما يشاء وله القدرة الكاملة على تبديله وتغييره وأنه الرازق لجميع المخلوقات بيده النفع والضر، ويمنع ويعطي، ويميت ويحيي، وينجي عند الشدائد، والكربات، ويجيب المضطر عند اضطراره، من اعتقد ذلك صدقاً تولد في قلبه حب ذلك الخالق العظيم، وهذه المحبة لا بد أن تثمر خضوعاً وانكساراً وتذللاً، وانقياداً وطاعة وعبودية ورِقاً لمالك هذا الكون، وكثيراً ما يذكّر الله سبحانه في كتابه الناس جميعهم بأنه هو المنعم عليهم والمتفضل عليهم بالخلق والرزق وجميع النعم، فيرشدهم بذلك لعبادته وحده لا شريك له[1]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: 3].

(1) المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار (1/ 431 ـ 435).

المبحث الرابع
توحيد الأسماء والصفات

ومعناه: الإيمان بما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله ﷺ في سنته من الأسماء الحسنى والصفات العلا، من غير تحريف ألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله ﷻ، ولا تكييفها بتحديد كُنهها، وإثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين[1].

أولاً، الأسس التي يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات،

إن توحيد الله سبحانه وتعالى في أسمائه وصفاته يتطلب التقيد في ذلك بكتاب ربنا وبسنة رسولنا ﷺ فلا نضع له اسماً أو صفة ليست واردة في المنهلين، ولا نشبهه بأحد من خلقه فهو سبحانه متصف بكل كمال منزه عن كل نقص: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11]. وعلى ذلك فيمكن أن نذكر هذه الأسس:

1 ـ أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية فلا نثبت لله تعالى ولا ننفي عنه، إلا بدليل من الكتاب أو السنة إذ لا سبيل إلى ذلك إلا من هذا الطريق.

---

(1) الإيمان، د. محمد نعيم ياسين، ص: 27.

2 ـ وأن الإيمان بأن الله تعالى لا يشبه أحداً من خلقه في أسمائه ولا صفاته كما لا يشبهه أحد من خلقه، وإن سمي أو وصف أحداً من المخلوقين بتلك الأسماء والصفات فذلك اشتراك في اللفظ لا يوجب مماثلة المخلوقين له فيما دلت عليه هذه الأسماء والصفات، فأسماء الله تعالى وصفاته على ما يليق به سبحانه وتعالى، وما يسمى به من المخلوقين أو يوصف من ذلك فعلى ما يليق بالمخلوق نفسه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

3 ـ وأن صفات الله كلها صفات كمال، فله سبحانه الكمال المطلق وهو المنزه عن كل نقص، ومما ينبغي معرفته في الإيمان بأسماء الله وصفاته أن يقطع الطمع في كيفيتها وألا يسأل عن ذلك، إذ لا يسأل عن صفات الله تعالى بكيف، وأن يعلم مع ذلك ويعتقد أن هذه الصفات معلومة المعنى، فلم يخاطب الله تعالى عباده ويتعبدهم بأمور لا يعلمون معناها، ولهذا قال الإمام مالك وغيره من علماء الأمة لمن سأل عن كيفية استواء الله تعالى على عرشه: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[1]. وقال ربيعة ـ شيخ مالك ـ قبله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا البيان[2].

ثانياً: أدلة هذا النوع من التوحيد:

لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من ذكر اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته، ومن ذلك سورة الإخلاص فهي بكاملها

(1) فتاوى، لابن تيمية (3/ 58).
(2) المصدر نفسه (3/ 58)، حماية الرسول حمى التوحيد، ص: 255.

عن أسماء الله وصفاته، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: 1-4].

وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بأنه أحد صمد، فهذان الوصفان يدلان اتصاف الله بغاية الكمال المطلق[1]، ومعنى الصمد: إنه المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد، وهذا المعنى يدل على الإثبات والتنزيه، فالإثبات بوصفه سبحانه بأنه هو الذي يصمد إليه أي يرجع إليه في كل أمر، وذلك لأنه هو المتصف بجميع صفات الكمال، فهو القادر على كل شيء والفعّال لما يريد والذي بيده الخلق والأمر والجزاء وما من قوة لغيره تعالى إلا بهيمنة منه إذا شاء أبقاها ومتى شاء سلبها، فالمرجع والمرد إليه سبحانه[2]، وأما التنزيه فبوصفه تعالى بأنه غني عن كل شيء فلا افتقار فيه بوجه من الوجوه، لا في وجوده فإنه الأول الذي ليس قبله شيء وهو الذي لم يلد ولم يولد، ولا في بقائه فإنه الذي يُطعِم ولا يُطعَم، ولا في أفعاله فلا شريك له ولا ظهير، كما أن وصفه سبحانه: بأنه أحد صمد يدل على اتصافه بالكمال المطلق[3]، فكذلك يدلان على معنى آخر وهو نفي الولادة والتوليد عن الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٤﴾ [الأنعام: 14]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: 56 ـ 58].

---

(1) علو الله على خلقه، بتصرف، ص: 28.

(2) المصدر نفسه، ص: 28، 29.

(3) المصدر نفسه، ص: 28، 29.

فإن الأحد هو الذي لا كفؤ له ولا نظير فيمتنع أن تكون له صاحبة ولا ولد قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: 101].

وفي هذا نفي عن المخلوقات مكافأته أو مماثلته للخالق ومثل ذلك قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: 1] ، أي يعدلون به غيره فيجعلون له من خلقه عدلاً ونظيراً[1]، ومثال هذا قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: 65]. أي لا شيء يساميه لا نِدٌّ ولا عدل ولا نظير له يساويه، فانكر التشبيه والتمثيل. وبهذا يتبيّن لنا أن تنزيهه سبحانه عن العيوب والنقائص واجب لذاته كما دلت على ذلك سورة الإخلاص[2].

ثالثاً: أسماء الله الحسنى:

لربنا تبارك وتعالى أسماء سمّى بها نفسه منها ما أنزله في كتابه، كالأسماء الموجودة في القرآن، ومنها ما علّمه الله تعالى بعض خلقه من الأنبياء والمرسلين، أو الملائكة المقربين، أو ما شاء الله تبارك وتعالى، ومن أسمائه سبحانه ما استأثر به في علم الغيب عنده فلا يعلمه أحد، وذلك أن لله تعالى من معاني العظمة ما لا تستطيع المخلوقات إدراكه، لأنه الإله الحق المبين، له الجمال المطلق، والكمال المطلق، والجلال

(1) من عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين، ص: 62.
(2) المصدر نفسه، ص: 62.

المطلق، والعظمة التامة، والقدرة الكاملة، فلله تعالى أسماء وصفات لا يحيط بها إلا هو سبحانه وتعالى.

1 ـ أسماء الله تبارك وتعالى كثيرة، بل كما قال ربنا ﷻ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: 109]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: 27]. فلله ﷻ من معاني الحمد والمجد، والكمال والعظمة والقوة والقدرة والسلطان ما لا يحيط به بشر، ولا يدركه عقل، ولا يقف عند منتهى كُنهه إدراك، والحديث الوارد في أسمائه ﷻ لا يعني قصر الأسماء الحسنى على التسعة والتسعين، بل إن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح ـ الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه ـ مناجياً وداعياً ربه تبارك وتعالى: «**أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[1].

وذكر في حديث الشفاعة أنه يسجد ﷺ تحت العرش، فيفتح الله عليه بمحامد يعلمّها له، لم يكن يعلمها من قبل[2].

2 ـ أسماء الله تبارك وتعالى توقيفية فلا يحق لأحد من الناس أن

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (رقم 3712)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (1/ 508).

(2) أخرجه البخاري كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار (الحديث: 6565) مطولاً، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: حديث الشفاعة (الحديث: 474).

يخترع لله تعالى اسماً، وإنما أسماؤه سبحانه ما جاء في القرآن أو السنة بصفة الاسم، مثل: الخالق، البارئ، المصور، الملك، القدوس، السلام، العزيز، الحكيم، العليّ، العظيم، المؤمن، المهيمن.

3 ـ من أسماء الله الحسنى ما يختص به سبحانه، فلا يجوز أن يُسمَّى بها غيره وهي «الرَّحْمَن» «الله»: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: 110]، ولهذا لا يتسمى أحد بهذين الاسمين من المخلوقين قط إلا قصمه الله تعالى، «فالله» و«الرَّحْمٰن» من الأسماء التي لا يُسمَّى بها أحد إلا الله ﷻ[1].

4 ـ من أسماء الله ﷻ ما يجوز أن يذكر وحده منفرداً، كالعزيز، والحميد، والحكيم، والرحيم، والعليم، والخبير، والبصير، وما أشبه ذلك، فتناديه بها وتدعوه بها، وتعرفه سبحانه، ومن الأسماء ما لا يُذكر إلا مع نظيره، بأن تصف الله تبارك وتعالى بأنه هو «النافع الضار»، أو «القابض الباسط» وما أشبه ذلك من الأسماء التي تكون متقابلة، فلو وصفت ربك تبارك وتعالى بأنه الضار فحسب، أو القابض فحسب لكان هذا مُوهِماً لمعنى لا يليق بمجد الله وكرمه وعظمته وكماله وقدسيته، لهذا لا تُذكر هذه الأسماء منفردة، وإنما تذكر مع نظيرها ومقابلها.

5 ـ معنى الإحصاء في قوله ﷺ: **«إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة غير واحد، من أحصاها دخل الجنة»**[2]: يشمل أموراً منها:

---

(1) مع الله، ص: 24.

(2) أخرجه الترمذي في كتاب: الدعوات، باب: 82 (الحديث: 3506).

أ ـ معرفة هذه الأسماء وحفظها، بحيث يستطيع الإنسان أن يعدها عداً، وقد اعتنى جماعة من أهل العلم بعدّ هذه الأسماء، كالزَّجّاج، وابن منده، وابن حزم، وأبي حامد الغزالي، وابن العربي، والقرطبي، وغيرهم من المصنفين، والعلماء الذين اعتنوا بذكر هذه الأسماء وتعدادها واستخراجها من القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وهذا داخل في معنى إحصاء أسماء الله الحسنى، وفضل عظيم للإنسان أن يكون عنده إلمام ومعرفة بأسماء الله ﷻ، وأن يتلوها، وأن يدعو الله بها[1].

ب ـ من معاني إحصائها: معرفة معانيها، فإن هذه الأسماء ليست أسماء رمزية ولا وهمية، ولا جامدة، ولا غامضة المعنى، وإنما هي بلسان عربي مبين، أُريد من الإنسان أن يتفهم معانيها، حتى تكون تلاوتنا لها ذات معنى وليس مجرد ترديد لألفاظ لا نفقه ما وراءها، وهذا بحدّ ذاته مكسب عظيم، يبارك النفس ويزكيها ويرتقي بالقلب والعقل والروح.

ج ـ الإلحاح بالدعاء لله ﷻ بهذه الأسماء كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: 180].

إن الله تبارك يجب أن يُدعى بها ولهذا قيل:

لا تسألنَّ بُنيّ آدم حاجة ... وسل الذي أبوابُه لا تُحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبُنيُّ آدم حين يُسألُ يغضبُ

فندعو الله بأسمائه الحسنى باعتدال وذلك بأن تدعو الله تعالى

---

(1) مع الله، ص: 26.

وتسأله وترجوه فيما ألمّ بك من أمر دنياك وآخرتك مما تحب وترجو، أو مما تخاف وتكره، أو تدعوه بهذه الأسماء باستحضار معانيها، وتأملها وتدبُّرِها والتعبد بمقتضياتها، والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والصلاة والذكر والاستحضار[1].

ج ـ استحضار معاني تلك الأسماء، فإن شر ما يُبتلى به الناس: الغفلة والاستغراق في ماديات الحياة والانسياق وراء صوارفها، وخير دواء للقلوب هو استحضار عظمة علّام الغيوب، والتدرج بالنفس في مراقي معرفته والإيمان به سبحانه، حتى تصل درجة: أن تعبد الله كأنك تراه[2]، فهذا يزيد المرء إقبالاً على الطاعة وحفاوة ونشاطاً، كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: 218، 219].

كما أن استشعار معاني هذه الأسماء يزيد المؤمن إعراضاً عن المعصية وزهداً فيها وإسراعاً في الإقلاع عنها، وقوة في التوبة والأوبة لما يحسُّ به من وحشة القلب والبعد عن الرب، ولما يحاذره ويستشعره من غضبه أو عتبه أو مؤاخذته سبحانه للعبد على إقامته على الذنب[3].

إن من خير ما تورثه تلك الأسماء: الصفاء والسكينة والوئام، والإحجام عن الناس، والتواضع لذي الجلال، إلى سعة العقل والفهم والإدراك، ولعلّ من إحصائها ألا تتحول إلى مادة للخصام أو الجدل

---

(1) مع الله، ص: 27.
(2) المصدر نفسه، ص: 28.
(3) المصدر نفسه، ص: 28.

الأكاديمي، الذي لا يثمر معرفة قلبية، على أن البحث العلمي الهادي مطلب لا بدّ منه لمن أراد سلوك الطريق[1].

رابعاً: الصفات الإلهية:

تنقسم الصفات الإلٰهية إلى عقلية وخبرية وإلى ذاتية وفعلية اختيارية، فالصفات العقلية والخبرية جاء بها القرآن وتحدثت بها السنة.

1 ــ الصفات العقلية:

هي التي يمكن أن يستدل عليها بالعقل فطريق إثباتها السمع والبصر، كالعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام والرحمة والحكمة والعلو ونحوها[2].

2 ــ الصفات الخبرية:

وهي التي لا يستطيع العقل إدراكها من غير طريق النصوص، فطريق إثباتها ورود خبر الصادق بها فقط، وذلك كالوجه واليدين والعين، والاستواء على العرش ونحو ذلك[3]، فهذه الصفات الخبرية يجب الإيمان بها كالعقلية من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف[4]، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11].

---

(1) مع الله، ص: 28.
(2) المصدر نفسه، ص: 59، 60، 61.
(3) المصدر نفسه، ص: 60.
(4) المصدر نفسه، ص: 61.

ـ بعض الصفات الخبرية:

1 ـ إثبات استواء الله على عرشه:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: 54]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان: 58-59].

ويجب إثبات استواء الله على عرشه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو استواء حقيقي معناه العلو والاستقرار على وجه يليق بالله تعالى(1). ولما سئل مالك بن أنس عن قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: 5]، قال الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالاً، وأمر أن يخرج السائل من المجلس(2). وأكثر من صرح بأن الله مستو بذاته على عرشه أئمة المالكية، فصرح أبو محمد بن أبي يزيد في ثلاثة مواضع من كتبه أشهرها الرسالة، وفي كتاب جامع النوادر وفي كتاب الآداب، وصرح بذلك القاضي أبو بكر الباقلاني، وكان مالكياً، وصرح به أبو عبد الله القرطبي في كتاب الأسماء الحسنى، وكذلك

---

(1) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، ص: 62.

(2) شرح حديث النزول، لابن تيمية، عقيدة المسلمين، ص: 86.

أبو عمر ابن عبد البر والطلمنكي وغيرهما من الأندلسيين، وغير ذلك من السادة المالكية[1].

إن كتاب الله ﷻ من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ وعامة الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة، مملوء بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء وأنه فوق العرش وفوق السمٰوات مستوٍ على عرشه[2].

2 ـ صفة المجيء:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفَجر: 22]، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: 210]. ويجب إثبات المجيء من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل وهو مجيء حقيقة يليق بالله تعالى[3].

3 ـ صفة الرضا:

قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المَائدة: 119].

4 ـ صفة المحبة:

قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المَائدة: 54].

5 ـ صفة الغضب:

قال تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النّساء: 93].

---

(1) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ص: (2/ 134).
(2) اجتماع الجيوش الإسلامية، ص: 96.
(3) لمعة الاعتقاد، ص: 52.

6 ـ صفة السخط:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ [محمد: 28].

7 ـ صفة الكراهة:

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: 46].

فصفة الرضا، والمحبة والغضب والسخط والكراهة صفات ثابتة لله ﷻ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فهي على ما يليق به ﷻ، وكذلك صفة الغيرة، والفرح والضحك، فقد جاء ذكرها في أحاديث نبوية صحيحة.

3 ـ الصفات الذاتية:

لا تنفك عنها الذات، بل هي لازمة لها أزلاً وأبداً، وذلك كالحياة والعلم والقدرة والقوة والملك والعظمة والكبرياء والمجد والعلو والجلال والوجه[1] وغيرها.

ـ بعض الصفات الذاتية:

1 ـ صفة الحياة:

إن الله تعالى له الحياة الدائمة التامة التي لا يعتريها، نقص بوجه من الوجوه، ولهذا قال: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: 255] وصفة الحياة ثابتة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ فالآيات منها قوله

---

(1) مع الله، ص: 65.

تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255] ، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [غافر: 65] ، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: 58]. وأما الأحاديث، فمنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللّهم لك أسلمت، وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**»[1]. ومن معاني (الحي): أن حياته صفة ذاتية بخلاف المخلوقين، فإن حياتهم من فضل الله ﷻ عليهم ومعيشتهم من عطائه وجوده وكرمه، فالله تعالى متصف بالحياة وهي صفة لذاته جل وعلا. ومن معانيها أيضاً أنه يمنح الحياة للأحياء في الدنيا، ويمنح أهل الجنة حياتهم الأبدية الأزلية السرمدية التي لا زوال لها، بل هي خلود أبدي بلا موت ولا فناء[2].

2 ـ صفة العلم:

والعلم يقتضي نفي الجهل وعلمه سبحانه علم شامل كامل محيط بالماضي والحاضر والمستقبل، وعلم مطابق للواقع، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلك: 14]، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: 255]. وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: 166].

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من شر ما عمل... (الحديث: 6837).

(2) مع الله، ص: 216.

فالله سبحانه وتعالى أحاط بكل شيء علماً ووسع كل شيء رحمة وحكمة لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعَام: 59]. وكما أن علمه لا يسبقه جهل فلا يلحقه نسيان ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: 52].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: 7]، وهو يعلم الدقائق والتفاصيل والظواهر والبواطن، والكليات والجزئيات، والمعاني والماديات، ولقد كتب مقادير كل شيء في كتاب عنده، ولذا يقول سبحانه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسرَاء: 85].

فهذا العلم يوجب الخشية منه وتعظيمه، ولذا قيل: من كان بالله أعرف كان منه أخوف، ويوجب مراقبته، لأنه كل شيء بعلمه وسمعه وبصره وتحت سلطانه.

ويوجب محبته لأنه كمال العلم محبوب للنفوس الشريفة التواقة، ويوجب محبة العلم والسعي فيه وتحصيله والتلذذ به، لأن الله يحب العلم والعلماء ويكره الجهل والجهلاء ويوجب الصبر على التعلم وذله، لأنه عبادة، وكذلك علم الدنيا والكون والإنسان، وألوان المعارف الإنسانية هي محبوبة، وعلم الشريعة والوحي والآخرة محبوب، لأنه يثمر المعرفة به والقربى منه ومعرفة ما يريد وما يحب وما يكره سبحانه وتعالى، وكذلك علم الدنيا والكون والإنسان وألوان المعارف الإنسانية هي محبوبة لأنها تزيد العبد بصيرة بخلق الله وقدرته وحكمته وعظمته وتيسر الانتفاع بهذا الكون: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثِيَة: 13].

إن صفة العلم مستمدة من اسمه العليم، وهذا الاسم الشريف العظيم يولد في النفس تسليماً لما يفعله الله في كونه، وأنه بعلمه وإرادته وحكمته، فالحكمة هي العلم، والقدرة هي قرين العلم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: 2]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: 54]، فكل شيء بقدر وكل قدر بحكمة ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: 11].

إن الإيمان بالرب (العليم) يجعل العبد أقرب إلى ربه وأكثر استشعاراً لمعيّته.

قال الشاعر:

هو العليم أحاط علماً بالذي ... في الكون من سِرٍّ ومن إعلان

وبكل شيءعلمه سبحانه ... قاصي الأمور لديه قبل الداني

لا جهل يسبق علمه كلا ولا ... ينسى كما الإنسان ذو نسيان[1]

3 ـ صفة القدرة:

القدير سبحانه: هو كامل القدرة، فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبَّرها، وبقدرته سوّاها وأحكمها وبقدرته يحيي ويميت ويبعث العباد للجزاء، وبقدرته سبحانه يقلب القلوب على ما يشاء ويريد[2]. قال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾﴾ [القيامة: 4]. وقال:

(1) مع الله، ص: 121.
(2) المصدر نفسه، ص: 235.

﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [المؤمنون: 95.] ومن السنة المطهرة حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «**إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك..**»[1].

4 ـ صفة الإرادة:

الإرادة والمشيئة بمعنى واحد فالإرادة التي تعني المشيئة هي الإرادة الكونية، وأما الإرادة الشرعية فتختلف عن الإرادة الكونية وسيأتي الحديث عنها مفصلاً بإذن الله لاحقاً والآيات والأحاديث في بيانها كثيرة جداً منها قال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المَائدة: 6] ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البَقَرَة: 185]. وأما الأحاديث فمنها حديث معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[2].

5 ـ إثبات صفة السمع والبصر:

والمعلوم والمقدر عند أهل السنة أن السميع لا يكون إلا بسمع

(1) أخرجه البخاري في كتاب: التهجد، باب: ما جاء في التطوع مثنى مثنى (الحديث: 1162).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (الحديث: 71)، وأخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة (الحديث 2386)..

والبصير لا يكون إلا ببصر، كما لا يكون القدير والحكيم إلا بقدرة وحكمة[1]. والآيات في إثبات صفتي السمع والبصر كثيرة، والأحاديث أيضاً، ولذلك سنستدل ببعض الآيات قال تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: 56]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: 134].

6 ـ إثبات صفة الكلام:

أهل السنة متفقون على أن الله يتكلم بمشيئته، وأنه لم يزل متكلماً إذا شاء وكيف شاء[2]، قال تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: 253]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 164].

فلله ﷻ من صفاته صفة الكلام وهي صفة قائمة به غير بائنة عنه، لا ابتداءَ لاتّصافه بها ولا انتهاءَ، يتكلم بها بمشيئته واختياره وكلامه تعالى أحسن الكلام، ولا يشابه كلام المخلوقين، وإذا الخالق لا يقاس بالمخلوق ويكلم به من شاء وبغيرها ويسمعه على الحقيقة من شاء من ملائكته ورسله، ويسمعه عباده في الدار الآخرة بصوت نفسه، كما كلم موسى وناداه حين أتى الشجرة بصوت نفسه فسمعه موسى، كما أن كلامه تعالى لا يشبهه كلام المخلوقين، فإن صوته لا يشبه أصواتهم وكلماته تعالى لا نهاية لها، ومن كلامه القرآن والتوراة والإنجيل، فالقرآن كلامه، سوره وآياته وكلماته[3]، والقرآن الكريم غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود فهو كلام الله وحروفه ومعانيه، والدليل أنه

---

(1) من عقيدة المسلمين، ص: 72.

(2) المصدر نفسه، ص: 73.

(3) من كتاب العقيدة السلفية في كلامه رب البرية، ص: 63.

من كلام الله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 6].

والقرآن منزل من عند الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: 1]، والقرآن غير مخلوق والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54] فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: 52]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: 5].

7 ـ علو الله على خلقه:

إن الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء ووصفه بذلك محمد خاتم الأنبياء، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة الفقهاء، وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين وجمع الله عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزاً في طباع الخلق أجمعين، فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم، ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرج من ربهم، وينطقون ذلك بألسنتهم لا ينكر ذلك إلا مبتدع غال في بدعته، أو مفتون بتقليده واتباعه على ضلالته[1]، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: 4] ، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: 18] ، وجميع معاني العلو ثابتة له سبحانه علو الذات، وعلو القدرة، وعلو القهر والغلبة، وعلو الحجة، فهو علو ذات وعلو صفات، ولذا وصف نفسه بأنه ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾

---

(1) إثبات صفة العلو، للمقدسي، ص: 63.

[طه: 5] ، فالعلو الكامل له وحده سبحانه، والعلو الدائم له وحده سبحانه ولهذا قال النبي ﷺ: «**حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه**»(1). ومن علوه أن جعل الرفعة والعلو لكتابه ولدينه ولأوليائه الصادقين كما قال تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝﴾ [طه: 68] ، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝﴾ [الزخرف: 4] وقال ﷺ: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**»(2). ومع علوه سبحانه فهو القريب مجيب سميع، ولذا يناديه العبد نداءً خفياً ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝﴾ [مريم: 3]. ويخبر عن نفسه أنه يسمع السر وأخفى والسر ضد الجهر، وما هو أخفى من السر فهو الخطرات التي لا يعيها صاحبها، ولا يدركها، والمعاني المكنونة لا يحيط المرء بها حتى عن نفسه وذاته، فهناك عالم الأسرار وهناك عالم اللاشعور واللاوعي وهناك الخفايا الخلقية التي لم يصل إليها العلم، وهناك الخفايا المستقبلية، فهو مع علوه واستوائه على عرشه محيط بذلك كله، لا تخفى عليه خافية ولذا سمَّى نفسه بذي المعارج ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝﴾ [المعارج: 3] وفسَّره بقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: 4] وذكر نزول الملائكة والروح ونزول الوحي، كما ذكر ارتفاع الأشياء وصعودها إليه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10]]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: 158] .

---

(1) أخرجه **البخاري** في كتاب: الجهاد والسير، باب: ناقة النبي ﷺ (الحديث: 2872).

(2) أخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (الحديث: 1894).

قال الشاعر:

إذا ضاقت بك الأحوال يوماً فثق بالواحد الصمد العليّ[1]

8 - إثبات صفة الوجه:

نثبت لله صفة الوجه بدون تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وهو وجه يليق به سبحانه، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: 27]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: 88] وقول النبي ﷺ: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها**»[2].

9 - إثبات صفة اليدين:

قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64]، وقال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: 75].

وقال ﷺ: «**إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمٰن ﷻ وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**»[3].

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في صفة اليد الإفراد والتثنية والجمع ففي الإفراد مثل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [المُلك: 1]، وفي التثنية كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:

---

(1) مع الله، ص: 150.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الإيمان، باب: ما جاء أن الأعمال بالنية... (الحديث: 56).

(3) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر... (3/ 1458).

64] ، وفي الجمع كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: 71]. والتوفيق بين هذه الوجوه أن نقول: **الوجه الأول**: مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت لله من يد ولا ينافي الثنيتين، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر وحينئذ لا ينافي التثني على أنه قد قيل: إن أقل الجمع اثنان، فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلاً[1].

10 ـ إثبات صفة العين:

وإثبات صفة العين على ما يليق بالله تعالى ولا يفهم منها أن العين لله جارحة كأعيننا، بل له سبحانه وتعالى عين حقيقية تليق بعظمته وجلاله وقِدَمه، وللمخلوق عين حقيقية تناسب حاله وحدوثه وضعفه، وهذا شأن جميع الصفات التي فيها المشاركة اللفظية مع صفات المخلوق[2]، والعين صفة لله تعالى بلا كَيْف، وهي من الصفات الخبرية الذاتية قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: 39] ، وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة فقط لأن المفرد المضاف يراد به أكثر من واحد مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: 34]، وقال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القَمَر: 14] ، وهنا ذكرت بصيغة الجمع مضافة إلى ضمير الجمع[3].

11 ـ إثبات صفة النفس:

قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:

(1) لمعة الاعتقاد، ص: 50.
(2) الصفات الإلهية، ص: 319.
(3) من عقيدة المسلمين، ص: 82.

54]، وقال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: 116]، وقال ﷺ: «يقول الله ﷻ أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»[1]. فالله جلّ وعلا أثبت في كتابه أن له نفساً، وكذلك قد بيّن على لسان نبيه ﷺ أن له نفساً كما أثبت النفس في كتابه، ونثبتها له على الوجه اللائق به[2].

4 ـ الصفات الفعلية:

تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وآن، وتحت مشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال وإن كان هو سبحانه لم يزل موصوفاً بالفعل بمعنى أن نوع الأفعال قديم وأفرادها حادثة، فهو سبحانه لم يزل فعالاً لما يريد ولم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الأمور، وأفعاله تقع شيئاً فشيئاً تبعاً لحكمته وإرادته، ومثل هذا الاستواء على العرش والمجيء والإتيان والنزول إلى السماء الدنيا والضحك والرضا والغضب والكراهية والمحبة والخلق والرزق والإحياء والإماتة وأنواع التدبير[3].

وأفعاله سبحانه وتعالى منها اللازم ومنها المتعدي، فالاستواء

---

(1) أخرجه البخاري، في كتاب: التوحيد، باب: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ (الحديث: 7405).

(2) لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، ص: 51.

(3) شرح العقيدة الوسطية، ص: 105. 106.

والمجيء والنزول ونحو ذلك أفعال لازمة لا تتعدى إلى مفعول، بل هي قائمة بالفاعل، والخلق والرزق والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع ونحو ذلك تتعدى إلى مفعول[1]، وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفرقان: 59] ، فذكر الفعلين المتعدي واللازم وكلاهما حاصل بمشيئته وقدرته وهو متصف بها سبحانه، كما يجب التنبيه أيضاً إلى أن من صفاته سبحانه وتعالى ما يأتي: صفة ذات وصفة فعل، وذلك مثل صفة الكلام والخلق والرحمة[2].

وقد دلت الآيات والأحاديث على اتصاف الله بالصفات الذاتية والفعلية، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: 27] ، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: 11]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: 28] ، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: 31] ، وحديث أبي هريرة قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: «أنا

(1) علو الله على خلقه، ص: 66.

(2) المصدر نفسه، ص: 66.

سيد الناس يوم القيامة» إلى أن قال: «يأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول: آدم إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله...»[1]. وعلينا إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات بلا تحريف ولا تعطيل وبلا تشبيه ولا تمثيل[2].

ـ بعض الصفات التي تطلق في باب المقابلة:

ورد في القرآن الكريم أفعال أطلقها الله عز وجل على نفسه على سبيل الجزاء والعدل والمقابلة، وهي فيما سيقت فيه مدح وكمال، ولكن لا يجوز أن يشتق لله تعالى منها أسماء، ولا تطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: 142]، وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 54]، وقوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: 67].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: 14-15]. فلا يطلق على الله لفظ مخادِع، ماكِر، ناسٍ، مستهزئٍ، ونحو ذلك تعالى الله عنه علواً كبيراً، ولا يقال: الله يستهزئ ويخادع

(1) أخرجه البخاري في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ (الحديث: 7410) مطولاً، وأخرجه أيضاً في كتاب: التفسير، باب: قول الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ (الحديث 4476).

(2) علو الله على خلقه، ص: 69.

ويمكر، وينسى على سبيل الإطلاق، وقد أخطأ الذين عدوا ذلك من أسمائه الحسنى خطأً كبيراً، لأن الخداع والمكر يكون مدحاً ويكون ذماً، فلا يجوز أن يطلق على الله إلا مقيداً بما يزيل الاحتمال المذموم منه كما ورد مقيداً في الآيات[1].

ـ الله ينزه عن كل صفة نقص:

ينزه الله ﷻ عن الغفلة والنسيان بأي وجه من الوجوه، لأنه عالم الغيب والشهادة وعلمه محيط بكل شيء، فلا يعرض له ما يعرض لعلم المخلوق من خطأ بعض المعلومات أو نسيانها والذهول عنها، قال تعالى: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه: 52]، ومنزه عن الاحتياج إلى الرزق والطعام لأنه هو الرزاق لجميع الخلق الغني عنهم وكلهم فقراء إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: 56-58]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُۗ﴾ [الأنعام: 14]، والله منزه عن الظلم للعباد بأن يزيد في سيئاتهم، أو ينقص من حسناتهم، أو يعاقبهم على ما لم يفعلوا، فإن الظلم لا يفعله إلا من هو محتاج إليه، أو من هو موصوف بالجَوْر، أما الله الغني عن خلقه من جميع الوجوه الحَكَمْ العدل الحميد، فما له وظلم العباد؟ قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46]، والله منزه عن العبث في الخلق والأمر فلم

---

(1) معارج القبول (1/ 76).

يخلق سبحانه وتعالى شيئاً عبثاً ولا باطلاً، ولا شرّع إلا حكمة عظيمة لأنه حكيم حميد، فمن تمام حكمته وحمده إتقان المصنوعات وإحكامها وإحكام الشرائع على أكمل وجه وأتمه[1].

ـ صفات الله كلها صفات كمال:

لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم والقدرة والسمع والبصر، والرحمة والعزة والحكمة والعلو والعظمة وغير ذلك، ولله ﷻ المثل الأعلى، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل: 60] ، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الرُّوم: 27] ، والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى، إن الخلق مضطرون على كون الخالق سبحانه وتعالى أجلّ وأكبر وأعلى وأعلم وأعظم وأكمل من كل شيء، فهذا مستقر في فطر الناس وهو ضروري في حق من سلمت فطرته، فدلالة الفطرة على الصفات واضحة وبينة، فإن كل حادث لا بد له من محدث، وهذا المحدث لابد أن يكون قادراً، عالماً، مريداً، حكيماً، فالفعل يستلزم القدرة، والإحكام يستلزم العلم، والتخصيص يستلزم الإرادة، وحسن العاقبة يستلزم الحكمة وفي الفطرة الإقرار لله تعالى بالكمال المطلق، والذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وكذلك في الفطرة تنزيه الله عن النقائص والعيوب، ومن القضايا البدهية المستقرة في الفطرة أن الذي

---

(1) الحق الواضح المبين، لابن سعدي، ص: 10.

يعلم والذي يقدر والذي يتكلم ويبصر أكمل من العادم لذلك، ولهذا يذكر الله تعالى هذه المسألة بخطاب الاستفهام الإنكاري ليبين أنها مستقرة في الفطرة، وأن النافي لها قال قولاً منكراً في الفطرة، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: 17]. فالتسوية منكرة في الفطرة وينكر ذلك على من سوى بينهما، فالذي ليست لديه صفات كمال، لا يمكن أن يكون رباً، ولا معبوداً، وأن العلم بذلك فطري[1]، كما قال الخليل: قال تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ [مريم: 42]، وقال تعالى عن عجل بني إسرائيل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف: 148].

ـ من لوازم استحقاق الله تعالى لصفات الكمال تفرده بالحكم:

فمن الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 10]، ثم قال مبيناً صفات من له الحكم: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى: 10-12].

ذكر سبحانه وتعالى صفات الرب الذي تفوض إليه الأمور

---

(1) عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين، ص: 102.

ويتوكل عليه، وأنه فاطر السموات والأرض وخالقها، على غير مثال سابق، وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجاً وخلق لهم أزواج الأنعام الثمانية المذكورة[1]. وأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: 11] ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: 12]، وأنه سبحانه وتعالى: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرّعد: 26]، ويقدر أي: بمعنى يضيقه على من يشاء وهو بكل شيء عليم، فعلى المسلم أن يتفقه صفات من يستحق أن يشرع ويحلل ويحرم[2].

ـ نفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد فيها:

ونفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد، قال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180].

لأنها لو لم تكن تدل على معاني وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها ولكن الله أخبر عن نفسه، بمصادرها، وأثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: 58]، فعلم أن «القوي» من أسمائه، ومعناه الموصوف بالقوة. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ [فاطر: 10]، فالعزيز من له العزة، فلولا ثبوت القوة والعزة له لم يسم قوياً ولا عزيزاً وهكذا في سائر أسمائه، وحقيقة الإلحاد فيها، أي في أسمائه تعالى العدول فيها عن الصواب فيها وإدخال ما ليس من معانيها عنها:

---

(1) أضواء البيان، بتصرف (7/ 163).

(2) من عقيدة المسلمين، ص: 141.

ـ أن تسمى بعض المعبودات باسم من أسماء الله تعالى أو يقتبس لها اسم من بعض أسمائه تعالى، كتسمية المشركين بعض أصنامهم «اللات» أخذاً من «الإله» و«العزى» أخذاً من «العزيز» وتسميتهم الأصنام أحياناً «آلهة» وهذا إلحاد واضح كما ترى لأنهم عدلوا بأسمائه تعالى إلى معبوداتهم الباطلة .

ـ تسميته تعالى بما لا يليق به، كتسمية النصارى له (أب)، وإطلاق الفلاسفة عليه «موجباً لذاته» أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

ـ وصف الله تعالى بما ينزه عنه سبحانه، كقول اليهود ولعنوا بما قالوا: إنه فقير وقولهم أنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم أيضاً ـ غلت أيديهم ـ: يد الله مغلولة، وغير ذلك من الألفاظ التي يطلقها أعداء الله قديماً وحديثاً.

ـ تعطيل أسمائه تعالى عن معانيها وهي الصفات وجحد حقائقها، كما فعلت بعض الفرق المبتدعة حيث جعلوا أسماء الله ألفاظاً مجردة لا تدل على الصفات، كقولهم: سميع بلا سمع، وعليم بلا علم.

ـ تشبيه الله تعالى بصفات خلقه[1].

ـــ آثار الصفات الإلهية في النفس والكون والحياة،

ومشهد الأسماء والصفات من أجل المشاهد، والمطلع على هذا

(1) بدائع الفوائد، لابن القيم (1 / 169).

المشهد يعرف أن الوجود متعلق خلقاً وأمراً بالأسماء الحسنى والصفات العلا، ومرتبط بها، وإن كل ما في العالم بما فيه من بعض آثارها ومقتضياتها.

فاسمه الحميد، المجيد، يمنع ترك الإنسان سدى، مهملاً معطلاً، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب، وكذلك اسمه (الحكيم) يأبى ذلك، وهكذا فكل اسم من أسمائه له موجبات وله صفات، فلا ينبغي تعطيلها عن كمالها ومقتضياتها، والرب تعالى يحب ذاته وأوصافه وأسماءه، فهو عفو يحب العفو، ويحب المغفرة، ويحب التوبة، ويفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه فرحاً لا يخطر بالبال، وكان تقدير ما يغفره ويعفو عن فاعله، ويحلم عنه ويتوب عليه ويسامحه بموجب أسمائه وصفاته، وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك، وما يحمد به نفسه ويحمده به أهل سماواته وأهل أرضه، وما هو من موجبات كماله ومقتضى حمده، وهو سبحانه الحميد المجيد، وحمده ومجده يقتضيان آثارهما.

ومن آثارهما: مغفرة الزلات وإقالة العثرات، والعفو عن السيئات والمسامحة على الجنايات مع كمال القدرة على استيفاء الحق، والعلم منه سبحانه بالجناية ومقدار عقوبتها، فحلمه بعد علمه وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن كمال عزته وحكمته[1]. كما قال الله على لسان عيسى عليه السلام في القرآن: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[المائدة: 118]. أي: فمغفرتك عن كمال قدرتك،

---

(1) مدارج السالكين، ص: 417، 418.

وحكمتك ليست كمن يغفر عجزاً ويسامح جهلاً بقدر الحق، بل أنت عليم بحقك، قادر على استيفائه، حكيم في الأخذ منه، فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات في العالم وفي الأمر، تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد، وتقديرها: هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال وغايتها أيضاً مقتضى حمده ومجده، كما هو مقتضى ربوبيته وإلٰهيته، فلله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة والآيات الباهرة، والله سبحانه دعا عباده إلى معرفته بأسمائه وصفاته وأمرهم بشكره ومحبته وذكره وتعبدهم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، لأن كل اسم له تعبد مختص به، علماً ومعرفة وحالاً، وأكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا يحجبه عبودية اسم عن اسم آخر، كما لا يحجبه التعبد باسمه: «القدير» عن التعبد باسمه: «الحليم الرحيم» أو يحجبه عبودية اسمه: «المعطي» عن عبودية اسمه «المانع» أو عبودية اسمه «الرحيم والعفو والغفور» عن اسم «المنتقم» أو التعبد بأسماء «البر والإحسان واللطيف» عن أسماء «العدل والجبروت والعظمة والكبرياء» وهذه طريقة الكمال من السائرين إلى الله وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]. والدعاء بها يتناول دعاء المسألة ودعاء الثناء، ودعاء التعبد[1]. وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ويثنوا عليه بها ويأخذوا بحظهم من عبوديتها، فالله سبحانه وتعالى يُحب بموجب

---

(1) مدارج السالكين (2/ 419).

أسمائه وصفاته، فهو «عليم» يحب كل عليم، وهو «جَوَادٌ» يحب كل جواد، «وتر» يحب الوتر، «جميل» يحب الجمال، «عفو» يحب العفو وأهله، «حيي» يحب الحياء وأهله، «بر» يحب الأبرار، «شكور» يحب الشاكرين، «صبور» يحب الصابرين، «حليم» يحب أهل الحلم. فلمحبته سبحانه للتوبة، والمغفرة، والعفو، والصفح خلق من يغفر لهم ويتوب عليهم، ويعفو عنهم، وقدر عليهم ما يقتضي وقوع المكروه والمبغوض له ليترتب عليه المحبوب له المرضي له[1].

وظهور أسماء الله وصفاته في هذه الحياة وفي النفس البشرية وفي الكون كله واضح لا يحتاج إلى دليل إلا أن الاهتداء إلى تلك الآثار أو الانتباه لها يتوقف على توفيق الله تعالى، بل إن التوفيق نفسه من آثار رحمته التي وسعت كل شيء. فلو فكر الإنسان في هذا الكون الفسيح وفي نفسه لرجع من هذه الجولة الفكرية بعجائب، واستفاد منها فوائد ما كان يحلم بها ولو تأملنا هذه الكريمة لرأينا أموراً تعجز عن التعبير عنها، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: 115-116].

ومما يؤكد أهمية هذا التوحيد هو ما تثمره أسماء الله وصفاته في قلب المؤمن من زيادة الإيمان ورسوخ في اليقين، وما تجلبه له من النور والبصيرة التي تحصنه من الشبهات المضللة والشهوات المحرمة[2].

---

(1) مدارج السالكين (2/ 420).

(2) انظر: دراسات في مباحث الأسماء والصفات، ص: 14، 15.

فهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة، فكل اسم من أسماء الله له تأثير في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك، تجاوب مع هذه المعاني وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه، ولكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، فالأسماء الحسنى والصفات العلا مقتضاها لأثرها من العبودية، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح، فمثلاً: علم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة، يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً، وعلمه بسمعه وبصره وعلمه أنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السمٰوات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطناً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره، وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية[1] الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه، وكذلك معرفته بجلال الله وعزه تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعاً من العبودية الظاهرة هي موجباتها، وكذلك علمه لكماله وجماله وصفاته العلا يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية، فرجعت تلك العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها[2]، وهذه الأحوال التي تتصف بها القلوب: هي أكمل الأحوال، وأَجَلّ وصف يتصف به القلب وينصبغ به، ولا يزال العبد

---

(1) مفتاح السعادة (2/ 90).

(2) المصدر نفسه (2/ 90).

يمرن نفسه عليها حتى تنجذب نفسه وروحه بدواعيه منقادة راغبة، وبهذه الأعمال القلبية تكمل الأعمال البدنية، فنسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإنابة إليه، فإنه أكرم الأكرمين وأجود الأجودين[1].

خامساً: أثر الصفات الإلهية على الأخلاق:

تحدث الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه «شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال» عن صفات الله وكيفية توحيده وتنزيهه والوجه الأسلم في ذلك، وكيفية التخلق بصفات الله ﷻ، فقال:

1 ـ **التخلق بالقدوس**: فقال: «القدوس»: هو الطاهر من كل عيب ونقصان وثمرة معرفته: التعظيم، والإجلال والتخلق به بالتطهير من كل حرام ومكروه وشبهة، وفضل مباح شاغل عن مولاك.

2 ـ **التخلق بالسلام**: «السلام»: إن أُخذ من تسليمه على عباده فعليك بإفشاء السلام، فإنه من أفضل خصال الإسلام، وإن أخذ من السلامة من العيوب، فهو كالقدوس، وإن أخذ من الذي سلم عباده من ظلمه، فليسلم الناس من غشك وظلمك وضرّك وشرّك، فإن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

3 ـ **التخلق بالإيمان**: «المؤمن»: إن أُخذ من تصديق الله نفسه فعليك بالإيمان بكل ما أنزله الرحمٰن، وإن أُخذ من أمنه العباد من ظلمه، فأظهر من برك وخيرك ما يؤمن الناس من شرك وضرك، وإن أخذ من خالق كل أمن فاسع لعباد الله من كل أمن[2].

---

(1) القواعد الحسان لتفسير القرآن، للسعدي، ص: 130.

(2) شجرة المعارف، ص: 39.

4 ـ **التخلق بالهيمنة**: «المهيمن»: هو الشهيد، فإن أخذ من مشاهدته لعباده وعليهم في القيامة، فثمرة معرفته خوفك وحياؤك من شهادته عليك إن عصيته، ورجاؤك شهادته لك إن أطعته، والتخلق به أن تقوم بالشهادة في كل ما نفع وضرّ، وساء وسرّ، ولو على نفسك أو الوالدين والأقربين.

5 ـ **التخلق بالعزة**: «العزيز»: إن أخذ من الغلبة فهو كالقهار وثمرة معرفته الخوف وإن أخذ من الامتناع من الضّيم فلا تخلق به إلا في بعض الضُيوم، كضيم الكفار الفجار، وإن أخذ من الذي يعز وجود مثله فهو سالب للنظير، فلا تخلق به إلا بالتوحد بالطاعة والعرفان على حسب الإمكان، بالنسبة إلى أبناء الزمان[1].

6 ـ **التخلق بالجبر**: «الجبار»: إن أخذ من جبروت العظم والفقير، إذ أصلحتهما فثمرت معرفته رجاء جبره وإصلاحه والتخلق به، بأن تعامل عباده بكل خير وإصلاح تقدر عليه، أو تصل إليه، وإن أخذ من العلو فهو كالعلي، وثمرة معرفته كالثمرات معارف جميع الصفات، وإن أخذ من الإجبار فهو كالقهار[2].

7 ـ **التخلق بالتكبر عن الرذائل**: «المتكبر»: إن أخذ من تكبره عن النقائص فهو كالقدوس، فتكبر عن كل خلق دنيء، وإن جعل شاملاً لجميع الأوصاف فثمرة معرفته الإجلال والمهابة في جميع الأحوال الحادثات من سائر الصفات، وكذلك العظيم والجليل والعلي والأعلى[3].

(1) شجرة المعارف، ص: 39.
(2) المصدر نفسه، ص: 39.
(3) المصدر نفسه، ص: 39.

8 ـ **التخلق بالحلم**: «الحليم»: هو الذي لا يعجل بعقوبة المذنبين، فاحلم عن كل من آذاك وظلمك وسبّك، وشتمك، فإن مولاك صبور حليم، بَرٌّ كريم، يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون.

9 ـ **التخلق بالصبر**: «الصبور»: هو الذي يعامل عباده معاملة الصابرين، فعليك بالصبر على أذية المؤذين وإساءة المسيئين فإن الله يحب الصابرين[1].

10 ـ **التخلق بالإعزاز**: «المعز»: خالق العِزّ وثمرة معرفته الطمع في إعزازه بالمعارف والطاعات والتخلق به، بإعزاز الدين ومن تبعه من عباد الله المؤمنين.

11 ـ **التخلق بالإذلال**: «المذل»: خالق الذلُّ وثمرة معرفته خوف الإذلال بالمعاصي والمخالفات، والمعاملة به بإذلال الباطل وأشياعه وإخمال العُدوان وأتباعه[2].

12 ـ **التخلق بالانتقام**: «المنتقم»: هو المعذب لما يشاء من عباده عدلاً، وثمرة معرفته الخوف من انتقامه والتخلق به لمن ابتُلي بشيء من الولايات بالانتقام من الجنُاة بالحدود، والتعزيزات والعقوبات المشروعات[3].

13 ـ **التخلق باللطف**: «اللطيف»: إن أخذ من معرفة الدقائق فثمرة معرفته خوفك ومهابتك وحياؤك من معرفته بدقائق أحوالك

(1) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال، ص: 39.
(2) المصدر نفسه، ص: 41.
(3) المصدر نفسه، ص: 43.

وخفايا أقوالك وأعمالك إذ لا يعزب عن خالق الأشياء مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: 14].

14 ـ **التخلق بالشكر**: «الشكور»: إن أخذ من ثنائه على عباده، فثمرة معرفته رجاؤك الدخول في مدحته بطاعته ومعرفته، والتخلق به بشكر مولاك، وشكر أبويك وشكر كل من أحسن إليك[1]، «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**»[2].

15 ـ **التخلق بالحفظ**: «الحفيظ»: إن أخذ من العلم فقد سبق، وإن أخذ من ضبط الأشياء وحفظها فثمرة معرفته رجاؤك حفظه في أولادك وأُخراك والتخلق به بحفظ ما أمرتَ به من الطاعات والأمانات، فإن الله قد مدح الحافظين لحدوده، وبشَّرَهُم بإنجاز وعوده فقال: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾ [قٓ: 32].

16 ـ **التخلُّق بالتقديم والتأخير**: «المقدم والمؤخِّر»: ثمرة معرفتها المهابة والإجلال والاعتماد عليه في تقديمه وتأخيره ورجاء أن يُقدِّمَك بطاعته، وخوف أن يؤخِّرك بمعصيته، والتخلق بهما بتقديم ما أمرت بتقديمه وتأخير ما أمرت بتأخيره، بأن تقدم الأمثال على الأراذل، وأن تقدم أوجب الطاعات على واجبها، وأفضلها على فاضلها، ومضيِّقَها على موسعها، وبأن تقدم القُربات والطاعات إلى أوائل الأوقات، فإن الله مدح الذين يسارعون في الخيرات[3].

---

(1) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال، ص: 45.

(2) أخرجه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: في شكر المعروف (الحديث: 4811).

(3) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال، ص: 45.

17 ـ **التخلق بالبَرّ**: (البرُّ): هو المنعم، وثمرة معرفته رجاء أنواع برّه، والتخلق به بأن تبرَّ كُلَّ من تقدر على بره بأحبِّ أموالك إليك وأنفسها لديك، فإنَّ مولاك يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: 92].

18 ـ **التخلق بالتوبة**: «التّواب»: إن جُعل بمعنى الموفّق للتوبة فثمرة معرفته رجاء توبته عليك، والتخلف به بأن تَحُثَّ المسيءَ على التوبة وتحرّضهُ على الأوْبَة، وإن جُعل بمعنى قابل التوبة، فاقبل عذر من أساء إليك وندم على جرأته عليك[1].

19. ـ **التخلق بمعنى المغني**: والتخلق به بأن تُغني كلّ محتاج بما تقدر عليه من علم وغيره، فتذكر الغافل، وتُعلم الجاهل، وتُقيم المائل وتُسيِّر العائل.

20 ـ **التّخلق بالضُّر والنَّفع**: «الضار والنافع»: ثمرة معرفتها خوف الضَّرر ورجاءُ النفع والتخلق بهما بنفع كل من أُمرت بنفعه، وضرّ كلَّ من أمرت بضره بجد أو قتل أو غيره، «... **والخلق عيال الله، فأحبهم إليه أنفعهم لعياله**»، فعليك ببذل المنافع لكلّ دان وشاسِع[2].

21 ـ **التخلق بهداية الضال**: **«النور الهادي»**، ثمرة معرفتها رجاؤك أن ينور جَنَانك بمعرفته ويزين أركانك بآثار هدايته، والتخلق بهما بأن تكون نوراً من أنوار الله، هادياً إلى صراط الله. فوالله **«لأن**

---

(1) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال، ص: 47.

(2) المصدر نفسه، ص: 48.

يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن تكون لك حُمر النَّعم»[1].

22 ـ **التخلق بالقبض والبسط**: «القابض الباسط»: ثمرة معرفتها الخوف من قبض منافع الدنيا والآخرة، ورجاء بسط الخيرات العاجلة والآجلة، والتخلق بالبسط بأن تبسط برك ومعروفك على كل محتاج حتى على الدواب والكلاب والذّرّ إذ في كل كبد رطبة أجر[2]. والتخلق بالقبض بأن تقبض عن كل أحد ما ليس له أهلاً، من مال وولاية وعلم وحكمة، فلا تؤتوا السفهاء أموالكم فيتلفوها[3].

23 ـ **التخلق ببذل الهبات**: «الوهاب» ثمرة معرفته رجاء أنواع هباته وصلاته، والتخلق به بكثرة الهبات والصّلات مُقدّماً للآباء والأمهات، والبنين والبنات.

24 ـ **التخلق بالجود والكرم**: «الجواد الكريم» ثمرة معرفتهما الطمع في آثار جوده وكرمه والتخلق بهما لمن أراد الوصول إليه بأن تجود بكل ما يقدر عليه من مال وجاه وعلم وحكمة، وبر ومساعدة.

25 ـ **التخلق بالإجابة**: «المجيب» ثمرة معرفته رجاء إجابة دعائك لعلمه بافتقارك إليه واعتمادك عليه، وأنه سامع لدعائك عالم ببلائك، خابر لسرّائك وضرّائك، والتخلق به بإجابة مولاك فيما دعاك إليه من قُرُباته، وبإجابة كل داع إلى ما يُرضي مولاك في طاعاته وعباداته[4].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر (الحديث: 4210).
(2) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال، ص: 49.
(3) المصدر نفسه، ص: 49.
(4) المصدر نفسه، ص: 50.

26 ـ **التخلق بالمجد**: «المجيد» الذي كثر شرفه، وتمّ كماله وجلاله في ذاته وصفاته، وثمرة معرفته المهابة والإجلال، والتخلق به يمكن التخلق به مما سبق ذكره، فإنه شامل لجميع الصفات كما شمِلها ذو الجلال والإكرام، فهذه إشارات إلى كيفية التخلق بالصّفات ولا يحصل التخلق بالصفات إلا لمن واظب على التحديق إليها، والإقبال عليها، ولذلك أمرنا الله تعالى بإكثار ذكره لنُلابس ما يثمره ذكره من الأحوال والأقوال والأعمال[1].

سادساً: وصف الله نفسه بالمغفرة لا يعني الإسراف في المعاصي:

وصف الله سبحانه نفسه بأنه غفار وغفور للذنوب والخطايا والسيئات لصغيرها وكبيرها، وحتى الشرك إذا تاب منه الإنسان واستغفر ربه قبِل الله توبته وغفر له ذنبه، قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُمَر: 53]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾[النساء: 110] ومهما كبرت ذنوب هذا الإنسان فإن مغفرة الله ورحمته أعظم من ذنوبه التي ارتكبها قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: 32]، وقد تكفل الله سبحانه بالمغفرة لمن تاب وآمن، قال تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: 82]، ومن فضله وجوده وكرمه تعهد أن يبدل سيئات

(1) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال، ص: 50.

المذنبين إلى حسنات ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 96]. ولكن لا يجوز للمسلم أن يسرف في الخطايا والمعاصي والفواحش بحجة أن الله غفور رحيم، فالمغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين، قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: 25]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النمل: 11]، فاشترط تبدل الحال من عمل المعاصي والسيئات إلى الصالحات والحسنات لكي تتحقق المغفرة والرحمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: 48]، يبين الله أن المقيم على الشرك حتى الوفاة لا غفران لذنوبه؛ لأنه لم يبدل حسناً بعد سوء، وكذلك قوله تعالى عن المنافقين: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: 6] لأنهم لم يخلصوا دينهم لله ولم يصلحوا من أحوالهم، وأما إذا حصل ذلك فإن المغفرة تحصل لهم مع المؤمنين، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: 146]، فلابد من الأخذ بالأسباب المؤدية إلى المغفرة، وأما إن مات وهو مقيم على الكبائر من غير أن يتوب، فإنه ليس له عهد عند الله بالمغفرة والرحمة، بل إن شاء غفر له وعفا عنه لفضله، وإن شاء عذبه في النار لعدله ثم يخرجه برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يدخله الجنة، وذلك للموحدين خاصة[1].

---

(1) النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، ص: 150، 151، شرح الطحاوية، ص: 416، 421.

المبحث الخامس

توحيد الألوهية

أولاً: تعريفه ومكانته خاصة[1]:

هو إفراد الله ﷻ بجميع أنواع العبادات وإخلاصها له وحده لا شريك له ظاهراً وباطناً، وهو توحيد الله تعالى بأفعال العباد ويسمى توحيد العبادة، لأن الألوهية والعبودية بمعنى واحد، إذاً معنى الإله: المعبود[2]، قال ابن عباس ﵄: الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين[3].

وهذا التوحيد أعظم أنواع التوحيد وأهمها، والمتضمن لها جميعاً، ولا يصير العبد مؤمناً إلا بتحقيقه وهو الذي لأجله خلق الله عباده وأنزل كتبه، وبعث أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام[4]، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56]

---

(1) المنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، ص: 150، 151، شرح الطحاوية، ص: 416. 421.

(2) حماية الرسول حمى التوحيد، ص: 234.

(3) دعوة التوحيد، خليل الهراس، ص: 37.

(4) حماية الرسول حمى التوحيد، ص: 234.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: 36].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البيّنة: 5].

ـ وهذا التوحيد هو معنى قول: لا إله إلا الله والتي معناها: لا معبود بحق إلا الله(1).

ـ ومما يدل على أهمية توحيد الألوهية أنه هو التوحيد الذي أرسل الله به الرسل من أولهم إلى آخرهم واتفقت دعوة الرسل من أول رسول بعثه الله إلى خاتمهم محمد ﷺ اتفقت دعوتهم إلى البدءِ بدعوة أقوامهم إلى إخلاص العبادة لله ونبذ الشرك بكل صوره وأسبابه ووسائله المؤدية إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: 25]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: 59]، وقال عن نبيه ابراهيم عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [العنكبوت: 16]، وقال تعالى عن كليمه موسى عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه: 98]، وقال تعالى عن المسيح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ

---

(1) منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل (1/ 261).

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: 63-64].

- وأول ما بدأ به خاتمهم محمد ﷺ دعوته إلى الله ﷻ دعوة الناس إلى إخلاص العبادة لله، ونبذ الشرك بأنواعه ووسائله وأسبابه بالقول والفعل، فحمى ﷺ حمى التوحيد، ودعا إليه، وأنذر الشرك غاية الإنذار واستمر على هذا المنهج حتى لحق بالرفيق الأعلى ﷺ، واقتدى به أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، وكل من اتبع طريقته واستن بسنته، فطريقته في الدعوة هي: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108]، وفي هذه أمر الله رسوله ﷺ أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي: طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعو بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان، وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة وبرهان عقلي وشرعي[1].

وقد بيَّن رسول الله ﷺ أن توحيد العبادة أساس الإسلام وأنه أول ما يبدأ له في الدعوة إلى الله ويدل على ذلك رسائله ﷺ ومبايعته وجهاده ووصاياه لقواده، وغير ذلك من الأمور، ومن الأمثلة الدالة على هذا:

1 - إرساله ﷺ معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن لدعوة قوم من أهل الكتاب إلى توحيد الله ﷻ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً

(1) تفسير ابن كثير (2/ 513 - 514).

إلى اليمن قال له: **«إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»**، وفي رواية: **«إلى أن يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك على ذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة»**[1]، فبين ﷺ أن أول ما يبدأ به في الدعوة إلى الله تعالى إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وإخلاص العبادة له جلّ وعلا[2].

2 ـ وكذلك أمره ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر بدعوة اليهود إلى التوحيد أولاً حيث أعطاه ﷺ الراية وقال: **«انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»**[3]، وفي رواية أخرى: فسار علي رضي الله عنه ثم وقف ولم يلتفت فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟ فقال ﷺ: **«قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»**[4].

3 ـ وكذلك مبايعاته ﷺ تدل على أن أول ما يبدأ به في الدعوة

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى... (الحديث: 4347).

(2) منهج السلف والمتكلمين (1/ 267).

(3) أخرجه البخاري في كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: بعث أبي موسى... (الحديث: 3701).

(4) أخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (الحديث: 6172).

إلى الله إخلاص العبادة لله الذي هو التوحيد، ومن الأمثلة على ذلك: عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس: «**تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً**»[1]، وعن أم عطية ﷺ قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا: «﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾» [الممتحنة: 12][2].

4 ـ وكذلك جهاد النبي ﷺ وقتاله إنما كان من أجل دعوة الناس إلى إخلاص العبادة لله ﷻ والبراءة من الشرك وأهله، والدفاع عن راية التوحيد، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله ﷻ**»[3].

ثانياً: الطريقة القرآنية في الدعوة لتوحيد الألوهية:

تعددت الأساليب القرآنية في الدعوة إلى توحيد الألوهية:

1 ـ منها بيان آيات ربوبيته سبحانه التي يراها الناس ويقرون بها، وإنه هو سبحانه هو خالقها، ثم يختمها بالدعوة إلى إفراده سبحانه بالعبادة، فكما أنه المتفرد بهذا الخلق، فيجب أن يكون وحده سبحانه

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الأحكام، باب: بيعة النساء (الحديث: 7213).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: التفسير، باب: إذا جاءك المؤمنات يبايعنك (الحديث: 4892).

(3) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الإيمان، باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (الحديث: 25).

المتفرد بالعبادة لا شريك له، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: 21-22].

وكقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: 59-64] يقول الله تعالى في آخر كل آية: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: أإله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام إنكار، يتضمن نفي ذلك، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله[1].

2 ـ ومنها شهادة الله سبحانه على توحيد الألوهية، فقد شهد الله لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له به ملائكته وأنبياؤه ورسله، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل

(1) المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية، ص: 55، 56.

عمران: 18-19].

3 ـ ومنها بيان عجز الآلهة التي يدعونها من دون الله تعالى، وأنها لا تملك لنفسها كما لا تملك لغيرها نفعاً ولا ضراً من دون الله، وجاء ذلك في آيات كثيرة من كتاب الله، فعلى سبيل المثال، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: 73]، والآيات في هذا كثيرة تبين عجز هذه الآلهة التي اتخذوها من دون الله تعالى، وأنها لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعاً ولا ضراً.

4 ـ ومنها بيان عبّاد هذه الآلهة والتنديد بهم، والتشنيع عليهم ووصفهم بالضلال والغي والعمي، والبعد عن الهدى والرشاد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت: 41]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: 3] والآيات في هذا الباب كثيرة.

5 ـ ومنها بيان ما يقع يوم القيامة بين هؤلاء المشركين وآلهتهم من براءة بعضهم من بعض، وتخليهم عن عابديهم وتنكرهم لاتباعهم، في حال هم أحوج ما يكون إلى من يشفع لهم، ويدافع عنهم، ومن

ذلك قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يونس: 28-29].

6 ـ ومنها ما جاء في قصص الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم أممهم إلى توحيد الله وإفراده وحده بالعبادة، وكان ذلك مفتاح دعوة كل نبي ورسول، وما جرى بينهم وبين أقوامهم لأجله من خصومة، وما دارت بسببه من معارك عظيمة بالبيان والسنان، وما كان من ذلة وهلاك لأعداء الله وأعداء رسله ونصر ومنعة وغلبة للرسل وأتباعهم، وتلك سنة الله في خلقه، وهو الذي يقول بعد ما قص دعوة عدد من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: 83].

والآيات عن قصص الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مع أممهم كثيرة جداً نكتفي بمثال واحد لذلك وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: 9-14].

والحديث عن قصص الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام مع أممهم في دعوتهم يوضح أن توحيد الله وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له هو المهمة الأولى للرسل عليهم الصلاة والسلام، ومما تقدم يتبين أهمية توحيد الألوهية المتضمن لأنواع التوحيد جميعاً والمطلوب من الناس كافة[1].

ثالثاً: معنى العبادة:

مدار العبادة في اللغة والشرع على التذلل والخضوع والانقياد، والعبادة في اللغة من الذلة، يقال: طريق معبد وبعير معبد أي مذلل، وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف[2].

والعبادة في تعريفها الشامل هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار، واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة،

(1) حماية الرسول حمى التوحيد، ص: 249.
(2) تفسير ابن كثير (1/ 26)، تفسير الطبري (1/ 160).

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله، وذلك أن العبادة هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: 56]، وبها أرسل جميع الرسل[1].

والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته، فالمحبوب الذي لا يعظم ولا يذل له لا يكون معبوداً، والمعظم الذي لا يحب لا يكون معبوداً[2].

شروط قبول العبادة في القرآن الكريم:

الشرط الأول: الإخلاص: وهذا الشرط متعلق بالإرادة، والقصد، والنية والمقصود به: إفراد الحق سبحانه وتعالى بالقصد والطاعة[3]، والنية تقع في كلام العلماء بمعنيين، **إحداهما**: تمييز العبادات بعضها عن بعض، كتمييز صلاة الظهر عن صلاة العصر مثلاً، إلى أن قال: **والمعنى الثاني**: بمعنى تمييز المقصود بالعمل هل هو لله وحده لا شريك له، أم لله وغيره، وهذه النية التي يتكلم فيها العارفون في كتبهم في كلامهم على الإخلاص وتوابعه[4]، والأدلة على هذا الأصل في القرآن والسنة وعلماء الأمة ومن سار على نهجهم كثيرة فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ

(1) مجموع الفتاوى (10/ 149، 150).

(2) التحفة العراقية، ص: 63، مجموع الفتاوى (20/ 6).

(3) مدارج السالكين (2/ 91).

(4) جامع العلوم والحكم، **لابن رجب**، ص: 8.

﴿مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: 2-3]، أي: لا يقبل الله من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له[1].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩﴾ [الأعراف: 29].

ومن الأحاديث النبوية قوله ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»**[2].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد، فأُتي به، فعرّفه نعمه، فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت؛ لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلّمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلّمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه**

(1) تفسير ابن كثير (3/ 158).
(2) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الوحي، باب: ما جاء أن الأعمال بالنية. . . (الحديث: 54).

من أصناف المال، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: جواد، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار»[1].

الشرط الثاني في قبول العبادة، الموافقة للشرع: وأما الأدلة من القرآن فكثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام: 153].

وقوله سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: 3].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ﴾ [النساء: 125].

وقوله ﷺ: **«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه»**[2].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (الحديث: 4900).

(2) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» في كتاب: القدر، باب: النهي عن القول بالقدر (الحديث: 1708).

وقوله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**»[1].

وقال ﷺ: «**لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»[2].

وعن مطرف بن عبد الله يقول: سمعت مالك بن أنس إذا ذكر عنده الزائغين في الدين يقول: قال عمر بن عبد العزيز ﷺ: سَنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله ﷻ، واستكمالاً لطاعة الله ﷻ، وقوة على دين الله تبارك وتعالى، ليس لأحد من الخلق تغييرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خلافها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين، ولاه الله تعالى ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً[3]. ومما روي عن الفضيل بن عياض أنه تلا قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: 7]، فقال: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً، لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، **والخالص**: إذا كان لله ﷻ، والصواب: إذا كان على السنة[4].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة... (الحديث: 4467).

(2) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب: اتباع سنة رسول الله ﷺ (الحديث: 5).

(3) الشريعة، للآجري، ص: 48.

(4) مدارج السالكين (2 / 89).

وبعد ذكر شرطي العبادة المقبولة عند الله سبحانه وتعالى يتبين أن دين الإسلام مبني على أصلين: أن نعبد الله وحده لا شريك له، وأن نعبده بما شرعه من الدين، وهو ما أمرت به الرسل[1].

إن الغاية من خلق الإنسان وكتابة الموت والحياة عليه واضح في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [المُلك: 2]. والأحسن عملاً يتضمن أمرين: كما فسر ذلك الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما قال: أحسنه أي أخلصه وأصوبه[2].

فأخلصه هو (لا إله إلا الله)، وأصوبه هو (محمد رسول الله)، وهو الذي أشارت إليه سورة الفاتحة - أم القرآن الكريم - ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 6-7]. والذين أنعم الله عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، ومنهم الرسول الكريم ﷺ وصحابته - رضوان الله عليهم - والذين ساروا على هذا ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6]، أي الصواب الموصل للغاية، وهذا الطريق وسط بين طرفين[3].

رابعاً: حقيقة العبادة:

إن دائرة العبادة التي خلق الله لها الإنسان، وجعلها غايته في

(1) مجموع الفتاوى (1 / 189).
(2) تفسير البغوي، معالم التنزيل (4 / 269).
(3) الوسطية في القرآن الكريم، ص: 389.

الحياة ومهمته في الأرض، دائرة رحبة واسعة: إنها تشمل شؤون الإنسان كلها، وتستوعب حياته جميعاً، وتستغرق كافة مناشطه، وأعماله[1]، ومن التعريف السابق للعبادة، عندما ذكرنا بأنه اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، لا يمكن أن يخرج أي شيء من نشاطات الإنسان وأعماله سواء أكان ذلك في العبادات المحضة، أم في المعاملات المشروعة، أم في العادات التي طبع الإنسان على فعلها، وإن كان ينبغي لنا الإشارة إلى أن الأصل في العبادات المحضة المنع حتى يرد ما يدل على مشروعيتها، وأن أصل العادات العفو حتى يرد ما يدل على منعها، وذلك مبني على أن تصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان: عبادات يصلح بها دينه، وعادات يحتاجون إليها في دنياهم، فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله، أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع.

وأما العادات: فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه، والأصل فيه عدم الحظر، فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى وذلك لأن الأمر والنهي هنا شرع الله، والعبادة لا بد أن يكون مأموراً بها[2]، فما لم يثبت أنه مأمور به، كيف يحكم عليه بأنه عبادة؟ وما لم يثبت من العبادات أنه منهي عنه كيف يحكم عليه أنه محظور؟

والعادات الأصل فيها العفو، ولا يحظر منها إلا ما حرم الله[3]. وهذا التقسيم في الحظر والإباحة لا يخرج شيئاً من أفعال الإنسان العادية من دائرة العبادة لله، ولكن ذلك يختلف من درجته ما بين عبادة

---

(1) العبادة في الإسلام، للقرضاوي، ص: 53.

(2) الوسطية في القرآن الكريم، ص: 380.

(3) مجموع الفتاوى (29 / 116 ، 117).

محضة وعادة مشوبة بالعبادة، وعادة تتحول بالنية والقصد إلى عبادة، لأن المباحات يؤجر عليها بالنية والقصد الحسن، إذا صارت وسائل للمقاصد الواجبة، أو المندوبة، أو تكميلاً لشيء منها[1]، وقال النووي في شرحه لحديث: «وفي بُضع أحدكم صدقة»[2]. وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنية الصادقة[3]، ومن ذلك يتضح: أن الدين كله داخل في العبادة والدين منهج الله، جاء ليسع الحياة كلها، وينظم جميع أمورها من أدب الأكل والشرب وقضاء الحاجة إلى بناء الدولة، وسياسة المال، وشؤون المعاملات والعقوبات، وأصول العلاقات الدولية في السلم والحرب.

إن الشعائر التعبدية من صلاة وصوم، وزكاة لها أهميتها ومكانتها، ولكنها ليست العبادة كلها، بل هي جزء من العبادة التي يريدها الله تعالى.

إن مقتضى العبادة المطالب بها الإنسان أن يجعل المسلم أقواله وأفعاله وتصرفاته وسلوكه وعلاقاته مع الناس، وفق المناهج والأوضاع التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، يفعل ذلك طاعة لله واستسلاماً لأمره[4].

والدليل على المفهوم الشامل للعبادة من الكتاب والسنة وفعل

---

(1) حقيقة البدعة وأحكامها، للغامدي (1، 19).
(2) أخرجه مسلم في كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع... (الحديث: 2326).
(3) شرح النووي (ج7، ص: 92).
(4) مقاصد المكلفين، د. عمر الأشقر، ص: 46، 47.

الصحابة رضوان الله عليهم، فأما من القرآن الكريم فقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: 162، 163].

ومن السنة قوله ﷺ: **«إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة، وهو يحتسبها كانت له صدقة»**[1].

وقوله ﷺ: **«دخلت امرأة النار في هرة، ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من حشاش الأرض حتى ماتت»**[2]، وأما الاستدلال على عموم العبادة وشمولها لحياة الإنسان عند الصحابة ففي قصة بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن، وفي آخره قال أبو موسى لمعاذ: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي[3]، وفي كلام معاذ ﷺ دليل أن المباحات يؤجر عليها بالقصد والنية.

خامساً: أنواع العبادات:

إن أنواع العبادات كثيرة نذكر منها:

1. **ـ الدعاء: لغة:** الرغبة إلى الله، وجاء في نصوص القرآن

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الإيمان، باب: ما جاء أن الأعمال بالنية. . . (الحديث: 55).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الخلق، باب: خمس من الدواب فواسق. . . (الحديث: 3318).

(3) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن (الحديث: 4342).

والسنة بمعنى العبادة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: 60].

وقال تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١٤﴾ [غافر: 14].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البَقَرَة: 186].

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: 55-56].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ۝٢١٣﴾ [الشُّعَرَاء: 213].

ومن أسباب قبول الدعاء: المطعم الحلال، وألا يستبطئ الإجابة، ولا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجزم في الدعاء، وحضور القلب وسلامته من الغفلة والخشوع والابتعاد عن المعاصي والإخلاص في الدعاء لله ﷻ[1].

ويمكن أن يقترن الدعاء بتوسل مشروع، كالتوسل بأسماء الله الحسنى أو بصفة من صفاته العليا، أو أن يتوسل العبد إلى الله بأعماله

(1) الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة، للقحطاني، ص: 122.

الصالحة التي يرجى قبولها عند الله، أو يطلب الدعاء ممن يظن صالحهم أو بالتوسل بهم بشرط أنهم أحياء، وقد تحدث العلماء عن أنواع التوسل المشروعة منها:

أ ـ التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العليا:
والدليل على هذا النوع من أنواع التوسل قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[الأعراف: 180]. كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمٰن الرحيم، اللطيف الخبير أن تعافيني أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني، وتغفر لي[1].

ولقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180] ، أي ادعوا الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى ولا شك أن صفاته العليا ﷻ داخلة في هذا الطلب، لأن أسماء الله الحسنى سبحانه صفات له خصت به تبارك وتعالى[2]، ومن الأدلة كذلك دعاء سليمان عليه الصلاة والسلام حيث قال: ﴿أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: 19].

ب ـ التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة التي يقوم بها العبد كأن يتوسَّل إلى الله تعالى بالإيمان به وطاعته واتباع رسوله ﷺ

---

(1) الذكر والدعاء والعلاج بالرقي من الكتاب والسنة، ص: 99.
(2) المصدر نفسه، ص: 99، انظر: منهج القرآن في الدعوة إلى الله، ص: 165، 166.

ومحبَّته ومن هذا النوع قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عِمرَان: 16].

فيمكن للعبد أن يقول: اللّهم بإيماني بك، أو محبتي لك، أو اتباعي لرسولك اغفر لي، أو تقول: اللّهم إني أسألك بمحبتي لمحمد ﷺ، وإيماني به أن تفرج عني، ومن ذلك أن يذكر الداعي عملاً صالحاً ذا بال فيه خوفه من الله سبحانه، وتقواه إياه، وإيثاره رضاه على كل شيء وطاعته له جل شأنه، ثم يتوسل به إلى الله في دعائه، ليكون أرجى لقبوله وإجابته(1).

ج ـ التوسل إلى الله تعالى بدعاء الصالحين الأحياء، بأن يطلب المسلم من أخيه الحيّ الحاضر أن يدعو الله له، فهذا النوع من التوسل مشروع لثبوته عن بعض الصحابة مع النبي ﷺ حيث كان بعضهم يأتيه صلوات الله وسلامه عليه ويطلب منه الدعاء له أو لعموم المسلمين، ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أعرابياً قام يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال: يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه ـ وما نرى في السماء قزعة ـ فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن المنبر حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ(2). إلى آخر الحديث. ومثله كذلك توسل الصحابة رضي الله عنهم بدعاء العباس رضي الله عنه وهو في صحيح البخاري

---

(1) الذكر والدعاء والعلاج بالرقي، ص: 100.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: الاستسقاء، باب: الدعاء إذا كثر المطر. . . . (الحديث: 1021)، وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة الاستسقاء، باب: الدعاء في الاستسقاء (الحديث: 2075).

من حديث أنس ﷺ: أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قُحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللّهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبينا فاسقنا، قال: فيسقون[1].

والمراد بقوله: إنا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا، أي بدعائه، فبهذه الأنواع الثلاثة من التوسل كلها مشروعة لدلالة نصوص الشرع عليها، وأمّا ما سوى ذلك مما لا أصل له، ولا دليل على مشروعيته فينبغي على المسلم أن يجتنبه[2].

2 ـ النذر: هو التزام قربة غير لازمة في أصل الشرع بلفظ يشعر بذلك، مثل أن يقول: لله عليَّ أن أصوم ثلاثة أيام[3].

وحكم النذر الكراهة، بل حرمه بعض العلماء لعدم تحمل المسلم ما قد يعجز عن الوفاء به، ولكن إذا نذر المسلم، وجب عليه الوفاء بهذا النذر وذلك ما لم يكن في معصية الله، فأصبح هذا النذر معلقاً في رقبته، وديناً عليه حتى يوفيه[4].

ـ قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: 7].

ـ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الاستسقاء، باب: سؤال الناس الإمام. . . (الحديث: 1010).

(2) فقه الأدعية والأذكار، ص: 341.

(3) اللباب في شرح العقيدة على ضوء السنة والكتاب، ص: 54.

(4) العقيدة الصافية، ص: 274.

فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ [البَقَرَة: 270].

- وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحَجّ: 29].

وقال ﷺ: **«من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»**[1].

ومن شروط النذر:

أ - أن يكون طاعة لله: لقوله ﷺ: **«لا نذر في معصية الله، ولا في قطيعة رحم»**[2].

ب - أن يكون مما يطيقه العبد: وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم فسأل عنه، فقالوا: أبو سرائيل، نذر أن يقوم فلا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبي ﷺ: **«مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه»**[3].

ج - أن يكون فيما يملك: قال ﷺ: **«لا وفاء لنذر في معصية**

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الأيمان والنذور، باب: النذر في الطاعة (الحديث: 6696) و(الحديث: 6700).

(2) أخرجه أبو داود في كتاب: الأيمان والنذور، باب: من رأى عليه كفارة (الحديث: 3290).

(3) أخرجه البخاري في كتاب: الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية (الحديث: 6704).

الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»[1].

د ـ ألا يعتقد الناذر تأثير النذر في حصول الشيء وعدمه: قال رسول الله ﷺ: «**إن النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخر، وإنما يستخرج بالنذر من البخيل**»[2].

وإذا كان النذر لله تعالى عبادة ونوعاً من أنواع التقرب إلى الله، فإن صرفه لغير الله تعالى شِرْك أكبر يخرج من الملة، ويوجب لصاحبه النار، لأن كل ما شأنه عبادة لا يجوز بحال من الأحوال أن يُصرف لغير الله تعالى، ومن المؤسف حقاً أن نرى مثل هذه العبادات تصرف لغير الله تعالى[3]، وهذا جهل عظيم بالإسلام ولا علاج له، إلا نشر العلم وإحياء الإيمان بالله ﷻ في القلوب.

3 ـ الذبح: ومعنى الذبح شرعاً: هو كل ما ذُبح هدياً أو عقيقة وغيرها لله تعالى، وبقصد التعبد لله والتقرب له[4]، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: 1، 2]، أي: أخلص له صلاتك وذبحك[5]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾، والنسك:

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الأيمان والنذور، باب: لا وفاء لنذر في معصية الله (الحديث: 4221).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: الأيمان والنذور، باب: الوفاء بالنذر (الحديث: 6692).

(3) العقيدة الصافية، ص: 278.

(4) المصدر نفسه، ص: 280.

(5) المصدر نفسه، ص: 281، نقلاً عن تفسير ابن كثير.

الذبح[1]، وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: حدثني رسول الله ﷺ، بأربع كلمات: «**لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غيّر منار الأرض**»[2]: أما لعن الوالد والوالدة فهو من الكبائر، وأما الذبح لغير الله، فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى، كمن ذبح للصنم، أو الصليب أو لموسى أو لعيسى ﷺ، أو للكعبة ونحو ذلك، فكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً[3].

إن الذبح قربة وعبادة يُتقرب بها إلى الله تعالى ويتعبد بها ولذلك وجب صرفها لله تعالى.

4 ـ التوكل: هو الثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس، وقيل: هو اعتماد القلب على الله وثقته به وأنه كفاية[4]، والتوكل عبادة ويجب صرفها لله تعالى حتى يتم توحيد العبد ويخلو من شوائب الشرك وأدران الجاهلية، والله سبحانه وتعالى يأمرنا بالتوكل عليه وحده لا غيره.

ـ قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: 58].

---

(1) العقيدة الصافية، ص: 281.

(2) أخرجه مسلم في كتاب: الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله تعالى (الحديث: 5096).

(3) شرح النووي على صحيح مسلم (4/ 656).

(4) اللباب، ص: 57.

ـ وقال تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: 56].

ـ وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء: 217 ـ 219].

ـ وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 81].

وقال رسول الله ﷺ: **«لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»**(1).

5 ـ الاستعانة: وهي طلب العون من الله تعالى على سبيل التعبد لله، وهي من أنواع العبادة ولذلك يجب الاستعانة بالله وحده.

قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: 5]. أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، ونبرأ من كل معبود دونك ومن عابديه، ونبرأ من الحول والقوة إلا بك فلا حول لأحد عن معصيتك، ولا قوة على طاعتك إلا بتوفيقك ومعونتك(2).

وقال تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنبياء: 112].

وفي حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ

(1) سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم 310.
(2) معارج القبول (2/ 452).

يوماً فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1].

6 ـ الاستغاثة: هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة، كالاستنصار طلب النصرة، والاستغاثة: طلب الغوث، والفرق بين الاستغاثة والدعاء: أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، والدعاء أعمّ فيكون من المكروب وغيره[2]، فالاستغاثة نوع من العبادة يجب صرفها لله تعالى، فلا يستغاث إلا بالله ﷻ، ولقد ذكر الله تعالى الاستغاثة في كتابه العزيز، فلم تصرف إلا له سبحانه، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال: 9].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: 62].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الشورى: 28].

وكان من دعاء النبي ﷺ: «يا حيّ يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام

---

(1) أخرجه الترمذي في كتاب: القيامة والرقائق، باب: 59 (الحديث: 2516).
(2) اللباب، ص: 57.

برحمتك أستغيث»[1].

وعن ثابت بن الضحاك: أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يُؤذي المؤمنين فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال الرسول ﷺ: **«إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله»**[2].

7 ـ **الخشية**: هي خضوع القلب والجوارح لله تعالى طاعة وخشوعاً وخوفاً من مقامه ووعيده، على سبيل التعبد لله تعالى[3].

ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عِمرَان: 173].

ـ وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: 39].

ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [المؤمنون: 57].

وقال ﷺ: **«.... أما والله إني لأخشاكم وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[4].

والخشية نوع من أنواع العبادة التي يجب ألاّ تصرف إلا لله

---

(1) أخرجه الحاكم في مستدركه (الحديث: 1/ 222، 509) صحيح الإسناد ولم يوافقه الذهبي.

(2) رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(3) العقيدة الصافية، ص: 309.

(4) أخرجه البخاري في كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح (الحديث: 5063).

تعالى، وصرفها لغير الله يُعدّ شركاً ينقض ويهدم الإيمان، وكلما زاد إيمان العبد بربه وخلص، كلما زادت خشيته منه[1].

8 ـ الخوف: هو اضطراب القلب وحركته من تذكر المَخوف[2]، وهو أفضل مقامات الدين وأجلها وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى[3].

ـ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عِمرَان: 175].

ـ وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: 13-14].

ـ وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرَّحمـن: 46].

ـ وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: 40-41].

وعن عدي بن حاتم ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»[4]، فالنافع والضار هو الله، فلا خوف إلا منه وحده سبحانه وتعالى.

---

(1) العقيدة الصافية، ص: 312.

(2) مدارج السالكين (1/ 512).

(3) اللباب، ص: 65.

(4) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذب (الحديث: 6540).

9 ـ **المحبة**: يعد خلق المحبة من أجل الأخلاق الإيمانية لأنها أصل كل فعل ومبدؤه، فلا يكون الفعل إلا عن محبة وإرادة، وكذلك الترك لا يكون إلا عنها، ولهذا كان رأس الإيمان: الحب في الله والبغض في الله، وكان من أحب لله ومن أبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان[1].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: 24]

فإن هذه الآية تحمل وعيداً شديداً على تقديم محبة أي شيء من أمور الدنيا على محبة الله تعالى ورسوله ﷺ وأنه يجب إيثارها في المحبة على من سواهما وهذه المحبة تقتضي إيثار طاعتهما واتباع أمرهما، على إيثار من ذكر الله من الأقارب والأموال وغيرهما مما قد تريد النفس تقديمها[2]، وهذه المحبة يقتضيها الإيمان، فمن كان مؤمناً أوجب عليه إيمانه أن يتحلى بها كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: 165].

وقد بين القرآن الكريم علامات المحبة لله تعالى، فجعل من ذلك: اتباع نبيه ﷺ، والذلة للمؤمنين، والعزة على الكافرين، والجهاد في سبيله، وعدم الخوف من لوم لائم، ومعاداة أعدائه، أما الاتباع لنبيه

(1) أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة، د. أحمد الحداد (1/ 204).
(2) المصدر نفسه (1/ 205).

ﷺ فقد دل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عِمرَان: 31] ، فإن هذه تسمى آية المحبة[1]، فهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[2].

وأما العلامات الأخرى فقد دل عليها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: 54]

وأنواع العبادات كثيرة وإنما هذه على سبيل المثال، وقد قسم العلماء أنواع العبادات التي لا يجوز أن يقصد بها غير الله إلى:

- **عبادات اعتقادية**: وهذه أساس العبادات كلها وهي أن يعتقد العبد أن الله هو الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر، وبيده النفع والضر، الذي لا شريك له، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه وأنه لا معبود بحق غيره.

- **عبادات قلبية**: والعبادات القلبية التي لا يجوز أن يقصد بها

---

(1) أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة (1/ 207).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور . . . (الحديث: 2697)، وأخرجه مسلم في كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة (الحديث: 4468).

إلا الله وحده، وصرفها لغير الله شرك كثيرة، كالخوف والرجاء، والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والحب والإنابة، والتوكل، والخضوع والخشوع، والاستغاثة....إلخ.

- عبادات قولية: كالنطق بكلمة التوحيد، إذ لا يكفي اعتقاد معناها بل لا بد من النطق بها، وكالاستعاذة بالله، والاستعانة به، والدعاء له، وتسبيحه، وتمجيده، وتلاوة القرآن.

عبادات بدنية: كالصلاة والصوم، والحج والذبح والنذر وغير ذلك.

- مالية: كالزكاة وأنواع الصدقات والكفارات، والأضحية والنفقة[1]

سادساً: أفضل العبادات:

إن أفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب في كل وقت وبما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، فأفضل العبادات في وقت الجهاد: الجهاد، وإن آل إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار.

- والأفضل في وقت حضور الضيف مثلاً: القيام بحقه، والاشتغال به عن الورد المستحب، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل. والأفضل في أوقات السَّحر الاشتغال بالصلاة والقرآن، والدعاء والذكر والاستغفار.

- والأفضل في وقت استرشاد الطالب، وتعليم الجاهل: الإقبال

(1) العقيدة في الله، ص: 236.

على تعليمه والاشتغال به، والأفضل في أوقات الأذان: ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن.

- والأفضل في أوقات الصلوات الخمس: الجدُّ والنُّصح في إيقاعها على أكمل الوجوه والمبادرة إليها في أول الوقت والخروج إلى الجامع، وإن بعد كان أفضل.

- والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه أو البدن، أو المال: الاشتغال بمساعدته وإغاثة لهفته، وإيثار ذلك على أورادِك وخلوتك.

- الأفضل في وقت قراءة القرآن: جمع القلب والهمة على تدبره وتفهمه، حتى كأن الله تعالى يُخاطِبك به، فتجمع قلبك على فهمه وتدبره، والعزم على تنفيذ أوامره، أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك.

- والأفضل في وقت الوقوف بعرفة: الاجتهاد في التضرع والدعاء والذكر، دون الصوم المُضعف عن ذلك.

- والأفضل في أيام عشر ذي الحجة: الإكثار من التعبد لا سيّما التكبير والتهليل والتحميد، فهو أفضل من الجهاد غير المتعيِّن.

- والأفضل في العشر الأخير من رمضان: لزوم المسجد فيه والخلوة والاعتكاف، دون التصدي لمخالطة الناس والاشتغال بهم، حتى إنه أفضل من الإقبال على تعليمهم العلم، وإقرائهم القرآن عند كثير من العلماء[1].

- والأفضل في وقت مرض أخيك المسلم أو موته: عيادته

---

(1) تهذيب مدارج السالكين (1/ 103).

وحضور جنازته وتشييعه.

- والأفضل في وقت نزول النوازل، وأذاة الناس لك: أداء واجب الصبر مع خلطتك بهم، دون الهرب منهم، فإن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يُؤذونه.

- والأفضل خلطتهم في الخير، فهي خير من اعتزالهم فيه واعتزالهم في الشر فهو أفضل من خلطتهم فيه، فإن علم أنه إذا خالطهم أزاله أو قلله، فخلطتهم حينئذ أفضل من اعتزالهم.

فالأفضل في كل وقت وحال إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه[1].

---

(1) تهذيب مدارج السالكين (1/ 103، 104).

سابعاً: تحكيم الشريعة وارتباطها بالتوحيد:

1 ـ ربطها بتوحيد العبادة:

قال تعالى في قصة يوسف ودعوته إلى الله في السجن: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: 40].

وقال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: 256].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: 31].

2 ـ ربطها بتوحيد الربوبية:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: 54].

3 ـ ربطها بتوحيد الأسماء والصفات:

قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ

فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [الأنعام: 114].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [المُمتَحنَة: 10].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرّعد: 41].

وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: 57]

إن من أسماء ربنا جل وتعالى التي عرّف بها نفسه إلى عباده وذكرها في كتابه، وعلى ألسنة رسله وأنبيائه (الحكيم) وقد ورد هذا الاسم الحكيم أربعاً وتسعين مرة في القرآن الكريم كما في قوله ﷻ ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 32] ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129] ﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: 18] ﴿وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 130]، ويقول تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: 114].

فهذا دليل على أن اسمه أيضاً «الحكم».

وبمعناه: «الحاكم» وقد جاء في خمسة مواضع بصيغة الجمع منها: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: 87]، و﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [هُود: 45]، و﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التّين: 8].

والحكيم: هو الذي يُحكم الأشياء ويتقنها ويضعها في موضعها كما قال سبحانه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النّمل: 88].

فـ«الحكيم» هو الذي يضع الشيء في موضعه بقدره، فلا يتقدم الحكم البالغة العظيمة، التي لا يأتي عليها الوصف، ولا يدركها الوَهْمْ، ومن معاني الحكمة: حكمته في خلقه، ومن ذلك ما تراه في جسد الإنسان وعقله وروحه من حكمته جل وعز، حيث خلق الإنسان في أحسن تقويم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤﴾ [التين: 4] ، ولو نظرت للإنسان في هيئته وصورته أو نظرت في قُدراته وإمكانياته أو نظرت في عقله وروحه، لوجدت الحكمة البالغة العظيمة[1].

ومن معاني حكمة الله تبارك وتعالى: الشرع الذي أنزله في كتابه على لسان رسوله ولهذا وصف الله تعالى القرآن بأنه حكيم، كما في قوله: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: 58]، وقوله: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: 2] فتشريعاته حكمة في مقاصدها وأسرارها ومآلاتها، فشريعته حكمة، وخلقه وقدره حكمة، حتى وإن عجزت بعض العقول في فهم أبعادها، فإن من الحوادث والشرائع ما لا يتبين مداه إلا بعد أجيال وعصور، ولا زال العلم البشري يكتشف الشيء بعد الشيء وليس يصحُّ أن يكون الجهل أو عدم الإدراك في وقت أو مكان أو بالنسبة لفرد أو جماعة سبباً في عدم القناعة بما جاء عن الله، لأنه أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين، وخير الرازقين، وأحسن الخالقين، فالحكيم الذي لا يدخل في تدبيره ولا شرعه خلل ولا زلل وأفعاله وأقواله تقع في مواضعها بحكمة وعدل، وسداد، فلا يفعل إلا السداد ولا يقول إلا الصواب[2].

---

(1) مع الله، ص: 184.

(2) المصدر نفسه، ص: 186.

والقرآن الحكيم فيه الحلول الصادقة والمناسبة الملائمة والأحكام الصحيحة التي بها قوام حياة الناس، وحَلُّ مشكلاتهم التي يواجهونها اليوم، سواء على صعيد الفكر أو الاقتصاد أو السياسة، أو المجتمع، وقد وضع الأُطر العامة التي تهدي الناس إليها[1]، ولا شك أن أصول الهداية الكلية موجودة في القرآن الكريم، فإنه تضمن الأصول العامة التي تَصْلُح بها حياة الناس ولهذا قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: 2].

وهذا دليل على أن الحكمة تعني السنة، فمن حكمته ﷻ أن يرسل الرسل الذين يختارهم من البشر، كما قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: 128].

فيختار سبحانه من الرسل أفضل البشر ممن لهم الكمال البشري في علومهم وعقولهم وأفهامهم ومداركهم وقدراتهم، ليتم بذلك البلاغ وتقوم الحجة على الناس ولهذا كان النبي ﷺ بالمنزلة العظيمة التي يعرفها كل من قرأ سيرته، وقد امتن الله سبحانه على الناس ببعثته لهذا الرسول ﷺ فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: 164].

فمن حكمة الله ﷻ أن بعث الرسل، وأنزل الكتب هداية للناس، وإقامة للحجة[2].

---

(1) مع الله، ص: 186.

(2) المصدر نفسه، ص: 187.

ومن معاني حكمة الله ﷻ: أن يُلهم بعض العباد الحكمة كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: 269]، فالله تعالى يؤتي الحكمة بعض عباده، فيعرفون كيف يحلون المشكلات، وكيف يخرجون من المُلمّات والأزمات، وكيف يتعاملون مع المواقف الصعبة، وكيف يضعون الأمور في مواضعها، والعالم الإسلامي في أشد الحاجة لمجلس حكماء من الذين حنكتهم التجارب، لكي تستفيد الأمة من خبرتهم ومعرفتهم وتوقعاتهم، حتى لا يخبط المسلمون خبط عشواء ولا يقعوا ضحية المفاجآت، والأزمات وهم لا يشعرون[1].

وأما «الحَكَم» فهو من له الحكم والسلطان والقدر فلا يقع شيء إلا بإذنه وهو المدبر المتصرّف ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: 29].

«والحَكَم» أيضاً من له التشريع والتحليل والتحريم، فالحكم ما شرع، والدين ما أمر ونهى، لا معقب لحُكمه ولا رادّ لقضائه. فاجتمع (القدر) و(الشرع) ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54].

وحين يقول: «أحكم الحاكمين» و«خير الحاكمين» فإن ذلك تأكيد على عدله ورحمته ووضعه الأشياء في مواضعها، فليس في قَدَرِه ظلم ولا تعسف، وليس في شرعه مُحاباة ولا تحيُز، بل هو حِفظ للحقوق، الحاكم والمحكوم، والرجل والمرأة والبرّ والفاجر، والمسلم والكافر، والقوي والضعيف، وفي كل الأحوال حَرباً وسلماً وعلى كل أحد دون استثناء، ولذا وجب على كل مسلم تحكيم كتابه وسنة نبيه

(1) مع الله، ص: 187.

ﷺ في دقيق أموره جلّها على الصعيد الفردي والجماعي والأسري والخاص والعام، والسياسة والاقتصاد، والاجتماع والإعلام، وكل شيء[1].

4 ـ **ربطها بالإيمان**: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: 59].

ـ وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ۝٦٠﴾ [النساء: 60].

ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور: 51].

5 ـ **ربطها بالإسلام**: والإسلام أساسه الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك[2].

ـ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينٗا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٞ﴾ [النساء: 125].

---

(1) مع الله، ص: 188.
(2) الحكم بغير ما أنزل الله، د. عبد الرحمن المحمود، ص: 22 ـ 27.

ـ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عِمران: 85].

ـ وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89].

6 ـ **ربطها بالشهادتين**: أما شهادة أن لا إلٰه إلا الله فقد سبق في أدلة توحيد العبادة ما يبين ذلك، وأما شهادة أن محمداً رسول الله:

ـ فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: 65].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: 7].

ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: 31-32].

7 ـ **طاعة غير الله والإعراض عنه كفر وشرك**:

ـ قال تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: 26].

ـ وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الانعام: 121].

ـ وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: 50].

فهذه الأدلة جاءت كنماذج وإلا فهي كثيرة جداً تبين مدى ارتباط تحكيم الشريعة بالإيمان بالله ﷻ.

ثامناً: الآثار الحسنة للحكم بما أنزل الله :

1 ـ الاستخلاف والتمكين:

إذا أقام العباد دين الله تعالى، وخلص لله تحاكمهم في السر والعلانية، فإن الله سبحانه يقويهم ويشدُّ من أزرهم حتى يستخلفهم في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم ومكّن لهم، وهي سنة إلهية ماضية نجدها في قصص شتى في كتاب الله تعالى.

أ ـ فهذا يوسف عليه السلام صار من أهل الاستخلاف والتمكين، بعد أن ابتلي فأبلى بلاءً حسناً، وظهر أنه كان من المحسنين، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 56]

ب ـ وهذا موسى عليه السلام كان حريصاً على أن يُظهر لقومه هذه السنة الماضية، عندما خافوا بطش فرعون وقومه، فيقول لهم: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: 128]. أي: العاقبة الحسنة ستكون لكم بإرث الأرض شريطة أن تكونوا من المتقين، بإقامة شرع الله في الأرض[1].

ولما استبطؤوا العاقبة واستأخروا النصر، نبّههم موسى عليه السلام إلى

(1) تفسير المنار (9/ 81).

سُنة الاستخلاف: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 129].

ثم أنجز الله ﷻ لهم ما وعد كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾[الأعراف: 137].

وبعد وراثة الأرض، والاستخلاف فيها، منّ الله عليهم بالتمكين فقال سبحانه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص: 5-6].

ج ـ والله تعالى وعد المؤمنين من هذه الأمة بما وعد به المؤمنين من قبلهم، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: 55].

فإذا حقق الناس الإيمان، وتحاكموا إلى شريعة الرحمن فستأتيهم ثمرة ذلك، وأثره الباقي: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: 55]، فهي مقدمات ونتائج أعمال وآثار، فتحقيق التحاكم إلى الله، يتحقق به الاستخلاف وتحقيق الحكم به، يوصل إلى التمكين[1].

---

(1) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي، د. عبد العزيز مصطفى (1/ 673).

إن وقائع التاريخ الإسلامي، تصدق هذا الوعد الإلهي للأمة بالنصر والتمكين إذا أقامت شرعه، فليست هناك من جولات للمسلمين انتصروا فيها على أعدائهم، وتقدّموا في شؤون دنياهم إلا وكان واقعهم شاهداً على تمكين القرآن الكريم منهم اعتقاداً وعملاً[1].

2 ـ الأمن والاستقرار:

ضمن الله ﷻ لأهل الإيمان والعمل بشرعه وحكمه، أن يُحقق لهم الأمن الذي ينشدون إذا استقاموا على التوحيد ونبذوا الشرك بأنواعه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: 82].

ولا يتصور تحقيق أمة للإخلاص في العبودية، والخلوص من الشرك، وبالتالي الشعور بالأمن والاستقرار إلا بإقامة شرع الله كاملاً غير منقوص، وإلا فإن الأمم المنحرفة عن شرع الله يُحيط بها الخوف والقلق من جميع جوانبها، لأن الأمن والأمان قد سُلب، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف: 97-100].

في حين أن الله امتنّ على المؤمنين بالأمن في مظنّة الخوف لمّا انقادوا لحكم الله ورسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ

(1) هجر القرآن الكريم أنواعه وأحكامه، د. محمود الدوسري، ص: 627.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح: 4]، والسكينة: هي الطمأنينة، والذين أنزل عليهم السكينة هم الصحابة ﷺ يوم الحديبية الذين استجابوا لله ولرسوله، وانقادوا لحكم الله ورسوله[1]، وإذا امتثل الناس شرع الله، وطبقوا أحكامه، ضمنوا الأمن التام في أموالهم وأعراضهم ودمائهم، فما من حد من الحدود، ولا شرعة من الشرائع إلا وتحفظ بسببها ضرورة من الضرورات الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال[2].

وقوانين البشر الوضعية لا تُحرز أمناً ولا توفر استقراراً، إذا ما قورنت بالتشريعات الإسلامية، فالدول قديماً وحديثاً تنفق الأموال الطائلة وترصد الميزانيات الهائلة، لتأمين الداخل ومع ذلك لا يحصل للناس من الأمان عشر معشار ما يمكنهم تحصيله لو أنهم أقاموا حد من حدود الله تعالى كحدِّ السرقة مثلاً[3].

3 ـ النصر والفتح:

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: 40-41].

والمعنى: لينصرن الله ﷻ من ينصر دينه، ومن ينصر أولياءه وينتصر لشرعه في الأولين والآخرين، كما نصر المهاجرين والأنصار،

---

(1) هجر القرآن العظيم، ص: 628.
(2) المصدر نفسه، ص: 628.
(3) المصدر نفسه، ص: 629.

على صناديد العرب، وأكاسرة العجم، وقياصرة الرُّوم، وأورثهم أرضهم وديارهم[1].

وسنة الله تعالى ماضية في نصر من ينصر دينه، كما قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: 7]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47].

ولهذا فإن حال الأمة من النَّصر والعزَّة أو عدمها يعتبر مقياساً دقيقاً وميزاناً للحكم على مقدار امتثالها ـ رُعاة ورعيَّة ـ لشريعة الله ظاهراً وباطناً، فبالاستجابة للشريعة يُستجلب الفتح، ويُستنزل النصر، وتُستفتح الأرض[2].

4 ـ العز والشرف:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: 10]. أي فيه شرفكم وصيتكم، وقال تعالى في آخر الآية: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ والاستفهام للتوبيخ والتقريع والمعنى: أفلا تعقلون ما فضِّلتم به على غيركم[3]، فهذه الأمة لا تستمد الشرف والعزة إلا من استمساكها بدينها وتطبيقها لأحكام الشريعة في جميع نواحي الحياة، كما قال عمر ﷺ: «إنا كنا أذلَّ قوم ما أعزَّنا الله إلا بالإسلام»، فمهما نطلب العزّ بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله[4]، فهناك

(1) روح المعاني، **للألوسي** (17 / 164).
(2) هجر القرآن العظيم، ص: 630.
(3) زاد المسير، **لابن الجوزي** (5 / 3419).
(4) صحيح الترغيب والترهيب (3/ 100) رقم 2893.

ارتباط وثيق بين حال الأمة الإسلامية عزاً وذلاً، مع موقفها من تطبيق الشريعة إقبالاً وإدباراً فما عزّت في يوم بغير دين الله وما ذلّت في يوم إلا بالانحراف عنه[1].

ومن أراد العزّة فليتعزز بطاعة الله تعالى، لأن مصدرها من الله تعالى فليطلبها من مصدرها، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فاطر: 10]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8]، وهذه العزة كما كانت للمؤمنين السابقين فهي كذلك للاحقين شريطة أن يقتفوا أثرهم في تعظيم حرمات الله وتطبيق شرعه والاعتزاز بدينه[2].

5 ـ بركة العيش ورغده:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف: 96]، فالآية الكريمة تعد المؤمنين المستجيبين لشرع الله بالبركات متى ما حققوا معنى الإيمان والتقوى، والطريق إلى بركات السماء والأرض هي الاستجابة لله ورسوله ﷺ وإقامة شريعته حتى ينالوا هذا المطلب النفسي[3].

6 ـ الهداية والتثبيت:

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

---

(1) هجر القرآن العظيم، ص: 631.
(2) المصدر نفسه، ص: 631.
(3) المصدر نفسه، ص: 632.

شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: 65 ـ 68].

والأمر الذي وُعظوا به ووُعدوا الخير لأجله، هو تحكيم الشريعة والانقياد التام للرسول ﷺ فلو أنهم امتثلوا ما أمروا به، لثبت الله تعالى أقدامهم على الحق فلا يضطرون في أمر دينهم[1].

7 ـ الفلاح والفوز:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: 51-52].

فقد جمعت هذه الكريمة أسباب الفوز في الدنيا والآخرة، وهي: طاعة الله ورسوله، وخشية الله وتقواه[2].

8 ـ المغفرة وتكفير السيئات:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ

---

(1) فتح القدير، للشوكاني (1/ 732).

(2) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (18/ 221).

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة: 12]. فقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يستغفر للمؤمنات إذا هنّ بايعنه على السمع والطاعة والرّضى بحكم الله ورسوله، وقد جاء الحديث على كون الله غفور رحيم للمبايعات إذا هن وفين ببيعتهن[1].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال وحوله عِصَابة من أصحابه: «**بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعُوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**»، فقد كان النبي ﷺ يبايع المؤمنين والمؤمنات على أمور هي في مضمونها إثبات لموقف التحاكم إلى الشريعة والخضوع لها، وهذه البيعة كانت على الامتثال لسائر شرائع الإسلام، وما لم يذكر في هذه المبايعة كالصلاة، والزكاة، وسائر أركان الدين وشعائر الإسلام لوضوح أمره واشتهاره.

إن تحكيم الشريعة مظنة توبة التائبين في الدنيا، وقبول هذه التوبة في الآخرة بالمغفرة ومحو السيئات.

9 ـ مرافقة النبيين والصّدّيقين:

قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا

---

(1) هجر القرآن العظيم، ص: 637.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠﴾. سمّى الله تبارك وتعالى التحاكم إلى الرسول (طاعة) وجعل عاقبتهما معية كريمة ومُقاماً كريماً في صحبة كريمة في جوار الله الكريم، وحق لمن أقام هذا التحاكم على ما يريد الله تعالى، أن يرقى صُعُداً مع هذه الصحبة المباركة في الفردوس الأعلى، لأن النبيين والصّدّيقين والشهداء والصالحين هم خير من أطاع الله تعالى ظاهراً وباطناً وأقام شريعته وحّده، فمن حذا حذوهم حُشِر معهم وصحبهم في الفردوس الأعلى من الجنة وهو طريق مفتوح لكلّ من اقتدى بهم ظاهراً وباطناً[1].

تاسعاً: الآثار السيئة للحكم بغير ما انزل الله:

إن للحكم بغير ما أنزل الله آثاراً دنيوية وأخروية سيئة، تبدو على الحياة في وجهتها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، تصيب بشررها محاسنها وتشوّه معالمها، وبذلك تتحول الحياة إلى فتنة في الدنيا والآخرة فالله ﷻ حذّرنا من مخالفة الأوامر الشرعية في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63] ، أي: فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول ﷺ باطناً أو ظاهراً ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، أي: في الدنيا بقتل، أو حدّ، أو حبس، أو نحو ذلك[2].

إن المجتمعات والشعوب التي تُسلِمُ قيادتها للحكام الذين

(1) هجر القرآن العظيم، ص: 636 ـ 639.

(2) المصدر نفسه، ص: 642.

يحكمونها بغير شريعة الله، تدفع ضريبة التخلي عن الحكم بما أنزل الله من أموالها وأعراضها وعقول أبنائها، وغير ذلك من ثرواتها الأدبية والماديّة، ذلك إلى جانب ما يجرُّه التَّخلِّي عن الحكم بما أنزل الله من الجوع والخوف وضنك العيش، وغضب الله في الدنيا والآخرة[1].

وإليك بعض الآثار المترتبة على ترك الحكم بما أنزل الله في الحياة الدنيا والآخرة:

1 ـ قسوة القلب: قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِۦ﴾ [المَائدة: 13]. فهم لمَّا نقضوا ميثاق الله على السمع والطاعة، وساء تصرُّفهم في آيات الله وتأوّلوا كتاب الله على غير ما أنزله، وحملوه على غير مراده، وقالوا عليه ما لم يقل، ثم تركوا العمل به رغبة عنه، جعل الله قلوبهم قاسية، فلا يتعظون بموعظة لغلظتها وقساوتها وهذا من أعظم العقوبات التي تُخذل القلب، وتمنع الألطاف الربانية، ولا يزيده الهدى والخير إلا شرًا[2]. وهكذا الشأن في كلِّ من عدل عن شرع الله، مُحكِّماً عقله وهواه، فجزاؤه أن يُطبع على قلبه، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: 23][3].

---

(1) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (2/ 705، 710).

(2) هجر القرآن العظيم، ص: 643.

(3) المصدر نفسه، ص: 643.

2 ـ **الضلال عن الحق**: قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: 26]، ومعلوم أن نبي الله داود عليه السلام لا يحكم بغير الحقّ ولا يتبع الهوى فيضله عن سبيل الله، ولكنَّ الله تعالى يأمر أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، وينهاهم، ليُشرّعوا لأممهم[1].

وقد جاء التحذير الصريح في خطورة اتباع الأهواء وتقديمها على أحكام الله تعالى، وأنه ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله، فما أمر الله هو المتبع، وما أراد النبي هو الحق، ومن خالفهما في شيء فقد ضلّ ضلالاً مبيناً، لأن الله هو المقصد والنبي هو الهادي الموصل، فمن ترك المقصد، ولم يسمع قول الهادي، فهو ضال قطعاً[2]، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: 36].

3 ـ **الوقوع في النفاق**: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [النساء: 61-62].

يبتلى بالنفاق من يضمرون الكراهية لشرع الله تعالى، حتى تصير قلوبهم مريضة بهذا النفاق، فيحاولون جهدهم أن يُخفوا نفاقهم، ظانّين

---

(1) أضواء البيان (7/ 28).

(2) التفسير الكبير (25/ 183).

أن ذلك أمر ممكن، ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يفضح المنافقين بفلتات ألسنتهم، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [محمد: 29، 30].

والأضغان: جمع ضِغن، وهو ما في النفوس من الحسد والحقد، والعداوة للإسلام وأهله، القائمين بنصره[1].

ولحن القول: ما يبدو من كلامهم الدّال على مقاصدهم بالتعريض أو التورية.

إن شأن المنافقين الدائم هو الاستهزاء بالشريعة وحَمَلتها، والإعراض عمّا أنزل الله تعالى، والصدُّ عن سبيله، وقد كانوا يُشفقون من افتضاح نفاقهم بهذا الاستهزاء والإعراض، حتى قال قائلهم: والله لوددت أنّي قُدّمت فجُلدت مائة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: 64-66].

4 ـ **الحرمان من التوبة**: قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ

---

(1) هجر القرآن العظيم، ص: 645.

ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿41﴾﴾ [المائدة: 41] : نزلت هذه الآيات الكريمات في المسارعين في الكفر، الخارجين عن طاعة الله ورسوله المقدّمين آراءهم وأهواءهم على شرائع الله ﷻ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾، أي: أظهروا الإيمان بألسنتهم وقلوبهم خراب خاوية منه، وهؤلاء المنافقون ومن الذين هادوا أعداء الإسلام وأهله[1]، والجريمة التي اقترفها هؤلاء: هي انحرافهم عن شريعة الإسلام بتبعيضها تارة، وأخرى بتحريفها حسب أهوائهم وشهواتهم، ومصالحهم الدّنيئة، فجاءت عقوبتهم متلائمة مع فظاعة جُرمهم: الحرمان من التوبة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: أن الله تعالى حتم عليهم ألا يتوبوا من ضلالهم وكفرهم، فلم يُرد الله أن يطهر ـ من دنس الكفر، ووسخ الشرك ـ قلوبهم بطهارة الإسلام ونظافة الإيمان فيتوبوا[2].

ودلت هذه الآية الكريمة على أن من كان مقصوده بالتحاكم إلى الحُكم الشرعي، اتّباع هواه، وأنه إن حُكِمَ له رضي وإن لم يُحكم له سخط، فإنَّ ذلك من عدم طهارة قلبه، كما أن من حاكم أو تحاكم إلى الشرع ورضي به وافق هواه أو خالفه، فإنه من طهارة القلب. ودلّ على أن طهارة القلب سبب لكل خير، وهو أكبر داع إلى كل قول رشيد

(1) تفسير ابن كثير (3/ 136) هجر القرآن العظيم، ص: 647.

(2) تفسير الطبري (4/ 209) هجر القرآن، ص: 647.

وعمل سديد[1]، كما دلت على الخزي لليهود والمنافقين، فبالإضافة لعدم طهارة قلوبهم فإن هناك خزياً يلاحقهم ويحيط بهم من جميع الجهات، قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ فخزي اليهود: فضيحتهم بظهور كذبهم في كتمان نصّ الله تعالى، في إيجاب الرجم وأخذ الجزية منهم، وخزي المنافقين: هتك أستارهم باطلاع الرسول ﷺ على كذبهم، وخوفهم من القتل[2].

5 ـ **الصَّدُّ عن سبيل الله**: قال تعالى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩﴾ [التوبة: 9]. فهذا حديث القرآن الكريم عن مشركي العرب الذين اعتاضوا عن اتّباع شرع الله، بما التهوا به من أمور الدنيا الخسيسة صادين الناس عن الإسلام وهناك صنفان متقابلان من أهل الكتاب، تحدث القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۝١٦٠ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٦١ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٦٢﴾ [النساء: 160 ـ 162].

ففريق توعدهم الله تعالى بالعذاب الأليم، لتعاطيهم الرّشوة على الحكم فصدوا الناس عن الدّين، إضافة إلى أكلهم الرّبا وأموال الناس بالباطل، وفي مقابلهم فريق استحقوا الأجر العظيم، لإيمانهم بالشريعة

(1) تفسير السعدي (1/ 485).

(2) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (2/ 718).

المنزَّلة، ثم إيمانهم بالشريعة الحقة الناسخة، فكانوا مثلاً يُقتدى بهم[1].

ولهذا الارتباط الوثيق بين الانحراف عن شرع الله والصَّدِّ عن دينه، استحق الصّادون عن سبيله اللعنة والطرد من رحمته، قال تعالى: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأعراف: 44-45].

6 ـ **غياب الأمن وانتشار الفوضى**: قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق: 6، 7]. والطغيان هو الصفة السائدة في الإنسان عندما يكون في معزل عن شرع الرحمٰن، ولو تأمّلنا وصف القرآن الكريم للإنسان بمعزل عن الإيمان، لوجدناه عجباً: فهو ضعيف أمام المغريات، ونسيٌّ للإحسان وظلوم في الحقوق، وكفّار للنعم ومجادل بالحق أو الباطل، وعجول متسرع، وناكر للفضل، وبخيل بما عنده وشديد في الخصومة، وشَرِه في جلب الخير لنفسه، وقنوط إذا عجز عن جلب هذا الخير، وهلع جزع إذا أصيب بضُرّ أو ألمّ به شرٌّ، وهو ضان بالخير إذا تحصل عليه ولا يمكن أن تواجه وتعالج وتهذب طباع هذا المخلوق إلا بشريعة من عند خالقه: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: 14]، وكيف نتخيل مجتمعنا يترك فيه الإنسان كالوحش الضاري، أو السّبع الكاسر، دونما شريعة تطهّر قلبه وجوارحه؟[2].

إن تحقيق الأمن في المجتمعات مرتبط بتطبيق شرع الله، فقد

(1) هجر القرآن العظيم، ص: 649.
(2) المصدر نفسه، ص: 650.

خص الله ﷻ من طبق شرعه، وحقق شريعته بالأمن، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: 82] ، والمتأمل في حال المجتمعات غير المحكومة بحكمة الشريعة وضبطها للأمور يرى كثرة القتل، والاغتصاب، واستباحة الأموال بكلّ الطرق والأشكال، وانتشار الفواحش والزنا، والفجور والخَنا، والإدمان، واللصوصية، والجاسوسيّة والتحاسد والشح والبخل والجهل والظلم، وهذا كله من مظاهر غياب الأمن المرتبط بتحكيم شرع الله.

7 ـ **انتشار العداوة والبغضاء:** قال تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ﴾ [المائدة: 64]. فاليهود لما خالفوا رسول الله ﷺ وكذّبوه، ولم ينقادوا لشريعته، أخبر الله ﷻ أن قلوبهم لا تجتمع، بل العداوة واقعة بينهم دائماً، لأنهم خالفوا شريعة الحق[1].

والنصارى بتركهم بعض ما ذُكّروا به من شريعتهم، ثم تكبرهم عن اتباع النبي ﷺ كانت عاقبتهم كعاقبة إخوانهم اليهود، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة: 14].

والأمة الإسلامية وعظها الله تعالى بالعداوة المُلقاة فيما بين طوائف اليهود والنصارى، حتى لا يقع فيما وقعوا فيه، فالرعية تُلقى

---

(1) هجر القرآن العظيم، ص: 653.

بينهم العداوات إذا رغبت عن شرع الله، فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به، وقعت بينهم العداوة والبغضاء، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا[1].

وإذا خرج ولاة الأمور عن الحكم بين الناس بالكتاب والسنة، فقد حكموا بغير ما أنزل الله ووقع بأسهم بينهم وهذا من أعظم أسباب تغيير الدول[2]. وقد تعوّذ النبي ﷺ من مغبة ترك الحكم بغير ما أنزل الله وعدّ ذلك من أعظم أسباب وقوع العداوة والبغضاء بين المسلمين[3]، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن... وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا بما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم**»[4].

8 ـ **الحرمان من النصر والتمكين**: قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: 160]، وليس شيء أدعى للخذلان، وللحرمان من النصر والتمكين مثل هجر التحاكم إلى شريعة الله تعالى وعدم نصرها في الأرض، ويُعتبر ذلك إخلالاً بشرط النصر المنصوص عليه في آي كثيرة من كتاب الله، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد:

---

(1) مجموع الفتاوى (3/ 421).
(2) المصدر نفسه (35/ 388).
(3) هجر القرآن العظيم، ص: 656.
(4) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الفتن، باب: العقوبات (الحديث: 4019).

7] ، والمعنى: إن تنصروا دين الله وشريعته بالعمل بها، وتعظيمها ينصركم الله على أنفسكم، وأعدائكم من شياطين الجنّ والإنس، فإن الجزاء من جنس العمل[1]. وقد نص القرآن الكريم على كيفية نصر الدين والشريعة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: 41]. والآية الكريمة تدل على أن الذين لا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة، ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ليس لهم وعد من الله بالنصر البتة. فالذين يرتكبون جميع المعاصي ممّن يتسمّون باسم المسلمين، ثم يقولون: إن الله سينصرنا مغرورون، لأنهم ليسوا من حزب الله، الموعودين بنصره، كما لا يخفى ومعنى نصر المؤمنين لله، نصرهم لدينه ولكتابه، وسعيهم وجهادهم في أن تكون كلمته هي العليا، وأن تقام حدوده في أرضه، وتُمتثل أوامره وتجتنب نواهيه ويحكم في عباده بما أنزل على رسوله ﷺ[2].

9 ـ **هول العقاب الذي ينتظر المبدلين لشرعه:** قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس: 59، 60].

---

(1) تفسير ابن كثير (4/ 175)، هجر القرآن العظيم، ص: 656.

(2) هجر القرآن العظيم، ص: 657.

ففي هذه الآيات الكريمة: أنكر الله تعالى على من حرّم ما أحلّ الله أو أحلّ ما حرّم الله، بمجرد الآراء والأهواء، التي لا مستند لها، ولا دليل عليها ثم توعدّهم على ذلك يوم القيامة فقال: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، أي: ما ظنهم أن يُصنع بهم يوم مرجعهم إلينا يوم القيامة؟[1] فهذا استفهام يراد منه تهويل وتفظيع العقاب الأليم، الذي ينتظر المفترين المتقولين على الله، المبدّلين لشرعه، ولذا نُكّر وأُبهم، فمصيرهم هو أسوأ المصير، وعقابهم هو أوخم العقاب[2]. وصيغة الغائب تشمل جنس الذين يفترون على الله الكذب، وتنتظمهم جميعاً، فما ظنهم يا تُرى؟ ما الذي يتصورون أن يكون في شأنهم يوم القيامة؟ وهو سؤال تذوب أمامه حتى الجبال الصلدة الجاسية[3].

10 ـ الإهانة عند قبض الأرواح: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: 25 ـ 28]. هذه الآيات الكريمات تهدد وتتوعد نوعاً من المنحرفين عما أنزل الله تعالى، وهم الذين يطيعون أعداء الله ـ كاليهود والنصارى

(1) تفسير ابن كثير (4/ 290)، هجر القرآن العظيم، ص: 658.
(2) تفسير أبي السعود (4/ 157)، هجر القرآن العظيم، ص: 658.
(3) في ظلال القرآن (3 / 1802).

- في بعض ما يأمرون به، والآيات تصفهم بالردة بسبب ذلك الفعل، وتتوعدهم بمصير مظلم، وعذاب مؤلم يبدأ معهم منذ اللحظات الأولى من مفارقة الدنيا[1]، ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾، أي: كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعصّت الأرواح في أجسادهم، واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب[2].

وقال سبحانه في نوع آخر من المنحرفين عن شرعه المنزل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: 93].

فالآية تحكي أحوال هؤلاء عند معاينة الموت والخروج من الدنيا ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: شدائده وسكراته، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ بالعذاب ومطارق الحديد لقبض أرواحهم ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ أي: أخرجوا أرواحكم من أجسادكم، أي: هاتوا أرواحكم، والأمر للإهانة والإرهاق، إغلاظاً في قبض أرواحهم، ولا يتركون لهم راحة، ولا يعاملونهم بلين، وفيه إشارة إلى أنهم يجزعون فلا يلفظون أرواحهم وهو على هذا الوجه وعيد بالآلام عند النزاع جزاءً

(1) تفسير القاسمي (6/ 259)، تفسير الطبري (26/ 60).

(2) تفسير ابن كثير (7/ 323).

في الدنيا على شركهم[1]. ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، أي: تتعظمون وتأنفون عن قبول ما أنزله الله في آياته[2].

11 ـ الأكل من النار وغضب الجبار: قال العليم الخبير: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة: 174-176].

بعد أن تحدثت الآيات عن بعض أحكام الشريعة مثل: تحريم أكل الميتة والدم، ولحم الخنزير، وما أُهِلَّ لغير الله به، توعدت من يكتمون أحكام الشريعة مقابل ثمن قليل يأكلونه، لأن كتمان الشريعة، يستلزم أنواعاً من الانحراف عنها[3]، فهؤلاء الذين يكتمون الحق المنزل، لقاء ثمن رخيص، إنما يأتون حراماً يعذبهم الله عليه بنار جهنم يأكلونها في بطونهم الجشعة، فهي نارٌ على الحقيقة يأكلونها يوم القيامة، جزاء ما اقترفوا من أكل الرشوة على الدين[4]، والذي أعظم عليهم من عذاب النار، هو غضب الله عليهم، وإعراضه عنهم: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾، أي: لا يطهّرهم من الأخلاق

(1) التحرير والتنوير (6/ 223).
(2) تفسير القرطبي (7/ 43، 44).
(3) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (2/ 764).
(4) تفسير القرطبي (2/ 239)، وتفسير السعدي (1/ 134).

الرّذيلة، إذ ليس لهم أعمال تصلح للمدح والرّضا والجزاء عليها، بل يعذبهم عذاباً أليماً، لأنهم تركوا كتاب الله وأعرضوا عنه، وعن التحاكم إليه في الدنيا واختاروا الضلالة على الهدى والعذاب على المغفرة[1].

12 ـ **العذاب المهين**: ذكر العزيز الحكيم جوانب من أحكام الشريعة في صدر سورة النساء، والمتمثلة في بيان أموال اليتامى، وأحكام الأنكحة، وأحوال المواريث والوصايا ثم ذكر بعد ذلك: الوعد والوعيد، ترغيباً في الطاعة، وترهيباً في المعصية فقال سبحانه: تلك حدود الله أي: هذه أحكام الله قد بينها لكم لتعرفوها وتعملوا بها، ومن يطع الله ورسوله في متابعة حدوده والعمل بها، كما أمره الله تعالى: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: 13] فهذا هو الوعد.

أما الوعيد: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: 14] فكل من اعتدى على حدود الله تعالى مُكذِّباً أو جاحداً، أو مُبدِّلاً أو مبغضاً فهو متوعَّد بهذا العذاب المهين، لكونه غيَّر ما حكم الله به وضادَّ في حُكمه، وهذا إنما يصدر عن عدم الرّضا بما قسم الله، وحكم به، ولهذا يُجازيه بالإهانة في العذاب الأليم[2].

هذه هي أهم الآثار السيئة للحكم بغير ما أنزل الله، قال

(1) هجر القرآن العظيم، ص: 662.

(2) المصدر نفسه، ص: 664.

الشاعر:

والله ما خوفي الذنوب فإنها لعلى طريق العفو والغفران

لكنما أخشى انسلاخ القلب عن تحكيم هذا الوحي والقرآن

عاشراً: حماية الرسول ﷺ لتوحيد الألوهية:

بيّن رسول الله ﷺ هذا التوحيد أتم بيان ودعا إليه أعظم دعوة، وجلُّ القرآن الكريم نزل ليقرر هذا النوع من التوحيد ويدعو إليه ،وجاهد رسول الله ﷺ في ذلك أعظم جهاد، وقام في حمايته وصيانة حماه حتى أتاه اليقين، بل إنه وهو في الرمق الأخير، وهو يعالج نزع الروح يبين لأمته أهمية هذا التوحيد، كما ربى أصحابه ﷺ على ذلك ليكونوا جنوداً وحماة لهذا التوحيد ويسلّموا هذه الأمانة إلى من بعدهم صافية نقية، وقد كانوا كذلك رضي الله عنهم وأرضاهم، وفيما يلي بعض الأمثلة في حماية رسول الله لهذا النوع من التوحيد وبيانه والنهي عن كل ما يضاده من شرك، أو بدعة أو يكون وسيلة وذريعة إلى ذلك وإن لم يكن في نفسه شرساً[1].

1 ـ النهي عن الغلو والإطراء:

حذر الرسول ﷺ أمته من الغلو ونهاهم عن ذلك وحذرهم منه ومن إطرائه أو تجاوز الحد في مدحه والثناء عليه حماية لجانب التوحيد قال ﷺ: «**إياكم والغلو فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو**»[2]، وسد الذرائع الموصلة إليه، فنهى عن الإطراء وقال: «**لا تطروني كما أطرت**

(1) حماية الرسول حمى التوحيد، ص: 287.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (الحديث: 1/ 215)، حديث صحيح.

النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله»[1].

2 ـ زيارة القبور والنهي عن اتخاذها مساجد:

بيَّن رسول الله ﷺ الغاية من زيارة القبور والحكمة التي من أجلها شرعت زيارتها فقد قال ﷺ: **«فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت»**[2]، ووضح أيضاً أن من الحكمة في زيارة القبور الدعاء للميت والاستغفار له والترحم عليه[3].

وبين رسول الله ﷺ كيفية الزيارة الشرعية للقبور بقوله وعمله وعلمها أصحابه، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم... قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال قولي: **«السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإن شاء الله بكم لاحقون»**[4].

كان رسول الله ﷺ قد نهى عن زيارة القبور أول الأمر سداً للذريعة، ثم أذن فيها حين تمكن التوحيد في القلوب وبيَّن الزيارة المشروعة وأمر بها، ونهى عن كل ما يخالفها وحذر منها أشد التحذير[5]. وكان من دعائه ﷺ قوله: **«اللهم لا تجعل قبري وثناً**

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا...﴾ (الحديث: 3445).

(2) صحيح مسلم بشرح النووي (7/ 46).

(3) حماية الرسول حمى التوحيد، ص: 295.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي (7/ 44).

(5) حماية الرسول حمى التوحيد، ص: 296.

يعبد»[1]، وكان يحذر وينهى أمته عن اتخاذ قبره مسجداً أو القبور مساجد، فعن أم سلمة ﷺ، وأم حبيبة ﷺ ذكرتا لرسول الله كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح، أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجد، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**»[2]، وكان رسول الله ﷺ يقول في مرض موته: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره»[3]، وقد نهى رسول الله ﷺ أن يبنى على القبور أو يقعد عليها أو يصلى عليها[4].

3 ـ الرقى والتمائم:

قال رسول الله ﷺ: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»[5]. والمقصود بالرقى غير المشروع منها وهي التي تسمى العزائم، التي يعتقدون فيها دفع الآفات والحفظ من المكروهات، وأما ما كان منها من الشرع والمأثور من رسول الله ﷺ فلا يدخل في ذلك، لما جاء في الحديث عن عوف بن مالك ﷺ قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك**»[6].

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (الحديث: 2/ 246).
(2) أخرجه البخاري انظر: فتح الباري (1/ 531).
(3) أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: 55 (الحديث: 435).
(4) مسند أبي يعلى (2/ 66)، إسناده صحيح.
(5) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (1/ 381)، صححه الحاكم على شرط الشيخين.
(6) أخرجه مسلم في كتاب: السلام، باب: لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك (الحديث: 5696).

والرقى المشروعة هي التي توفرت فيها شروط ثلاثة:

- أن تكون بكلام الله، أو بأسمائه وصفاته.
- أن تكون باللسان العربي وبمعان معروفة.
- أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله ﷻ.

أما التمائم: فهي جمع تميمة وهي: ما يعلق عادة على الصبيان من خرز أو عظام أو جلد، أو نحو ذلك لاعتقاد دفع العين عنهم، وقد نهى عنها رسول الله ﷺ لما فيها من شرك، أو ذريعة إليه[1].

وأما التِوَلة: بكسر التاء وفتح الواو: فهي ما يضع بزعم أنه يحبب المرأة إلى زوجها، كما فسر ذلك ابن مسعود ﷺ قالوا: يا أبا عبد الرحمن هذه الرقى والتمائم قد عرفناها، فما التولة؟ قال: شيء صنعه النساء يتحببن إلى أزواجهن[2]، وكانت المرأة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر[3]. وهذه الأحاديث وغيرها التي تنهى عن هذه الأمور، التي فيها توكل على غير الله تعالى، واعتقاد جلب نفع، أو دفع ضرّ من دونه ﷻ، والله تعالى يقول: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: 107].

فقد حرص رسول الله ﷺ على حماية التوحيد من مثل الأمور التي قد يتساهل فيها المرء مع خطورتها، فمن تعلق وأنزل حوائجه به

---

(1) حماية الرسول، ص: 316.
(2) المصدر نفسه، ص: 317.
(3) المصدر نفسه، ص: 317.

والتجأ إليه، وفوّض أمره إليه، كفاه وقرب إليه كل بعيد، ويسّر له كل عسير، ومن تعلق بغيره أو سكن على رأيه وعقله ودوائه وتمائمه ونحو ذلك وَكّله الله إلى ذلك وخذله، وهذا معروف بالنصوص والتجارب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطّلاَق: 3][1].

4 ـ الاستسقاء بالأنواء:

ومعناه نسبة السقيا ونزول المطر إلى الأنواء، والأنواء: جمع نوء، وهي منازل القمر[2]. وقد حرص الرسول ﷺ أن يبين لأمته ما كان عليه أهل الجاهلية من شرك وضلال وأمرهم بالحذر من ذلك والبعد عنه، وأهم ذلك وأعظمه ما كان متعلقاً بأمور الاعتقاد، ومن ذلك ما كان شائعاً في الجاهلية من نسبة نزول المطر إلى النجوم ومطالعها ومغاربها، وبين عليه الصلاة والسلام ما في ذلك من الشرك المنافي للتوحيد، كما جاء في حديث أبي مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«أربع من أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»**[3].

وعن زيد بن خالد ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: **«هل تدرون ماذا قال ربكم؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل**

(1) فتح المجيد، ص: 105، عبد الرحمن بن حسن.
(2) حماية الرسول حمى التوحيد، ص: 320.
(3) صحيح مسلم بشرح النووي (2/ 644).

الله ورحمته فذلك مؤمن بي، كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»[1].

وهذا الحديث القدسي العظيم يخبر به رسول الله ﷺ عن ربه ﷻ أن من الناس من ينسب نعمه ﷻ إلى غيره ويضيف أفعاله إلى سواه، وهو تعالى المنعم وحده الذي يجب أن تنسب إليه وحده جميع النعم، جل شأنه، فهو المتفرد بالرزق، المستحق أن تنسب إليه النعم ويفرد بالشكر عليها وحده لا شريك له[2].

وهذا البيان من رسول الله ﷺ حماية منه لجناب التوحيد وحرصاً على أمته من الشرك، وقد نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ وبين أن الله سبحانه هو ينزل الأمطار في آيات محكمات قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: 48-50].

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: 10، 11].

وقد نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ يبيّن الحكمة من

---

(1) أخرجه مسلم في الجنائز، باب: التشديد في النياحة (الحديث: 2157).

(2) حماية حمى التوحيد، ص: 323.

خلق النجوم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [المُلك: 5].

فهذه ثلاث حكم جعلها الله ﷻ في خلق النجوم فهي زينة للسماء ورجوم، ترجم بها الشياطين عند استراقهم السمع ووسيلة للاهتداء في ظلمات البر والبحر[1].

5 ـ السحر:

رقى وعزائم وعقد يفعلها السحرة تؤثر في القلوب وفي الأبدان بمرض أو قتل أو تفريق بين المرء وزوجه، وغير ذلك، كما أخبر الله عن ذلك في كتابه الكريم، فقال: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: 102]، ويقع ضرره بمشيئة الله: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 102].

والسحر حقيقة، وقد أمر الله بالاستعاذة من أهله إذ يقول ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق: 1-5] والنفاثات: هن السواحر وبيَّن سبحانه أن السحر كفر بالله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ [البَقَرَة: 102].

قال أبو بكر ابن العربي: وما كفر سليمان قط ولا سحر ولكن

---

(1) حماية الرسول حمى التوحيد، ص: 326.

الشياطين كفروا بسحرهم، وأنهم يعلمون الناس، ومعتقد السحر كافر، وقائله كافر، ومعلمه كافر، ويعلمون الناس ما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما كان الملكان يعلمان أحداً حتى يقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾.

وقد ذم الله ﷻ السحر وأهله في كتابه الكريم، وبيّن بطلان عملهم، وأنهم لا خلاق لهم في الآخرة وجاء ذلك في آيات كثيرة من كتابه منها:

- قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: 102].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس: 81].

وقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: 69].

وقال رسول الله ﷺ: **«اجتنبوا السبع الموبقات»** قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: **«الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات»**[1].

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الوصايا، باب: قول الله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى. . .﴾ (الحديث: 2766).

6 ـ الكهانة:

تضافرت الآيات والأحاديث الصحيحة بالنهي عن إتيان الكهان وتصديقهم فيما يقولون، وتحريم ما يعطون من حلوان[1].

ـ قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: 221، 223].

ـ قال ﷺ: **«من أتى عرافاً فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»**[2].

ـ وعن ابن مسعود قال: نهى رسول الله عن ثمن الكلب، ومهر البغي وحلوان الكاهن[3].

7 ـ الشفاعة:

بيَّن الرسول ﷺ الصراط المستقيم الذي يصلهم بربهم دون شفعاء ولا وسائط وهو طريق التوحيد الخالص لله ﷻ وإفراده سبحانه بالعبادة دون ما سواه، أما الشفاعة المثبتة التي أثبتها القرآن الكريم وبيَّنها رسول الله ﷺ فلها شرطان:

أ ـ الإذن من الله تعالى للشافع، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: 255]

---

(1) موقف الإسلام من السحر، حياة سعيد (1/ 237) حلوان الكاهن: ما يعطاه على كهانته.

(2) أخرجه مسلم في كتاب: السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان (الحديث: 5782).

(3) أخرجه البخاري في كتاب: الطب، باب: الكهانة (الحديث: 5761).

ب ـ الرضا عن المشفوع له: قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: 28].

وهذه الشفاعة خص الله تعالى بها أهل توحيده وعبادته تفضلاً منه وكرماً، فهذه خاصة بهم لأنهم لم يتخذوا من دون الله ولياً ولا شفيعاً، وقد رضي الله قولهم وعملهم، كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أسعد الناس بشفاعتك؟**» فقال عليه الصلاة والسلام: «**من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**»[1].

وأول الشافعين رسول الله ﷺ إمام الموحدين وخاتم المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، والذي اختصه الله تعالى وأكرمه بشفاعات عظيمة في ذلك اليوم تفضلاً، وتكريماً منه سبحانه لرسوله محمد ﷺ، ورحمة بأمته عليه الصلاة والسلام قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً**»[2].

فله عليه الصلاة والسلام الشفاعة العظمى يوم القيامة والتي يتخلى عنها أولو العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهي كما بيّن لأهل التوحيد من أمته وهو الذي يشفع في دخول المؤمنين الجنة، وفي إخراج عصاة الموحدين من النار، والشفاعة إنما تكون وتنفع أهل

---

(1) أخرجه البخاري انظر: فتح الباري (11/ 418).

(2) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته (الحديث: 492).

التوحيد، أما غيرهم فهم كما قال ﷻ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر: 48][1].

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٤٤﴾ [الزمر: 44].

ـ وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٨﴾ [يونس: 18].

(1) حماية الرسول حمى التوحيد، ص: 348

المبحث السادس

الإيمان

أولاً: الإيمان لغة وشرعاً وزيادة ونقصاناً:

الإيمان لغة: التصديق، قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف مع أبيهم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يُوسُف: 17] أي: بمصدق لنا.

وشرعاً: هو نطق اللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[1].

ومن الأدلة من الكتاب والسنة على زيادة الإيمان ونقصانه:

- قوله تعالى: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدّثر: 31].

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفَال: 2].

---

(1) فتح الباري (1/ 45، 48)، شرح أصول اعتقاد وأهل السنة (1/ 151).

ـ قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [مريم: 76].

ـ وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: 22].

وعن جندب بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً[1].

وقال رسول الله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**[2].

ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب[3] نهبة يرفع الناس إليها فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»**[4]. والقول الصحيح الذي قاله المحققون في شرح هذا الحديث أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان[5].

---

(1) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب: في الإيمان (الحديث: 61).

(2) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها (الحديث: 152).

(3) أي: لا يختلس شيئاً له قيمة عالية.

(4) أخرجه البخاري في كتاب: المظالم، باب: النهبى بغير إذن صاحبه (الحديث: 2475)، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي. . . (الحديث: 200).

(5) شرح النووي على صحيح مسلم (1 / 241).

والطاعات والأعمال الصالحة داخلة في الإيمان، ومن الأدلة على ذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾ [التوبة: 71].

وقد أطلق القرآن الكريم لفظ الإيمان على العمل في بعض الآيات ومن ذلك:

ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 143]، والإيمان هنا يُراد به الصلاة، وقد ذهب جمهور المفسرين إلى هذا، بل إن الصحابة فهموا هذا، وتضافرت الروايات عنهم في سبب نزول الآية[1].

ـ ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾ [البقرة: 177]، فالآية اعتبرت هذه الخصال تصديقاً وإيماناً، وجعلت أعمال البر هذه من الإيمان، ووجه الدلالة مما فسره

(1) فقه النصر والتمكين، ص: 163.

رسول الله ﷺ حيث روى عبد الرزاق في مصنفه وغيره عن أبي ذر الغفاري ﷺ أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان فتلى عليه هذه الآية (ليس البر...إلخ) والحديث رجاله ثقات[1].

ثانياً: الإسلام والإيمان والإحسان:

قال عمر بن الخطاب ﷺ: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال رسول الله ﷺ: **«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»**. قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: **«أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: **«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ـ إلى أن قال ـ يا عمر أتدري من السائل؟»** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **«إنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم»**[2].

فجعل الدين: هو الإسلام والإيمان والإحسان، فتبين أن ديننا

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: أمور الإيمان (الحديث: 9) تعليقاً.

(2) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بين الإيمان والإسلام والإحسان (الحديث: 93) تعليقاً.

يجمع الثلاثة، لكن هو درجات ثلاث: مسلم، ثم مؤمن، ثم محسن، والمراد بالإيمان ما ذكر مع الإسلام قطعاً، كما أنه يريد بالإحسان مع الإيمان والإسلام، لا أن الإحسان يكون مجرداً عن الإيمان[1]. وهذا كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: 32].

والمقتصد والسابق: كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه، فإنه معرض للوعيد، وهكذا من أتى بالإسلام الظاهر مع التصديق بالقلب، لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن، فإنه معرض للوعيد، فأما الإحسان وهو أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله، والإيمان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أهله من الإسلام، فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين[2].

ثالثاً: أصل الإيمان:

أصل الإيمان في القلب، به يدخل العبد في الإسلام، وبه يكون اعتبار سائر الأعمال، وبصلاح ما في القلب أو فساده يكون صلاح الأعمال أو فسادها، قال ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[3]،

---

(1) المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية، ص: 146.

(2) المصدر نفسه، ص: 147.

(3) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه (الحديث: 52).

فأصل الإيمان في القلب، وهو قول القلب وعمله، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، فالتصديق هو قول القلب، وهو المعرفة والإثبات لما دلت عليه الشهادتان. والحب: عمل القلب نحو المشهود لهما، وهو الله تبارك وتعالى في شهادة أن لا إلٰه إلا الله، ومحمد بن عبد الله في شهادة أن محمداً رسول الله، فيحب الله ورسوله ﷺ ودينه. والانقياد: عمل القلب أيضاً، وهو القبول، وعقد العزم على الامتثال لما دلت عليه الشهادتان[1]، وينعقد أصل الإيمان بثلاثة أمور:

1 ـ النطق بالشهادتين.

2 ـ قول القلب وهو العلم والتصديق بمعانيهما، وأن الرسول ﷺ صادق في كل ما أُخبر به عن الله.

3 ـ عمل القلب، وهو قبول التوحيد والبراءة من ضده، والمحبة لله ولرسوله ولدينه والعزم على الانقياد لهما، فإذا جاء العبد بأصل الإيمان فهو مأمور مكلف بتكميل إيمانه، ليس له أمن في الحياة الدنيا ولا في الآخرة إلا بذلك، فإذا امتثل العبد الطاعات، واجتنب المحرمات، فقد استكمل عُرى الإيمان الواجب، وأصبح في مرتبة المقتصد[2].

وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: أن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان[3].

---

(1) أثر الإيمان في تحصين الأمة (1/ 191).

(2) المصدر نفسه (1/ 193).

(3) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ «بني الإسلام على خمس» (الحديث تعليقاً).

رابعاً: الأسس التي يقوم عليها الإيمان بالله ﷻ:

يقوم الإيمان بالله ﷻ على أسس من أهمها:

1 ـ **الكفر بالطاغوت**: فُسر الطاغوت بالشيطان، والساحر والكاهن، والأصنام[1]، وهذا تفسيرٌ له ببعض أفراده، وإلا فالطاغوت يطلق على كل من طغى وتجاوز حده وادّعى حقاً من حقوق الله التي تفرد بها[2].

قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: 256].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ [الزُمَر: 17]. وفي ذلك إشارة إلى أن التطهير مقدم على التزكية وأن تخليص القلب من أدرانه ونجاسته المتمثلة بالمعتقدات الباطلة وما يترتب عليها من محبة الطواغيت أو التعلق بهم واجب لحلول الإيمان بالقلب[3].

2 ـ **الإيمان بالغيب**: قال تعالى: ﴿الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [البقرة: 1 ـ 3].

والغيب هو كل ما غاب عنك، وفي قوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ أي: آمنوا بالله وملائكته ورسله، واليوم الآخر، وجنته، وناره

(1) جامع البيان لابن جرير (3/ 18، 19).
(2) أثر الإيمان (1/ 47).
(3) المصدر نفسه (1/ 44).

ولقائه، وآمنوا بالحياة بعد الموت[1]، وقد جمع الرسول ﷺ أصول الأمور الغيبية بتعريفه للإيمان في حديث جبريل عليه السلام ـ حيث قال: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[2].

3 ـ **امتثال الأوامر واجتناب النواهي**: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: 56]، ففي هذه بيان للحكمة التي خلق الله من أجلها الناس وهي أن يكلفهم بعبادته، بالامتثال لأوامره والانتهاء عن نواهيه، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝٢٠٨﴾ [البقرة: 208] والسلم: هو الإسلام والمراد بكافة: أي جميع شرائع الإسلام، ففي الآية يدعو الله المؤمنين إلى الأخذ بجميع شرائع الإسلام، وإقامة جميع أحكامه، وحدوده، دون تضييع بعضه والعمل ببعضه[3].

4 ـ **الإخلاص لله في العبادة**: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: 9].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: 65].

وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: 3].

---

(1) جامع البيان (1/ 101).

(2) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بين الإيمان والإسلام والإحسان. . . (الحديث: 93).

(3) جامع البيان (2/ 324).

فالإخلاص شرط في صحة العبادة وأساس مهم من أسس الإيمان بدونه لا يدخل العبد في ولاية الله، ولا يقبل منه عمل ولا يتحصل على ثمرات الإيمان وكراماته التي وعد بها عباده المؤمنين[1].

5 ـ **صدق المتابعة للنبي ﷺ**: قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: 21] ، هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله[2].

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110].

وهذان رُكْنا العمل المتقبل لا بد أن يكون صواباً خالصاً فالصواب: أن يكون على السنة وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾. **والخالص**: أن يخلص من الشرك الجلي، والخفي، وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[3].

6 ـ **العلم**: قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: 55]. فالعلم أساس هام في الإيمان بالله وركن بارز في دعوة النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف: 108] ، فدلت آية سورة يوسف على أن طريق النبي ﷺ يقوم على ثلاثة أمور:

---

(1) أثر الإيمان (1/ 65).

(2) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (6/ 392).

(3) تيسير العزيز الحميد، ص: 525.

- **التوحيد الخالص**: القائم على فعل الطاعات واجتناب المحرمات مع الإخلاص لله في ذلك.

- **الدعوة إلى التوحيد.**

- **العلم والبصيرة في ذلك كله**(1).

وقد بين سبحانه أن التعليم من أخص وظائف النبي ﷺ وأنه أخرج به المسلمين من الضلال المبين، فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: 2].

فيجب علينا أن نعلم أهم المسائل والتي هي:

- العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

- العمل به.

- الدعوة إليه.

- الصبر على الأذى فيه.

والدليل قول الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: 1 ـ 3].

إن العمل الصالح يقوم على الإيمان، والإيمان يقوم على التوحيد.

والإيمان الذي يريده الله هو الإيمان الحي الفاعل، هو الإيمان المؤثر النامي، هو الإيمان القائد الموجه، الإيمان الذي ينفع صاحبه،

---

(1) جامع البيان (13/ 79، 80)، أثر الإيمان (1/ 71).

هو الإيمان الذي يغرس في قلبه فينمو ويزدهر وينير ويضيء ويزين هذا القلب بزينته ويملؤه في كل جوانبه وزواياه، الإيمان الذي يمد أغصانه وفروعه على كيان هذا المؤمن ووجوده ويلقى ظلاله على حياته وواقعه ويعطي ثماره له في ليله ونهاره، الإيمان الذي عاشه المؤمنون الصادقون العاملون من الأنبياء والأولياء الصالحين هو الذي تنتج عنه الأعمال، ويضبط به السلوك، ويصلح به الواقع، وتستقيم به الحياة، الإيمان المعبر هو الذي يبعث على الهمة والنشاط والسعي، والجهد والمجاهدة والجهاد والتربية، والاستعلاء والعزة والثبات واليقين[1].

خامساً: شرح بعض الآيات القرآنية التي تحدثت عن الإيمان:

1 ـ زينة الإيمان: قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحُجرَات: 7]، لما كانت المعاصي بعضها كفر، وبعضها ليس بكفر، فرق بينها فجعلها ثلاثة أنواع منها كفر، ونوع منها فسوق وليس بكفر، ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق، وأخبر أنه كرّهها كلها إلى المؤمنين، ولما كانت الطاعات كلها داخلة في الإيمان، وليس فيها شيء خارج عنه، لم يفرق بينها فيقول: حبب إليكم الإيمان والفرائض وسائر الطاعات، بل أجمل ذلك فقال: ﴿حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [الحجرات: 7] فدخل في ذلك جميع الطاعات[2].

2 ـ نور الإيمان: قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ

(1) في ظلال الإيمان، ص: 63.

(2) الأمثال القرآنية (1/ 194) مجموع الفتاوى (7/ 42).

نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور: 35].

وقد فسر قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: 35] بكونه منوّر السمٰوات والأرض، وهادي أهل السمٰوات والأرض، فبنوره اهتدى أهل السمٰوات والأرض، وهذا إنما هو فعله وإلا فالنور هو من أوصافه قائم به ومنه اشتق اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى، والنور يضاف إليه سبحانه على أحد وجهين: إضافة صفة إلى موصوفها، وإضافة مفعول إلى فاعله[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ وهي أن أصل الإيمان يكون من الله عندما يشرح صدر عبده المؤمن للإسلام ويجعل له نوراً فيبدأ به النور والحياة، وقد شبه العلم المستفاد من الوحي الواصل للقلب بالزيت الجيد، فاستدامة النور وقوته وسلامته وتنامي حياة القلب، إنما تكون بالعلم بالكتاب والسنة والعمل به، فهي غذاؤه ومادة حياته[2].

ـ إن ضياء النار يحتاج في دوامه إلى مادة تحمله، وتلك المادة للضياء بمنزلة غذاء الحيوان، فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع والعمل الصالح يقوم بها ويدوم بدوامها، فإذا ذهبت مادة الإيمان طفئ كما تطفأ النار بفراغ مادتها[3].

---

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم، ص: 6.

(2) المصدر نفسه، ص: 20، الأمثال القرآنية (1/ 360).

(3) المصدر نفسه، ص: 20.

- إن المثل دل على أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بزيادة العلم الواصل للقلب المستفاد من نور الكتاب والسنة كما ينقص بنقصه، ومأخذ ذلك من المثل هو تشبيه العلم الذي يمد القلب بالمعارف والحقائق الإيمانية بالزيت الذي يمد المصباح بالوقود، وكون المصباح يزيد ضوؤه ويصفو بزيادة الزيت وجودته، والمؤمنون يتفاوتون بقوة النور الكائن في قلوبهم بحسب ما عندهم من العلم والإيمان، وأكمل المؤمنين نوراً هو النبي ﷺ لكمال علمه وإيمانه.

- إن المثل دل على أن النور الذي يجعله الله في قلوب المؤمنين نور حقيقي، ومأخذ ذلك هو تشبيه ذلك النور الذي يعلم معناه، ولا تعتقل كيفيته بنور المصباح المحسوس فالتشبيه بالمحسوس يؤكد وجوده وحقيقته[1].

- هناك تشابه بين الفطرة والفتيلة، من حيث إن كُلًّا منهما في أصل خلقه وصنعه مُهيأ لاستدعاء وتشرب ما يناسبه، فالفتيلة تتشرب الوقود المناسب وتمتصه وتتبلل به وتصبح مهيأة به للاشتغال إذا أوقدت، وكذلك الفطرة على الدين الحنيف التي فطر الله قلوب العباد عليها مهيأة لاستدعاء ما يناسب ما فُطرت عليه من التوحيد والدين والحق، فإذا تشربت ما يرد إليها من ذلك من العلم بالكتاب والسنة، فإنها تكون مهيأة لإيقاد مصباح القلب وقذف نور الإيمان به، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الرُوم: 30].

فالله ﷻ فطر كل الناس على معرفته وتوحيده ومحبته وجبل نفوسهم ،على استدعاء وقبول ما يناسب ذلك من الدين والإسلام،

(1) الأمثال القرآنية (1/ 370 ـ 375).

والفطرة تزكى بالعلم المستمد من الكتاب والسنة وتطهيرها من مكايد شياطين الإنس والجن الذين يجتهدون في إفسادها[1].

ـ إن المثل دل على أثر نور العلم والإيمان على العقل حيث أكسبه سلامة التعقل، وسداد النظر، وصحة الاستنتاج وأن الطريق إلى الحق في كل المطالب الدينية إنما يكون بإعمال العقل المستنير بالوحي النازل على الرسول ﷺ لاستخلاص الحقائق والمعارف اليقينية وغيرها، وأن العقل المجرد عن العلم لا سبيل له إلى تلك الحقائق، كما دل المثل على أن النور سطع وأشرق على كل أعمال القلب ووظائفه الأخرى من العقائد، والعواطف، والإرادات، والانفعالات، فأخصبها بالخير والسلامة والصلاح[2].

ـ في قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ﴾ دل على أن نور القرآن والسنة والعلم المستفاد منهما يغذي نور الإيمان، ويزيده ويقويه وفي قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40] دليل على أن النورين من الله، نور الإيمان الذي يقذف في القلب ونور العلم الذي طريقه الوحي، فمن هُدي إلى الأول واهتدى بالثاني فقد أعطاه الله نوراً تاماً، ومن أخطأه الله فليس له من نور، بل هو في طريق من طرق الضلال سائر في الظّلمات[3].

3 ـ روح الإيمان: قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى: 52].

(1) الأمثال القرآنية (1/ 390 ـ 412).
(2) المصدر نفسه (1/ 418).
(3) المصدر نفسه (1/ 420).

فسمى وحيه روحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح التي هي الحياة في الحقيقة ومَنْ عَدِمَها فهو ميت لا حي، سماه نوراً لما يحصل به من استنارة القلوب وإضاءتها وكمال الروح بهاتين الصفتين بالحياة والنور، ولا سبيل إليهما إلا على أيدي الرسل صلوات الله وسلامه عليهم والاهتداء بما بعثوا به، وتلقي العلم النافع والعمل الصالح من مشكاتهم، وإلا فالروح ميتة مظلمة، وإن كان العبد مشاراً إليه بالزهد والفقه والفضيلة والكلام في البحوث، فإن الحياة والاستنارة بالروح الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله ﷺ وجعله نوراً يهدي به من يشاء من عباده، فليس العلم كثرة النقل والبحث والكلام، ولكن نور يميز به صحيح الأقوال من سقيمها وحقها من باطلها، وما هو من مشكاة النبوة مما هو من آراء الرجال[1].

سادساً: أسباب قوة الإيمان:

هذا الفصل عظيم النفع والحاجة، بل الضرورة ماسة إلى معرفته والعناية به ـ معرفة واتصافاً ـ وذلك: أن الإيمان هو كمال العبد، وبه ترتفع درجاته في الدنيا والآخرة، وهو السبب والطريق لكل خير عاجل وآجل، ولا يحصل، ولا يقوى، ولا يتم إلا بمعرفة ما منه يستمد وإلى ينبوعه وأسبابه وطرقه، والله تعالى قد جعل لكل مطلوب سبباً وطريقاً يوصل إليه، والإيمان أعظم المطالب وأهمها وأعمها، وقد جعل الله له مواد كبيرة تجلبه وتقويه، كما كان له أسباب تضعفه وتهويه. ومواده التي تجلبه وتقويه أمران: مجمل ومفصل:

أما المجمل فهو: التدبر لآيات الله المتلوة: من الكتاب والسنة،

(1) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة، ص: 24.

والتأمل لآياته الكونية على اختلاف أنواعها، والحرص على معرفة الحق الذي خلق له العبد، والعمل بالحق، فجميع الأسباب مرجعها إلى هذا الأصل العظيم[1]، وأما التفصيل: فالإيمان يحصل ويقوى بأمور كثيرة، منها:

1 ـ معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة: والحرص على فهم معانيها والتعبد لله بها، فقد قال رسول الله ﷺ: **«إن لله تسعة وتسعين اسماً ـ مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»**. أي من حفظها وفهم معانيها واعتقدها وتعبّد الله بها دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون، فعلم أن ذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوته وثباته، ومعرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه، وقوي يقينه، فينبغي للمؤمن: أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات، وتكون هذه المعرفة متلقاة من الكتاب والسنة وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه المعرفة النافعة تجعل المؤمن في زيادة في إيمانه وقوة يقينه، وطمأنينة في أحواله[2].

2 ـ تدبر القرآن على وجه العموم: فإن المتدبر لا يزال يستفيد من علوم القرآن ومعارفه، ما يزداد به إيماناً، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: 2]، وهو العلاج الناجع لأمراض القلوب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: 57]، إنه موعظة من الله وهل هناك أبلغ من الموعظة

---

(1) شجرة الإيمان، للسعدي، ص: 39.

(2) المصدر نفسه، ص: 41.

الربانية؟ وأيسر منها؟ وأكثر نفاذاً إلى القلب والضمير؟ ففيه الشفاء لأمراض الشبهات والشهوات، وأمراض الهوى والانحراف، وأمراض الشك والشرك، وأمراض القلوب والنفوس والجوارح والحواس وأمراض السياسة والاقتصاد والأخلاق والاجتماع والحياة والحضارة[1]، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82].

فهو غذاء للروح، وعلاج يشفي النفوس من عللها ويكسبها المناعة القوية[2]، ومن ثمرات تدبر القرآن: أنه وسيلة لمعرفة ما يريد الله منا، وكيفية عبادته تبارك وتعالى، ومعرفة ما أنزل الله، لأن القرآن الكريم منهج حياة أنزله الله ﷻ وهو أساس التشريع الذي يجب على العباد أن يتدبروه، ويلتزموا بأوامره، ويجتنبوا نواهيه ليحققوا عبادة الله تعالى[3].

وإذا نظر إلى انتظام القرآن الكريم وإحكامه، وأنه يصدق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً، ليس فيه تناقض ولا اختلاف: تيقن أنه ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42] وأنه لو كان من عند غير الله، لوجد فيه من التناقض والاختلاف أمور كثيرة، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: 82]، وهذا من أعظم مقويات الإيمان، ويقويه من وجوه كثيرة فالمؤمن بمجرد ما يتلو آيات الله، ويعرف ما ركب عليه من الأخبار الصادقة والأحكام الحسنة،

(1) الإيمان أولاً فكيف نبدأ به، د.الهدلي، ص: 119.
(2) هجر القرآن العظيم، د.محمود الدوسري، ص: 567.
(3) المصدر نفسه، ص: 566.

يحصل له من أمور الإيمان خير كبير، فكيف إذا أحسن تأمله وفهم مقاصده وأسراره؟ ولهذا كان المؤمنون الكمل يقولون: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ [آل عمران: 193].

3 ـ **معرفة النبي ﷺ**: وما هو عليه من الأخلاق العالية والأوصاف الكاملة، فإن من عرفه حق المعرفة لم يَرْتَبْ في صدقه، وصدق ما جاء به، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المؤمنون: 69] أي: فمعرفته ﷺ توجب للعبد المبادرة إلى الإيمان ممن لم يؤمن وزيادة الإيمان ممن آمن به وقال تعالى مشجعاً لهم على تدبر أحوال الرسول الداعية للإيمان: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: 46] وأقسم تعالى بكمال هذا الرسول، وعظمة أخلاقه وأنه أكمل مخلوق قال تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: 1-4] فهو ﷺ، أكبر داع للإيمان في أوصافه الحميدة، وشمائله الجميلة، وأقواله الصادقة النافعة، وأفعاله الرشيدة، فهو الإمام الأعظم والقدوة الأكمل، وقد ذكر الله عن أولي الألباب الذين هم خواص الخلق أنهم قالوا: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ [آل عمران: 193] وهو: هذا الرسول الكريم ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ بقوله وخلقه، وعمله ودينه وجميع أحواله" ﴿يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ﴾ أي: إيماناً لا يدخله ريب، ولما كان هذا الإيمان من أعظم ما يقرب العبد إلى الله، ومن أعظم الوسائل التي يحبها الله ـ توسلوا بإيمانهم: أن يكفر عنهم السيئات وينيلهم المطالب العاليات فقالوا: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا

فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ [آل عمران: 193.] ولهذا كان الرجل المنصف الذي ليس له إرادة إلا اتباع الحق مجرد ما يراه ويسمع كلامه، يبادر إلى الإيمان به ﷺ، ولا يرتاب في رسالته، بل كثير منهم مجرد ما يرى وجهه الكريم، يعرف أنه ليس وجه كذاب[1].

4 ـ **التفكر في الكون والنظر في الأنفس**: إن التفكر في الكون وفي خلق السمٰوات والأرض وما فيهن، من المخلوقات المتنوعة، والنظر في الإنسان وما هو عليه من الصفات يقوي الإيمان لما في هذه الموجودات، من عظمة الخلق الدّال على قدرة خالقها وعظمته، وما فيها من الحسن والانتظام والإحكام الذي يحير الألباب، الدال على سعة علم الله، وشمول حكمته، وما فيها، من أصناف المنافع والنعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى الدالة على سعة رحمة الله، وجوده وبره، وذلك كله يدعو إلى تعظيم مبدعها وبارئها وشكره واللهج بذكره، وإخلاص الدين له وهذا هو روح الإيمان وسره[2]، وكذلك النظر إلى فقر المخلوقات كلها واضطرارها إلى ربها من كل الوجوه، وأنها لاتستغني عنه طرفة عين، خصوصاً ما تشاهده في نفسك من أدلة الافتقار وقوة الاضطرار، وذلك يوجب للعبد كمال الخضوع، وكثرة الدعاء والتضرع إلى الله، في جلب ما يحتاجه من منافع في دينه ودنياه، ويوجب له قوة التوكل على ربه وكمال الثقة بوعده، وشدة الطمع في بره وإحسانه، وبهذا يتحقق الإيمان ويقوى التعبد، فإن الدعاء مخ العبادة وخالصها[3]، وكذلك التفكر في كثرة نعم الله وآلائه العامة

---

(1) شجرة الإيمان، ص: 48.

(2) المصدر نفسه، ص: 50.

(3) المصدر نفسه، ص: 50.

والخاصة، التي لا يخلو منها مخلوق طرفة عين، فإن هذا يدعو إلى الإيمان[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: 190، 191].

5 ـ **الإكثار من ذكر الله في كل وقت:** ومن الدعاء الذي هو مخ العبادة، فإن الذكر لله يغرس شجرة الإيمان في القلب، ويغذيها وينميها، وكلما ازداد العبد ذكراً لله، قوي إيمانه كما أن الإيمان يدعو إلى كثرة الذكر، فمن أحب الله أكثر من ذكره، ومحبة الله هي الإيمان، بل هي روحه، وللذكر آثار نافعة في حياة المسلمين الدنيوية والأخروية منها:

أ ـ **الحياة الطيبة الحقيقية:** فالحياة هي حياة الروح المتغذية بالوحي الإلٰهي، المتعلق قلب صاحبها بذكر الله، وهي التي وصفها الله بالحياة الطيبة بقوله سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: 97]، وبقوله أيضاً: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: 3]. فذكر الله تعالى ومحبته وطاعته والإقبال عليه ضامن لأطيب الحياة في

(1) شجرة الإيمان، ص: 50.

الدنيا والآخرة، والإعراض عنه ومعصيته كفيل بالحياة المنغصة والمعيشة الضنك في الدنيا والآخرة[1]، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: 124] ، وعلى هذا فحياة الروح والقلب هذه، لا يحياها ولا يذوق طعمها إلا الذاكر لله سبحانه وتعالى، كما قال المصطفى: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميتَ**»[2]، فما بين الذاكر والغافل هو ما بين الحي والميت وشتان ما بينهما[3]، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها حتى قال قائلهم: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها ولم يذوقوا أطيب ما فيها؟ قيل: ما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى، ومعرفته وذكره[4]. فالذكر بين الغافلين هو كالحي بين الموتى حياة متكاملة في البدن والروح والشعور قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: 122].

ب ـ القوة في الأبدان وأحياء المعاش والجهاد:

إن الذكر يعطي الذاكر قوة حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه[5]، وشاهد ذلك موقف النبي ﷺ مع ابنته فاطمة

---

(1) مدارج السالكين (3/ 259).

(2) أخرجه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: فضل الذكر (الحديث: 6407).

(3) ذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع، عبد الرحمٰن خليفة، ص: 171.

(4) المصدر نفسه، ص: 171.

(5) المصدر نفسه، ص: 172.

وعلي ﷺ ، لما سألته خادماً وشكت إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة فعلمّهما: أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثاً وثلاثين، ويحمدا ثلاثاً وثلاثين، ويكبّرا أربعاً وثلاثين، وقال لهما: «**فهذا خير لكما من خادم**»[1]، فقيل: إن من داوم على ذلك وجد قوة في يومه مغنية عن خادم[2].

ج ـ رقة القلب وخشوعه:

إن ذكر الله يوجب خشوع القلب وصلاحه ورقته، ويذهب بالغفلة عنه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرّعد: 28] ، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزُّمَر: 23].

د ـ النجاة من عذاب الله:

قال رسول الله ﷺ: «**ما عمل آدمي عملاً قط، أنجى له من عذاب الله من ذكر الله**»[3]، وهذه نهاية الغايات وأعظم المطالب وهي أولى آثار الذكر وثماره، وأجل فوائده في المعاد[4].

هـ ـ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة:

ذكر رسول الله ﷺ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: التكبير (الحديث: 6318).

(2) شرح النووي على مسلم (17/ 45).

(3) صحيح الجامع، للألباني (الحديث: 5644).

(4) ذكر الله تعالى، ص: 175.

ظل إلا ظله، يقول النبي ﷺ: «... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»[1].

و ـ تكثير الشهود يوم القيامة:

فكل معالم الأرض تأتي شاهدة للذاكرين يوم تُحَدث الأرض أخبارها، فالجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله ﷻ عليها، قال ابن مسعود: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: أمرّ بك اليوم أحد يذكر الله ﷻ؟ فإذا قال نعم استبشر[2].

6 ـ معرفة محاسن الدين: من الأسباب المقوية للإيمان معرفة محاسن الدين، فإن الدين الإسلامي كله محاسن، عقائده أصح العقائد وأصدقها وأنفعها، وأخلاقه أحمد الأخلاق وأجملها، وأعماله وأحكامه أحسن الأحكام وأعدلها وبهذا النظر الجليل يزين الله الإيمان في قلب العبد، ويحببه إليه، كما امتن به على خيار خلقه بقوله: ﴿وَلَكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: 7]، فيكون الإيمان في القلب أعظم المحبوبات وأجمل الأشياء وبهذا يذوق العبد حلاوة الإيمان ويجدها في قلبه، فيتجمل الباطن بأصول الإيمان وحقائقه، وتتجمل الجوارح بأعمال الإيمان وفي الدعاء المأثور: **«اللهم زيّنا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين»**[3].

ومن النماذج الرفيعة في القدرة على عرض محاسن الإسلام

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: البكاء من خشية الله (الحديث: 6479).

(2) الوابل الصيب، ص: 106.

(3) أخرجه النسائي في كتاب: السهو، باب: نوع آخر، (الحديث: 1304).

على الآخرين ما قام به جعفر بن أبي طالب ﷺ في عرض محاسن الإسلام على ملك الحبشة، وكان ذلك سبباً في إسلامه وهدايته، فقد قال جعفر ﷺ وكان هو المتكلم عن المسلمين: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ـ فعدد عليه أمور الإسلام ـ فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من دين الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. فقال له النجاشي: وهل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدراً من ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: 1]. فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصافحهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال لهم النجاشي:

إن هذا - يقصد القرآن الكريم - والذي جاء به عيسى - يقصد الإنجيل - ليخرج من مشكاة واحدة. أي: من مصدر واحد، أي: من عند الله تعالى - انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يُكادون - يخاطب عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة مندوبي قريش إلى النجاشي. قالت أم سلمة ﵂: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار[1]، ثم أسلم بعد ذلك النجاشي وحسن إسلامه وأسلم معه أساقفه وبطارقه وكثير من النصارى في تلك الديار[2].

كان رد جعفر على أسئلة النجاشي في غاية الذَّكاء وقمّة المهارة السياسية والإعلامية والدعوية والعقدية فقد قام بالتالي:

أ - عَدَّد عيوب الجاهلية، وعرضها بصورة تنفر السامع، وقصد بذلك تشويه صورة قريش في عين الملك، وركز على الصفات الذميمة التي لا تنتزع إلا بنبوَّة.

ب - عرض شخصية الرسول ﷺ في هذا المجتمع الآسن، المليء بالرّذائل وكيف كان بعيداً عن النّقائض كلها ومعروفاً بنسبه وصدقه، وأمانته، وعفافه فهو المؤهل للرّسالة.

ج - أبرز جعفر محاسن الإسلام وأخلاقه، التي تتفق مع أخلاقيات دعوات الأنبياء، كنبذ عبادة الأوثان وصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدِّماء وإقامة الصلاة وإيتاء الزّكاة، وكون النجاشي وبطارقته موغلين في النصرانية،

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (1/ 202 - 203).

(2) حقيقة الولاء والبراء، سيد سعيد، ص: 156.

فهم يدركون أن هذه رسالات الأنبياء، التي بعثوا بها من لدن موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام[1].

لقد نجح جعفر ﷺ بتوفيق الله في عرض محاسن الإسلام فأسلم الملك وكسبه إلى جانبه.

7 ـ الاجتهاد في التحقق من مقام الإحسان: في عبادة الله والإحسان إلى خلقه، فيجتهد أن يعبد الله كأنه يشاهده ويراه، فيجتهد في إكمال العمل وإتقانه، ولا يزال العبد يجاهد نفسه: ليتحقق بهذا المقام العالي، حتى يقوم إيمانه ويقينه ويصل في ذلك إلى حق اليقين ـ الذي هو أعلى مراتب اليقين، فيذوق حلاوة الطاعات، ويجد ثمرة المعاملات، وهذا هو الإيمان الكامل وكذلك الإحسان إلى الخلق ـ بالقول، والفعل والمال والجاه وأنواع المنافع، هو من الإيمان ومن دواعي الإيمان، والجزاء من جنس العمل، فكما أحسن إلى عباد الله وأوصل إليهم من بره، أحسن الله إليه أنواعاً من الإحسان ومن أفضلها: أن يقوي إيمانه ورغبته في فعل الخير، والتقرب إلى ربه وإخلاص العمل له، وبذلك يتحقق العبد بالنصح لله، ولعباده، فإن الدين النصيحة، ومن وفق للإحسان في عبادة ربه، والإحسان في معاملة الخلق، فقد تحقق نصحه[2].

ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: 90].

ـ وقال تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: 134].

---

(1) السيرة النبوية، للصّلابي (1/ 361).
(2) شجرة الإيمان، ص: 53.

ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56].

ـ وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هُود: 115].

ـ وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرَّحمٰن: 60].

ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النّحل: 128].

فالمحسنون يشعرون بمعية الله، يا له من شعور عظيم يستحقه المحسنون[1].

8 ـ الدعوة إلى الله: ومن دواعي الإيمان وأسبابه: الدعوة إلى الله وإلى دينه، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والدعوة إلى أصل الدين، والدعوة إلى التزام شرائعه، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن طريق الدعوة إلى الله والنصيحة لعباده، من أكبر مقومات الإيمان، وصاحب الدعوة لا بد أن يسعى بنصر هذه الدعوة، ويقيم الأدلة والبراهيم على تحقيقها، ويأتي بالأمور من أبوابها، ويتوسل إلى الأمور من طرقها، وهذه الأمور من طرق الإيمان وأبوابه، كما أن الجزاء من جنس العمل، فكما سعى إلى تكميل العباد ونصحهم وتوصيتهم بالحق، وصبر على ذلك، لا بد أن يجازيه الله من جنس عمله، ويؤيده من نور منه وروح وقوة وإيمان وحسن التوكل عليه، فإن

(1) الأخلاق، عمرو خالد، ص: 38.

الإيمان وحسن التوكل على الله يحصل به النصر على الأعداء، وشياطين الإنس وشياطن الجن[1]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: 99]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: 33 ـ 35].

9 ـ **توطين النفس على مقاومة ما ينافي الإيمان**: ومن أهم مواد الإيمان ومقوياته: توطين النفس على مقاومة ما ينافي الإيمان، من شعب الكفر والفسوق والعصيان، فإنه كما أنه لا بد في الإيمان من فعل جميع الأسباب المقوية المنمية له، فلا بد مع ذلك من دفع الموانع والعوائق، وهي الإقلاع عن المعاصي، والتوبة مما يقع منها، وحفظ الجوارح كلها من المحرمات، ومقاومة فتن الشبهات القادحة في علوم الإيمان المضعفة له والشهوات المضعفة لإرادات الإيمان[2]، فإن الإيرادات التي أصلها الرغبة في الخير ومحبته والسعي لا تترك إلا بترك إرادات ما ينافيها: من رغبة النفس في الشر ومقاومة النفس الأمارة بالسوء، فمتى حفظ العبد من الوقوع في فتن الشبهات وفتن الشهوات تم إيمانه وقوي يقينه وصار مثل بستان إيمانه، ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة: 265]، ومتى كان الأمر بالعكس، بأن

(1) شجرة الإيمان، ص: 53.
(2) المصدر نفسه، ص: 60.

استولت عليه النفس الأمارة بالسوء، ووقع في فتن الشبهات أو الشهوات، أو كليهما انطبق عليه هذا المثل وهو قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾ [البَقَرَة: 266]. فالعبد المؤمن الموفق لا يزال يسعى في أمرين:

ـ **إحداهما**: تحقيق أصول الإيمان وفروعه والتحقق بها علماً وحالاً.

ـ **والثاني**: السعي في دفع ما ينافيها وينقضها أو ينقصها: من الفتن الظاهرية والباطنية، ويداوي ما قصر فيها من الأول وما تجرأ عليه من الثاني بالتوبة النصوح، وتدارك الأمر قبل فواته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعرَاف: 201] ، أي: مبصرون الخلل الذي وقعوا فيه، والنقص الذي أصابهم من طائف الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان، فإذا أبصروا، تداركوا هذا الخلل بسده وهذا الفتق برتقه[1]، فعادوا إلى حالهم الكاملة وعاد عدوهم حسيراً ذليلاً. وإخوان الشيطان ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 202]. الشياطين لا تقصر عن إغوائهم وإيقاعها في أشراك الهلاك، والمستجيبين لهم لا يقصرون عن طاعة أعدائهم، والاستجابة لدعوتهم حتى يقعوا في الهلاك، ويحق عليهم الخسار، ولذلك نكثر من الدعاء: اللهم حبب إلينا

---

(1) شجرة الإيمان، ص: 61.

الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين بفضلك ومنتك إنك أنت العليم الحكيم[1].

10 ـ معرفة حقيقة الدنيا واعتبارها ممر للآخرة: ومن مقوّيات الإيمان معرفة حقيقة الدنيا وأنها مهما طالت فهي إلى زوال، وأن متاعها مهما عظم، فإنه قليل حقير، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: 24]، إن الآية الكريمة السابقة فيها عشر جمل وقع التركيب من مجموعها، بحيث لو سقط منها شيء اختل التشبيه، إذ المقصود تشبيه حال الدنيا بسرعة تقضيها وانقراض نعيمها، واغترار الناس بها، بحال ماء نزل من السماء، وأنبت أنواع العشب، وزين بزخرفه وجه الأرض كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة، حتى إذا طمع أهلها فيها، وظنوا أنها مسلمة من الجوائح، أتاها بأس الله فجأة، فكأنها لم تكن بالأمس[2]، وأخبرنا رسول الله ﷺ بقول الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: 45] أي: واضرب يا محمد للناس ﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في زوالها، وفنائها وانقضائها ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الكهف: 45] أي: ما فيها من الحب، فشبَّ، ونما، وحسن وعلاه الزهر،

---

(1) شجرة الإيمان، ص: 62.

(2) مباحث في إعجاز القرآن، ص: 216.

والنضرة، ثم بعد هذا كله (فأصبح هشيماً) أي: يابساً (تذروه الرياح) أي: تفرّقه، وتطرحه ذات اليمين وذات الشمال ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾. أي: هو قادر على الإنشاء والإفناء[1].

قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: 20]، يقول تعالى مُوهّناً أمر الحياة الدنيا، ومحقراً لها (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب) أي: تفريح نفس (ولهو) أي: باطل (وزينة) أي: منظر جميل (وتفاخر بينكم) أي: بالحسب والنسب (وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث) أي: مطر (أعجب الكفار نباته) أي: يعجب الزراع ذلك النبات فإنهم أحرص الناس عليه، وأميل الناس إليه (ثم يهيج فتراه مصفراً) أي: ثم يجف بعد خضرته، ونضرته، وتراه مصفراً، أي: من اليبس (ثم يكون حطاماً) أي: ثم يكون بعد ذلك كله حطاماً أي: هشيماً منكسراً، وكذلك الدنيا لا تبقى، كما لا يبقى النبات الذي وصفناه، ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا، وانقضائها لا محالة، وأن الآخرة كائنة وآتية لا محالة، حذرنا الله تعالى من أمرها، ورغبنا فيما فيها من الخير، فقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ [الحديد: 20] أي: وليس في الآخرة الآتية إلا: إما هذا وإما هذا، أي: إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾

---

(1) تفسير القاسمي (11، 49).

[الحديد: 20] أي: هي متاع زائل يغر، ويخدع من يركن إليها، وإلى متاعها، فيغتر بها، وتعجب من يعتقد: أنه لا دار سواها، ولا معاد ورائها، مع أنها حقيرة، قليلة المتاع بالنسبة إلى الدّار الآخرة[1].

إن هذه الحقيقة التي أشارت إليها الآيات الكريمة، هي حقيقة الدنيا بكل متاعها، وزينتها، وما تشتهيه النفس منها، وإنّ كلّ ذلك بالنسبة لنعيم الآخرة شيء تافه، وقليل وزائل، هكذا فهم المسلمون حقيقة الدنيا، فكان رسول الله ﷺ يبصّرهم ويذكرهم بدورهم، ورسالتهم في الأرض، ومكانتهم عند الله، وظل ﷺ معهم على هذه الحال من التبصير والتذكير حتى انقدح في ذهنهم ما لهم عند الله وما دورهم وما رسالتهم في الأرض، وتأثراً بتربيته الحميدة تولد الحماس، والعزيمة في نفوس أصحابه، فانطلقوا عاملين بالليل والنهار بكلّ ما في وسعهم وما في طاقتهم دون فتور أو توان، ودون كسل، أو ملل، ودون خوف من أحد إلا الله، ودون طمع في مغنم أو جاه إلا أداء هذا الدور، وهذه الرسالة، لتحقيق هذه العادة في الدنيا، والفوز والنجاة في الآخرة[2].

سابعاً: صفات المؤمنين:

عرض القرآن الكريم كثيراً من صفات أهل الإيمان، وتحدثت آياته الكريمة عن أهمها وأشهرها، ودعت المؤمنين إلى أن يتصفوا بها حتى يعيشوا حياة إيمانية مباركة سعيدة، وحتى ينالوا جنة الله وثوابه ونعيمه، ولقد كان حديث القرآن الكريم عن صفات المؤمنين شاملاً

---

(1) تفسير ابن كثير (4/ 312 313).

(2) منهج الرسول ﷺ في غرس الروح الجهادية، ص: 19 إلى 34.

ومتنوعاً، وقد توزعت سور القرآن في الحديث عن صفات المؤمنين في الفترة المكية والمدنية وهذا يعطي أهمية لتذكير المسلمين بها حتى لا تنسى ولا تُهمل ولكي يتربى على هذه الصفات والأخلاق عموم المسلمين[1]، ولا يمكننا حصر صفات المؤمنين في القرآن الكريم ولكن نقدم مجموعة من الآيات الواردة في بعض السور والتي تضمنت مجموعة من الصفات اللازمة لأهل الإيمان.

1 ـ سورة المؤمنين

ـ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: 1 ـ 11].

فمن صفات هؤلاء المؤمنين في هذه الآيات الكريمة:

أ ـ الخشوع في الصلاة: قال ﷺ: «ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله»[2].

(1) في ظلال الإيمان، ص: 79، 80.
(2) أخرجه مسلم في كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء والصلاة عقبه (الحديث: 542).

والخشوع مطلوب على المرء في الصلاة لوجوه منها:

- لتذكر الله والخوف من وعيده كما قال ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: 14].

- إن للصلاة أركاناً وواجبات وسنناً، وروحها النية والإخلاص والخشوع وحضور القلب، فإن الصلاة تشتمل على أذكار ومناجاة وأفعال، ومع عدم حضور القلب لا يحصل المقصود بالأذكار والمناجاة، لأن النطق إذا لم يعرب عما في الضمير كان بمنزلة الهذيان، وكذلك لا يحصل المقصود من الأفعال، لأنه إذا كان المقصود من القيام الخدمة، ومن الركوع والسجود الذل والتعظيم، ولو لم يكن القلب حاضراً لم يحصل المقصود، فإن الفعل متى خرج عن مقصوده بقي صورة لا اعتبار بها، قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾ [الحج: 37].

والمقصود أن الواصل إلى الله سبحانه وتعالى هو الوصف الذي استولى على القلب حتى حمل على امتثال الأوامر المطلوبة، فلا بد من حضور القلب في الصلاة، ولكن سامح الشارع في غفلة تطرأ، لأن حضور القلب في أولها ينسحب حكمه على باقيها[1].

ب - **الإعراض عن اللغو**: واللغو كل كلام ساقط حقه أن يلغى، كالكذب والشتم والهزل، يعني أن لهم من الجد ما شغلهم عن الهزل، ولما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالإعراض عن اللغو، ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الأنفس، اللذين هما

(1) مختصر منهاج القاصدين، ص: 26، تفسير المراغي (6/ 5).

قاعدتنا بناء التكليف[1]. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ [المؤمنون: 3] أي: عن الباطل، وهو يشتمل على الشرك، كما قاله بعضهم، والمعاصي ـ كما قاله آخرون ـ وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: 72].

ج ـ **تطهيرهم لأنفسهم بأداء الزكاة**: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون: 4] ، قال ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ـ أو تملأ ـ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**»[2]. قوله: «**والصدقة برهان**» معناه: الصدقة حجة على إيمان فاعلها، فإن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقده فمن تصدق استدل بصدقته على صدق إيمانه، فالمؤمنون في حياتهم الدنيا يصونون بالزكاة المجتمع من الخلل الذي ينشئه الفقر في جانب والترف في جانب، فهي تأمين اجتماعي للأفراد جميعاً وهي ضمان اجتماعي للعاجزين، وهي وقاية للجماعة كلها من التفكك والانحلال[3].

د ـ **حفظ الفروج**: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ

---

(1) تفسير النسفي، تفسير الكشاف (3/ 26).
(2) أخرجه مسلم في كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء (الحديث: 223).
(3) الحياة في القرآن الكريم، أ حزمي جزولي .

ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ [المؤمنون: 5-7]، فالمؤمنون قوم يحبون العفة، ويحافظون على طهارتهم بمعناها الشامل وهذه طهارة الروح، ووقاية النفس والأسرة والمجتمع بحفظ الفروج من دنس المباشرة في غير حلال، وحفظ القلوب من التطلع في غير حلال، وحفظ المجتمع من انطلاق الشهوات فيه بغير حساب، ومن فساد البيوت فيها والأنساب[1]، وحفظ الفرج يشمل تجنب إتيان الزوجة في الدبر وفي أثناء الحيض وفي أثناء الصيام والإحرام، وحفظ الفرج يقتضي سد الذرائع، أي تجنب السبل التي تفضي إليه، ولهذا أمر القرآن الكريم المسلمين بغض البصر وعدم إبداء الزينة، فذلك أزكى لهن وأطهر[2].

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: 30 ـ 31]. ولكي يمكّن الإسلام من الممارسة الفعالية

---

(1) في ظلال القرآن (4/ 2455).

(2) الفضائل الخلقية في الإسلام، لأحمد عبد الرحمن، ص: 244.

لحفظ الفرج، والعفة، فإنه يراعي الأمور التالية:

- إن الإسلام لم يجعل الزواج أبديا كالمسيحية مثلاً، فأباح الطلاق إذا وقع النفور بين الزوجين، وعند عجز الزوج أو مرضه أو إعساره أو غيبته.

- أباح للزوج الطلاق، والتزوج بأكثر من واحدة على أن يعدل بينهن.

- أمر الذي لا يستطيع مؤن النكاح بالصوم، ليدفع شهوته، ويحفظ فرجه وعفته، قال رسول الله ﷺ: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**[1].

وبهذا فتحت الشريعة للمحصن كل أبواب الحلال، وأغلقت دونه باب الحرام[2]. وفضلاً عن هذا فإن المجتمع الإسلامي الحقيقي يخالف المجتمعات القائمة جذرياً لصالح العفة، فنظمه وقوانينه تعاون الرجال والنساء على التعفف[3].

هـ - **رعاية الأمانة والعهد**: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: 8]، أي: إذا اؤتمنوا لم يخونوا، بل يؤدونها إلى أهلها، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك، لا كصفات

(1) أخرجه مسلم في كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه (الحديث: 1400).
(2) التشريع الجنائي الإسلامي (1/ 642).
(3) الفضائل الخلقية في الإسلام، عبد القادر، ص: 245.

المنافقين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»**[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: 58].

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي، ثم قال: **«يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»**[2]. فسمى الرسول ﷺ الولاية في هذا الحديث: أمانة، لأن تأدية حقها بالعدل، وعدم الاستغلال الشخصي فيها، واليقظة على مصالح الناس، كل ذلك لا يكون إلا بخلق الأمانة[3]، ما روي عن أبي هريرة قال: بينما كان النبي ﷺ يحدث إذا جاء أعرابي، فقال: متى الساعة؟ قال: **«إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة»**، قال: كيف إضاعتها؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إذا وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»**[4]. وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 283].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق (الحديث: 208).

(2) أخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: كراهة الإمارة بغير ضرورة (الحديث: 4697).

(3) الأخلاق الإسلامية وأسسها (1/ 605).

(4) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه (الحديث: 5465).

و ـ **المحافظة على الصلوات**: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [المؤمنون: 9]: الذين على أوقات صلاتهم يحافظون، فلا يضيعونها، ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم، ولكنهم يراعونها حتى يؤدونها[1] فيها. روي عن عبد الله ابن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: «**الصلاة على وقتها**». قال: قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**». قال: قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**». فما تركت أستزيده إلا إرعاء عليه[2].

2 ـ سورة الفرقان:

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا

---

(1) تفسير الطبري (9/ 200).

(2) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (الحديث: 248).

﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: 63-76]

هذه صفات عباد الله المؤمنين في الحياة الدنيا، الذين استوجبوا المثوبة منه، وجازاهم على ذلك الجزاء العظيم فمن هذه الصفات:

أ ـ السكينة والوقار: قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: 63.] أي: بالسكينة والوقار غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله[1]. فالمؤمنون قوم لا يريدون في الأرض علواً، ولا يبغون فيها كذلك فساداً، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: 83].

وفي بيان المعنى الصحيح للسكينة والوقار، ليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعاً ورياء، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وكأنما الأرض تطوى له، وقد كره بعض السلف المشي بتضعف، وتصنع[2]. وتبين أن المؤمنين في الحياة الدنيا يتميزون عن غيرهم بالسكينة والوقار والتواضع، وهم لا يستكبرون، ولا يتجبرون، ولا يسعون فيها بالفساد، ذلك لأن الكبر له خطورته البالغة على الحياة البشرية، فلا يبقى في حالة وجود الكبر احترام لأحد، ولا هيبة لأحد، ولا حرمة لأحد، ولا أدب لأحد[3].

ب ـ الحلم: قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى

---

(1) تفسير الطبري (9 / 407)

(2) تفسير ابن كثير (3 / 279).

(3) الحياة في القرآن الكريم (2 / 443).

ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: 63] هم حلماء لا يجهلون، وإن جُهل عليهم حلموا ولا يسفهوا، هذا نهارهم، فكيف ليلهم؟ خير ليل، صفوا أقدامهم، وأجروا دموعهم على خدودهم يطلبون من الله جل ثناؤه فكاك رقابهم[1]، والحلم من الخصال المحمودة والتي يحبها الله ﷻ، قال رسول الله ﷺ: للأشج عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»[2].

ج - إحياء الليل بالصلاة: من صفات عباد الله المؤمنين في الحياة الدنيا إحياؤهم الليل أو أكثره بالصلاة والطاعة، وقد ذكر الله سبحانه هذه الصفة للمؤمنين في آيات كثيرة، منها:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: 64].

- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: 15-16].

- وقوله سبحانه: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: 17، 18].

- وهم في صلاتهم وعبادتهم تمتلئ قلوبهم بالتقوى والخوف من عذاب جهنم، فهم يتوجهون إلى ربهم تضرعاً وخفية، ليصرف عنهم عذابها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ

---

(1) تفسير الطبري (9 / 409).

(2) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله (الحديث: 117).

إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: 65-66]

ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾﴾ [المزمل: 6].

فإن مغالبة هتاف النوم وجاذبية الفراش، بعد كَدّ النهار، أشد وطأً وأجهد للبدن، ولكنها إعلان لسيطرة الروح، واستجابة لدعوة الله وإيثار للأنس به، ومن ثم فإنها أقوم قيلاً، لأن للذكر فيها حلاوته وللصلاة فيها خشوعها، وللمناجاة فيها شفافيتها، وإنها لتكسب في القلب أنساً وراحة وشفافية ونوراً، قد لا يجدها في صلاة النهار وذكره، والله الذي خلق هذا القلب يعلم مداخله وأوتاره، ويعلم ما يتسرب إليه وما يوقع عليه، وأي الأوقات يكون فيها أكثر تفتحاً واستعداداً وتهيؤاً، وأي الأسباب أعلق به وأشد تأثيراً فيه[1].

د ـ **القصد والاعتدال في الإنفاق:** ومن صفات المؤمنين في الحياة الدنيا القصد والاعتدال والتوازن في الإنفاق وهم ليسوا بمبذرين في إنفاقهم، فلا ينفقون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم، فيقصرون في حقهم ولا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفُرقان: 67].

هـ ـ **عدم الشرك بالله والتحرج عن قتل النفس والزنا:** ومن صفات عباد الله المؤمنين في الحياة الدنيا أنهم لا يشركون بالله، بل يخلصون لله العبادة ويفردونه بالطاعة، ولا يقتلون النفس إلا بالحق الذي يزيل حرمتها وعصمتها، كالكفر بالله بعد إسلامها، أو الزنا بعد

(1) في ظلال القرآن (6 / 3746).

إحصانها، أو قتل النفس، وتقتل بها[1].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: 68 71].

و ـ عدم شهادة الزور: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: 72]، وشهادة الزور من أكبر الكبائر، فقد صرح بذلك رسول الله ﷺ حيث قال لأصحابه: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاثاً ـ : «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور ـ أو قول الزور ـ**» وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[2].

ز ـ الانتفاع بموعظة القرآن: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان: 73].

ح ـ الرغبة في مضاعفة السالكين في الدرب إلى الله: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: 74].

سئل الحسن البصري عن هذه الآية، فقال: أن يري الله العبد

---

(1) الحياة في القرآن الكريم (2 / 450).

(2) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها (الحديث: 255).

المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حميمه، طاعة الله، لا والله لا شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولداً أو ولد ولد أو أخاً أو حميماً مطيعاً لله ﷻ[1].

وقال ابن عباس ﵄ في قوله تعالى: وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا" أئمة هدى يهتدى بنا ولا تجعلنا أئمة ضلالة، لأنه قال لأهل السعادة: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ [الأنبياء: 73]، ولأهل الشقاوة: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: 41].

وقال آخرون: هداة مهتدين دعاة إلى الخير، فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم، وأن يكون هداهم متعدياً إلى غيرهم بالنفع وذلك أكثر ثواباً، وأحسن مآباً ولهذا قال رسول الله ﷺ: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده، أو صدقة جارية»**[2].

ونكتفي بهذا القدر في ذكر صفات المؤمنين في الحياة الدنيا، فلا نتوسع خشية الإطالة وإلا فصفات المؤمنين كثيرة كما ورد ذكرها في القرآن الكريم، فمنها: الإخلاص والصدق، والتوكل ومحبة الله والخوف والرجاء، والشكر، والصبر، والرضا والشجاعة وغيرها من الصفات الحميدة[3].

---

(1) الحياة في القرآن الكريم (2/ 457).
(2) أخرجه مسلم في كتاب: الوصية، باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (الحديث: 4199).
(3) الحياة في القرآن الكريم (2/ 459).

ثامناً: من فوائد الإيمان وثمراته:

إن للإيمان الصحيح فوائد وثمرات عاجلة وآجلة في القلب والبدن والراحة والحياة الطيبة والدنيا والآخرة، كما أن لهذه الشجرة الإيمانية من الثمار اليانعة والجني اللذيذ والأكل الدائم والخير المستمر وأمور لا تحصى وفوائد لا تستقصى ومجملها أن خيرات الدنيا والآخرة ودفع الشرور كلها من ثمرات الإيمان الصحيح وذلك أن شجرة الإيمان الصحيح إذا ثبتت وقويت أصولها وتفرعت فروعها وزهت أغصانها، وأينعت أفنانها، عادت على صاحبها وعلى غيره بكل خير عاجل وآجل ومن أعظم ثمار وفوائد الإيمان:

1 ـ **الاغتباط بولاية الله الخاصة**: التي هي أعظم ما تنافس فيه المتنافسون وأجل ما حصله الموفقون قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: 62-63]. فكل مؤمن تقي فهو لله ولي خاصة، ومن ثمراتها ما قاله الله عنهم: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البَقَرَة: 257] أي: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعات، ومن ظلمات الغفلة إلى نور اليقظة والذكر، وحاصل ذلك أنه يخرجهم من ظلمات الشرور المتنوعة إلى ما يدفعها من أنوار الخير العاجل والآجل، وإنما حازوا هذا العطاء الجزيل بإيمانهم الصحيح وتحقيقهم هذا الإيمان بالتقوى فإن التقوى من تمام الإيمان[1].

والتقوى من شروط ولاية الله الخاصة، ومن شروط التمكين

---

(1) شجرة الإيمان، ص: 63، 64.

لهذه الأمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: 96] ، إن تقوى الله تجعل بين العبد وبين ما يخشاه من ربه ومن غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهي: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله[1] وللتقوى ثمرات عاجلة وآجلة منها:

أ ـ المخرج من كل ضيق والرزق من حيث لا يحتسبه العبد:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: 2-3].

ب ـ السهولة واليسر في كل أمر: قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطَّلاَق: 4].

ج ـ تيسير العلم النافع: قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: 282].

د ـ إطلاق نور البصيرة: قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: 29].

هـ ـ محبة الله ومحبة الملائكة والقبول في الأرض: قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آل عِمـــرَان: 76].

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله إذا أحبّ عبداً، دعا جبريل فقال:**

(1) فقه النصر والتمكين، للصّلاّبي، ص: 204.

إني أحبُّ فلاناً فأحبَّه، فيحبه جبريل عليه السلام، ثم ينادي في أهل السماء فيقول: إن الله يحبّ فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض»[1].

و ـ نصرة الله عز وجل وتأييده وتسديده:

وهي المعية المقصودة بقول الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194]. فهذه المعية هي معية التأييد والنصرة والتسديد وهي معية الله عز وجل لأنبيائه وأوليائه ومعيته للمتقين والصابرين وهي تقتضي التأييد والحفظ والإعانة كما قال تعالى لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: 46].

أما المعية العامة مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4]، وقوله: ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: 108].

والمعية العامة تستوجب من العبد الحذر والخوف ومراقبة الله عز وجل.

ز ـ الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم:

قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120].

ح ـ حفظ الذرية الضعاف بعناية الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الأدب والبر والصلة، باب: إذا أحب الله عبداً. . . . (6647).

خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء: 9].

وفي إشارة إلى إرشاد المسلمين الذين يخشون ترك ذرية ضعافاً إلى التقوى في سائر شؤونهم حتى تحفظ أبناءهم ويدخلوا تحت حفظ الله وعنايته، والآية تشعر بالتهديد بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله، وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع، وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف كما في آية: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: 82]. فإن الغلامين حفظا ببركة أبيهما في أنفسهما ومالهما[1].

ط ـ سبب لقبول الأعمال التي بها سعادة العباد في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27].

ي ـ سبب النجاة من عذاب الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ [فصلت: 17 ـ 18].

ك ـ تكفير السيئات:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق: 5]

ل ـ ميراث الجنة:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: 63]، فهم الورثة الشرعيون لجنة الله ﷻ وهم لا يذهبون إلى

---

(1) محاسن التأويل، للقاسمي (5/ 47).

الجنة سيراً على أقدامهم بل يحشرون إليها ركباناً مع أن الله ﷻ يقرب إليهم الجنة تحية لهم ودفعاً لمشقتهم، كما قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ [ق: 31]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: 85].

م ـ تجمع بين المتحابين من أهلها:

قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: 67].

ومن بركة التقوى أن الله ﷻ ينزع ما قد يعلق بقلوبهم من الضغائن والغل فتزداد مودتهم وتتم محبتهم وصحبتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: 45-47].

إن هذه الثمار العظيمة عندما تمس شغاف قلوب المسلمين تضفي على الأمة فيضاً ربانياً موصولاً بالله متصل حلقة الدنيا بالآخرة، كما أن الحرص على تقوى الله تعالى يكسب صفوف الأمة صفات رفيعة وأخلاقاً حميدة، ومكارم نفيسة تجعل هذه الأمة مؤهلة لقيادة البشرية نحو سعادتها.

2 ـ الفوز برضا الله تعالى: ومن ثمرات الإيمان: الفوز برضا الله، ودار كرامته:

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: 71-72] فنالوا رضا ربهم ورحمته،

والفوز بهذه المساكن الطيبة، بإيمانهم الذي كملوا به أنفسهم وكملوا غيرهم بقيامهم بطاعة الله وطاعة رسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاستولوا على أجلّ الوسائل، وأفضل الغايات وذلك فضل الله[1].

3 ـ دفاع الله عن المؤمنين: من ثمرات الإيمان، أن الله يدفع عن المؤمنين جميع المكاره وينجيهم من الشدائد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: 38]، أي: يدافع عنهم كل مكروه، يدافع عنهم شر شياطين الإنس وشياطين الجن، ويدافع عنهم الأعداء ويدافع عنهم المكاره قبل نزولها، ويرفعها أو يخفضها بعد نزولها، ولما ذكر تعالى ما وقع فيه يونس ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأنه: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: 87-88]، إذا وقعوا في الشدائد، كما أنجينا يونس عليه السلام. قال النبي ﷺ: **«دعوة أخي يونس ما دعا بها مكروب إلا فرج الله عنه كربته: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»**[2].

4 ـ الحياة الطيبة: ومن ثمار الإيمان الحياة الطيبة في هذه الدار وفي دار القرار، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: 97].

هذا وعد رباني لمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح، بأن

---

(1) شجرة الإيمان، ص: 65.

(2) الجامع الصغير (2/ 14).

يتفضل الله ﷻ عليه بالحياة الطيبة، كما أن الله سبحانه قد شيد في موضع آخر صرح الحياة الناجحة على أساس الإيمان الصحيح والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: 1-3].

إن الإيمان أساس الحياة الطيبة، ذلك لأنه يجعل صاحبه ثابتاً عالياً مثمراً في حياته، ثابتاً لا تزعزعه الأعاصير ولا تعصف به رياح الباطل، ولا تقوى عليه معاول الطغيان[1].

5 ـ **حصول البشارة بكرامة الله**: والأمن التام من جميع الوجوه كما قال تعالى: ﴿وبشر المؤمنين﴾ فأطلقها ليعم الخير العاجل والآجل وقيدها في مثل قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البَقَرَة: 25] ، فلهم البشارة المطلقة والمقيدة ولهم الأمن المطلق في مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعَام: 82].

ولهم الأمن المقيد في مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعَام: 48] ، فنفى عنهم الخوف ممّا يستقبلونه، والحزن مما مضى عليهم وبذلك يتم لهم الأمن، فالمؤمن له الأمن التام في الدنيا والآخرة، أمن من سخط الله وعقابه وأمن من جميع المكاره والشرور وله البشارة الكاملة بكل خير كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يُونس: 64].

---

(1) الحياة في القرآن الكريم، ص: 493.

ويوضح هذه البشارة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف: 30-31].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد: 28]، فرتب على الإيمان حصول الثواب المضاعف، وكمال النور الذي يمشي به العبد في حياته ويمشي به يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الحديد: 12]، فالمؤمن من يمشي في الدنيا بنور علمه وإيمانه، وإذا طفئت الأنوار يوم القيامة، مشى بنوره على الصراط حتى يجوز به إلى دار الكرامة والنعيم، وكذلك رتب المغفرة على الإيمان، ومن غفرت سيئاته سلم من العقاب ونال أعظم الثواب[1].

6 ـ حصول الفلاح والهدى: ومن ثمرات الإيمان حصول الفلاح الذي هو: إدراك غاية الغايات، فإنه إدراك كل مطلوب والسلامة من كل مرهوب، والهدى الذي هو أشرف الوسائل، كما قال تعالى، بعد ذكره المؤمنين بما أنزل على محمد ﷺ وما أنزل على من قبله والإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة: اللتين هما من أعظم آثار الإيمان، قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

(1) شجرة الإيمان، ص: 79

[البقرة: 5]، فلا سبيل إلى الهدى والفلاح، اللذين لا صلاح ولا سعادة إلا بهما، إلا بالإيمان التام بكل كتاب أنزله، وبكل رسول أرسله الله، فالهدى أجلّ الوسائل، والفلاح أكمل الغايات[1].

7 ـ الانتفاع بالمواعظ والتذكير: ومن ثمرات الإيمان الانتفاع بالمواعظ والتذكير والآيات قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الذاريات: 55]، لأن الإيمان يحمل صاحبه على التزام الحق واتباعه، علماً وعملاً، وكذلك معه الآلة العظيمة والاستعداد لتلقي المواعظ النافعة والآيات الدالة على الحق، وليس عنده مانع يمنعه من قبول الحق، ولا من العمل به، كما أن الإيمان يوجب سلامة الفطرة، وحسن القصد، ومن كان كذلك انتفع بالآيات[2].

8 ـ قطع الشكوك التي تضر بالدين: ومنها أن الإيمان يقطع الشكوك التي تعرض لكثير من الناس فتضر بدينهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: 15]، أي: دفع الإيمان الصحيح الذي معهم الريب والشك الموجود وأزاله بالكلية، وقاوم الشكوك التي تلقيها شياطين الإنس والجن، والنفوس الأمّارة بالسوء، فليس لهذه العلل المهلكة دواء إلا تحقيق الإيمان ولهذا ثبت في الصحيحين، من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«لا يزال الناس يتساءلون، حتى يقال هذا: الله خلق الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد ذلك، فليقل آمنت بالله، ولينته، وليتعوذ بالله من الشيطان»**.

---

(1) شجرة الإيمان، ص: 80.

(2) المصدر نفسه، ص: 80.

فَذكر ﷺ، هذا الدواء النافع لهذا الداء المهلك، وهو ثلاثة أشياء: الانتهاء عن هذه الوساوس الشيطانية، والاستعاذة من شر من ألقاها وشبّه بها: ليضل بها العباد، والاعتصام بعصمة الإيمان الصحيح الذي من اعتصم به كان من الآمنين، وذلك لأن الباطل يتضح بطلانه بأمور كثيرة، أعظمها: العلم أنه مناف للحق، وكل ما ناقض الحق فهو باطل[1] ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: 32].

9 ـ ملجأ المؤمنين: ومن ثمرات الإيمان وفوائده، أن الإيمان ملجأ المؤمنين في كل ما يلم بهم، من سرور وحزن وخوف وأمن، وطاعة ومعصية، وغير ذلك من الأمور التي لابد لكل أحد منها، فعند المحاب والسرور يلجؤون إلى الإيمان، فيحمدون الله، ويثنون عليه، ويستعملون النعم فيما يحب المنعم، وعند المكاره والأحزان، يلجؤون إلى الإيمان من جهات عديدة، يتسلون بإيمانهم وحلاوته، ويتسلون بما يترتب على ذلك من الثواب، ويقابلون الأحزان والقلق براحة القلب، والرجوع إلى الحياة الطيبة المقاومة للأحزان والأتراح ويلجؤون إلى الإيمان عند الخوف فيطمئنون إليه ويزيدهم إيماناً وثباتاً، وقوة وشجاعة ويضمحل الخوف الذي أصابهم كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ [آل عمران: 173-174]، لقد اضمحل الخوف من قلوب هؤلاء الأخيار، وخلفه قوة الإيمان وحلاوته وقوة التوكل على الله والثقة بوعده ويلجؤون إلى الإيمان عند الأمن، فلا يبطرهم ولا يحدث لهم الكبرياء، بل يتواضعون، ويعلمون أنه من الله، ومن فضله وتيسيره فيشكرون الذي أنعم بالسبب

---

(1) شجرة الإيمان، ص: 84.

والمسبب، الأمن وأسبابه، ويعلمون أنه إذا حصل لهم ظفر بالأعداء وعِز، أنه بحول الله وقوته وفضله لا بحولهم ولا بقوتهم ويلجؤون إلى الإيمان عند الطاعة والتوفيق للأعمال الصالحة، فيعترفون بنعمة الله عليهم بها، وأن نعمته فيها أعظم من نعمة العافية والرزق ويحرصون على تكميلها وعمل كل سبب لقبولها وعدم ردها أو نقصها، ويسألون الذي تفضل عليهم بالتوفيق لها أن يتم عليهم نعمته بقبولها، والذي تفضل عليهم بحصول أصلها، أن يتمم لهم منها ما انتقصوه منها. ويلجؤون إلى الإيمان إذا ابتلوا بشيء من المعاصي بالمبادرة إلى التوبة منها، وعمل ما يقدرون عليه من الحسنات، لجبر نقصها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١﴾ [الأعراف: 201].

فالمؤمن يجول ما يجول في الغفلة والتجرؤ على بعض الآثام، ثم يعود سريعاً إلى الإيمان الذي بنى عليه أموره كلها، فالمؤمنون في جميع تقلباتهم وتصرفاتهم، ملجؤهم إلى الإيمان ومفزعهم إلى تحقيقه، ودفع ما ينافيه ويضاده، وذلك من فضل الله عليهم ومَنّه[1].

10 ـ المنع من الوقوع في الموبقات المهلكة: ومنها أن الإيمان الصحيح يمنع العبد من الوقوع في الموبقات المهلكة، قال رسول الله ﷺ: **«لا يزني الزاني ـ حين يزني ـ وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»**[2].

---

(1) شجرة الإيمان، ص: 87.

(2) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: نقصان الإيمان بالمعاصي... (الحديث: 205).

ومن وقعت منه، فإنه لضعف إيمانه، وذهاب نوره، وزوال الحياء ممن يراه حيث نهاه، وهذا معروف مشاهد، والإيمان الصادق الصحيح، يصحبه الحياء من الله، والحب له والرجاء القوي لثوابه والخوف من عقابه والنور الذي ينافي الظلمة، وهذه الأمور التي هي من مكملات الإيمان لا ريب أنها تأمر صاحبها بكل خير، وتزجره عن كل قبيح، فأخبر أن الإيمان إذا صحبه عند وجود أسباب هذه الفواحش، فإن نور إيمانه يمنعه من الوقوع فيها، فإن النور الذي يصحب الإيمان الصادق ووجود حلاوة الإيمان والحياء من الله، الذي هو من أعظم شعب الإيمان، بلا شك، يمنع من مواقعة هذه الفواحش[1].

11 ـ الشكر والصبر: ومن فوائد وثمرات الإيمان أنه يحمل صاحبه على الشكر في حالة السراء، والصبر في حالة الضراء وكسب الخير في كل أوقاته، قال النبي ﷺ: **«عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»**[2]، والشكر والصبر هما جماع كل خير، فالمؤمن مغتنم للخيرات في كل أوقاته رابح في كل حالاته، فيجتمع للمؤمن عند النعم والسراء نعمتان: نعمة حصول ذلك المحبوب، ونعمة التوفيق للشكر الذي هو أعلى من ذلك وبذلك تتم عليه النعمة، ويجتمع له عند الضراء ثلاث نعم: نعمة تكفير السيئات ونعمة حصول مرتبة الصبر التي هي أعلى من ذلك، ونعمة سهولة الضراء عليه لأنه متى عرف حصول الأجر والثواب والتمرن على الصبر

(1) شجرة الإيمان، ص: 88.

(2) أخرجه مسلم في كتاب: الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير (الحديث: 7425).

هانت عليه وطأة المصيبة وخف عليه حملها[1].

12 ـ تأثيره على الأعمال والأقوال: ومن فوائد وثمار الإيمان، أن جميع الأعمال والأقوال إنما تصح وتكمل بحسب ما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والإخلاص، ولهذا ذكر الله هذا الشرط الذي هو أساس كل عمل، مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء: 94]. والسعي للآخرة هو العمل بكل ما يقرب إليها، ويدني منها، من الأعمال التي شرعها الله على لسان نبيه محمد ﷺ، فإذا تأسست على الإيمان وانبنت عليه، كان السعي مشكوراً مقبولاً مضاعفاً، لا يضيع منه مثقال ذرة، وأما إذا فقد العمل الإيمان، فلو يستغرق العامل ليله ونهاره، فإنه غير مقبول، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: 23] وذلك لأنها أسست على غير الإيمان بالله ورسوله، والذي روحه: الإخلاص بالمعبود، والمتابعة للرسول، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: 103-105]، فهم لما فقدوا الإيمان وحل محله الكفر بالله وآياته، حبطت أعمالهم، وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: 65]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88].

(1) شجرة الإيمان، ص: 82.

ولهذا كانت الردة عن الإيمان تحبط جميع الأعمال الصالحة، كما أن الدخول في الإسلام والإيمان يَجُب ما قبله من السيئات وإن عظمت، والتوبة من الذنوب المنافية والقادحة فيه، والمنقصة له تجب ما قبلها[1].

13 ـ هداية الله إلى الصراط المستقيم: ومن فوائد وثمرات الإيمان أنه يهدي صاحبه إلى الصراط المستقيم، ويهديه إلى علم الحق وإلى العمل به، وإلى تلقي المحاب والمسار بالشكر وتلقي المكاره والمصائب بالرضا والصبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس: 9].

وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: 11]. هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم ولو لم يكن من ثمرات الإيمان، إلا أنه يسلي صاحبه عند المصائب والمكاره، التي كل أحد عرضة لها في كل وقت ومصاحبة الإيمان واليقين أعظم مسل عنها، ومهون لها وذلك: لقوة إيمانه وقوة توكله، ولقوة رجائه بثواب الله ربه، وطمعه في فضله، فحلاوة الأجر تخفف مرارة الصبر، قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: 104]. ولهذا تجد اثنين تصيبهم مصيبة واحدة، أو متقاربة، أحدهما: عنده إيمان، والآخر: فاقد لها، تجد الفرق العظيم بين حاليهما، وتأثيرها في ظاهرهما وباطنهما، وهذا الفرق راجع إلى

(1) شجرة الإيمان، ص: 69، 70.

الإيمان والعمل بمقتضاه[1].

14 ـ محبة الله والمؤمنين من خلقه: ومن ثمرات الإيمان ولوازمه من الأعمال الصالحة ما ذكره الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ [مريم: 96]. أي: بسبب إيمانهم وأعمال الإيمان يحبهم الله ويجعل لهم المحبة في قلوب المؤمنين، ومن أحبه الله وأحبه المؤمنون من عباده، حصلت له السعادة والفلاح والفوائد الكثيرة من محبة المؤمنين، من الثناء والدعاء له حياً وميتاً، والاقتداء به، وحصول الإمامة في الدين وهذه أيضاً من أجلّ ثمرات الإيمان: أن يجعل الله للمؤمنين، الذين كملوا إيمانهم بالعلم والعمل، لسان صدق، ويجعلهم أئمة يهتدون بأمره، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة: 24]، فبالصبر واليقين، اللذين هما رأس الإيمان وكمالها نالوا الإمامة في الدين[2].

15 ـ رفع الله لمكانتهم: ومن فوائد وثمرات الإيمان رفع مكانة أهله عند الله ﷻ وعند خلقه قال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: 11]، فهم أعلى الخلق درجة عند الله وعند عباده في الدنيا والآخرة، وإنما نالوا هذه الرفعة بإيمانهم الصحيح وعلمهم ويقينهم، والعلم واليقين من أصول الإيمان[3].

هذه بعض الفوائد والثمار من الإيمان الصحيح، ومما تقدم يتبين

(1) شجرة الإيمان، ص: 72.
(2) المصدر نفسه، ص: 76.
(3) المصدر نفسه، ص: 76.

لنا أن شجرة الإيمان من أبرك الأشجار وأنفعها وأدومها، وأن عروقها وأصولها وقواعدها: الإيمان وعلومه ومعارفه، وساقها وأفنانها شرائع الإسلام، والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة المؤيدة والمقرونة بالإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله ﷺ وأن ثمارها وجناها الدائم المستمر، السّمت الحسن والهدي الصالح، والخلق الجميل، واللهج بذكر الله وشكره، والثناء عليه والنفع لعباد الله بحسب القدرة، نفع العلم والنصح، ونفع الجاه والبدن ونفع المال، وجميع طرق النفع، وحقيقة ذلك كله: القيام بحقوق الله، وحقوق خلقه، وأن الفضل في ذلك كله لله وحده والمنّة كلها له سبحانه: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: 17] .

وقال أهل الجنة بعد ما دخلوها وتبوّءوا منازلهم معترفين بفضل ربهم العظيم: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43] ، فجمع في هذه بين الإخبار باعترافهم وثناءهم على الله بنعمه وفضله، حيث وصلوا إلى المنازل العالية، وبين ذكر السبب الذي أوصلهم إلى ذلك بمنّة الله عليهم به وهو العمل الصالح الذي هو الإيمان وأعماله[1].

إن من شروط التمكين لهذه الأمة تحقيق الإيمان بكافة معانيه وبكافة أركانه وممارسة العمل الصالح بكل أنواعه والحرص على كل أنواع الخير وصنوف البر، وتحقيق العبودية الشاملة ومحاربة الشرك بكل أشكاله وأنواعه وخفاياه[2]، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ

---

(1) شجرة الإيمان، ص: 94.

(2) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، ص: 161.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: 55-56].

المبحث السابع

نواقض التوحيد والإيمان:

أولاً: الشرك:

إن الحديث عن التوحيد يستلزم الحديث عما يناقضه من الشرك، لأنه كما قيل: بضدها تتميز الأشياء.

والشرك: هو أن تجعل لله نداً أو شريكاً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته، وهو المبطل للأعمال والمانع لقبولها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: 88].

وحدُّه: أن يصرف العبد نوعاً من أنواع العبادة لغير الله، فكل اعتقاد أو قول، أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص وصرفه لغيره شرك وكفر[1].

فحقيقة الشرك بالله، أن يعبد المخلوق كما يعبد الله أو يعظم كما يعظم الله أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والألوهية.

ولقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة في التحذير من الشرك وبيان خطره، وأنه أعظم ذنب عصي الله به، وأنه لا أضل من فاعله وأنه مخلد في النار أبداً لا نصير له ولا حميم ولا شفيع يطاع،

---

(1) القول السديد في مقاصد التوحيد، ص: 31.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: 48]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: 116].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: 31].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: 65].

إن الشرك هو الذنب الوحيد المتميز عن بقية الذنوب بعدم المغفرة لصاحبه إذا مات ولم يتب منه، وأما بقيه الذنوب فإن صاحبها إن مات ولم يتب منها فإنه تحت مشيئة الله إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.

إن الذنوب التي دون الشرك جعل الله لمغفرتها أسباباً كثيرة، كالحسنات الماحية، والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وشفاعة الشافعين، ومن دون ذلك كله رحمته التي خص بها أهل الإيمان والتوحيد، وهذا بخلاف الشرك فإن الشرك سدّ على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة فلا تنفعه الطاعات دون التوحيد، ولا تفيده الشدائد، والمحن شيئاً.

إن الشرك بالله تمجه الفطر السليمة، ولقد بقي البشر بعد آدم قروناً طويلة وهم أمة واحدة على التوحيد والهدي، ثم أدخلت عليهم الشياطين الشرور المتنوعة بطرق كثيرة، فكان قوم نوح قد مات منهم أناس صالحون فحزنوا عليهم فجاءهم إبليس وأمرهم أن يصوروا تماثيلهم ليتذكروا أحوالهم، فكان هذا باب الشر العظيم، فلما مات

الذين صوروهم لهذا المعنى خلف من بعدهم خلف قلّ فيهم العلم واستفزهم الشيطان وأغواهم حتى أوقعهم في الشرك، ثم بعث الله فيهم نوحاً عليه السلام يعرفونه ويعرفون صدقه وأمانته وكمال أخلاقه فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: 59] إلا أنهم عصوه وما آمن معه إلا قليل، إن الله تعالى خلق الناس على فطرة التوحيد ثم استطاعت الشياطين أن تميل بالناس وتنحرف بهم نحو الوثنية المظلمة والشرك العظيم، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البَقَرَة: 213]. أي: إن الناس كانوا على ملة آدم عليه السلام حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض[1].

إن هذه الأمة الإسلامية التي رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، عليها أن تحرص على تحقيق التوحيد ومحاربة الشرك، لأنها تعلم علم اليقين أن من شروط التمكين لها، تحقيق التوحيد وتهذيبه، وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر، ومن البدع القولية والاعتقادية، والبدع الفعلية والعملية، ومن المعاصي وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد، ومن الشرك الأصغر المنافي لكماله وبالسلامة من البدع[2]، وعليها أن تحارب شرك القبور، وكذلك شرك القوانين الوضعية المخالفة للشريعة الإسلامية، وعليها تدعو إلى إفراد العبودية لله وحده في جميع شؤون الحياة الإنسانية، ولأن حالها

---

(1) تفسير ابن كثير (1/ 250).

(2) الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده.

ومقالها قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: 162، 163].

أنواع الشرك:

ينقسم الشرك إلى نوعين: أكبر وأصغر.

1 ـ **الشرك الأكبر**: يخرج صاحبه من ملة الإسلام، ويوجب له الخلود في جهنم ويحرم عليه الجنة هذا إذا مات على الشرك، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: 72] ، والشرك الأكبر أنواع منها:

أ ـ **شرك الدعاء**: وهو اللجوء إلى غير الله ودعائه وقصده، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: 65]. فهم يوحدون الله في حال الضيق والشدة وإذا نجاهم أشركوا ودعوا غيره.

ب ـ **شرك النية والإرادة والقصد**: وهو أن يعمل العمل مما يراد به وجه الله ﷻ يعمله لغير الله ويقصد به مراداً آخر، فهذا شرك أكبر، قال ﷻ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: 15، 16]. قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ

وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: 18 - 20].

ج ـ **شرك الطاعة**: وهو طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم من البشر والعلماء والسلاطين والأمراء في تحريم ما أحل الله أو إباحة ما حرم الله، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 31] ، وعن عدي بن حاتم ﷺ أنه لما بلغته دعوة رسول الله فرّ إلى الشام وكان تنصر في الجاهلية، فأسِرت أخته وجماعة من قومه ثم منَّ رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله ﷺ فتقدم عدي إلى المدينة وكان رئيساً في قومه طيّئ وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدومه فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 31] قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم فقال: «**بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم**»، وقال بها رسول الله ﷺ: «**يا عدي ما تقول؟ أيضرك أن يقال: الله أكبر، فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟ ما يضرك؟ أيضرك أن يقال: لا إله إلا الله؟ فهل تعلم إلهاً غير الله؟**» ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم وشهد شهادة الحق[1].

هـ ـ **شرك المحبة**: بأن يصرف المحبة لغير الله تعالى مما يجب أن يكون لله، ومن أدلته قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ

---

(1) تفسير ابن كثير (2/ 348).

ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: 165].

وقوله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد فيهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار**»[1]، وقد اهتم القرآن الكريم بضرب الأمثال للتنفير من حالة المشرك وهذه بعض الأمثال:

* مثل المشرك بالساقط من السماء:

قال تعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: 31].

يحث الله سبحانه عباده على إخلاص التوحيد وإفراده بالطاعة والعبادة دون الأوثان، ويذكر قبح الشرك وبطلانه بأوضح الأمثلة، لأن من يشرك بالله شيئاً من دونه فمثله من بُعْده عن الهدى وإصابة الحق، وهلاكه وذهابه عن ربه، مثل من خرّ من السماء فتخطفه الطير فهلك، أو هوت به العواصف في مكان بعيد، فهذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده عن الهدى وهلاكه[2].

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (الحديث: 164).

(2) تفسير الطبري (17/ 155)، الشرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا (2/ 1370).

* مثل المشرك بالحيران في الأرض:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا اللَّهُ كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَٰطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: 71].

هذا مثل ضربه الله للآلهة ومن يدعو إليها وللدعاة الذين يدعون إلى الله كمثل رجل ضل الطريق إذ ناداه منادٍ: يا فلان ابن فلان، هلم إلى الطريق، وله أصحاب يدعونه: يا فلان، هلم إلى الطريق، فإن اتبع الداعي الأول انطلق به حتى يلقيه في الهلكة، وإن أجابه من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق[1].

* مثل المشرك بالعبد المملوك لجماعة كثيرين:

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزُّمَر: 29].

هذا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للمشرك والموحد، فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحنون، والرجل المشاكس: الضيق الخلق، فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، والموحد لمَّا كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه مع رأفة مالكه به

---

(1) تفسير الطبري (7/ 236).

ورحمته له وشفقته عليه وإحسانه إليه وتوليه لمصالحه، فهل يستوي هذان العبدان؟ وهذا من أبلغ الأمثال فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وإحسانه والتفاته إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحقه صاحب الشركاء المتشاكسين، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون[1].

2 ـ **الشرك الأصغر**: وهذا النوع لا يخرج صاحبه من الملة ولكنه ينقص من توحيده، وهو وسيلة للشرك الأكبر وهو ينقسم إلى نوعين: ظاهر وخفي.

أ ـ فالظاهر: مكون من ألفاظ قولية وأفعال عملية، فمن الألفاظ الحلف بغير الله، وقول الإنسان: لولا الله وأنت، أو هذا من الله ومنك، ما شاء الله وشئت، فإن هذا يقتضي المساواة بين الله وبين العبد، وهذا محال، ولكن الصحيح ألا يحلف إلا بالله ﷻ، وأن يقول: لولا الله ثم أنت أو هذا من الله، ثم منك، وما شاء الله ثم شئت.

ومن الأفعال: لبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم خشية العين، أو الجن، فمن فعل ذلك معتقداً أنها سبب يستدفع بها البلاء وأن الدافع للبلاء هو الله وحده فقد أشرك شركاً أصغر، وإذا فعل ذلك معتقداً أن هذه الأشياء تدفع البلاء بعد نزوله أو تمنعه قبل حلوله، فقد أشرك شركاً أكبر حيث اعتقد شريكاً مع الله في الخلق والتدبير[2].

ب ـ وأما الخفي من الشرك الأصغر: فهو شرك الإرادات، والمقاصد والنيات، وذلك مثل الرياء، والسمعة، ومثال ذلك أن يعمل المسلم عملاً الأصل فيه أنه لله تعالى، ثم بعد ذلك يدخل فيه شيء من

(1) إعلام الموقعين (1/ 187).

(2) عقيدة أهل السنة والجماعة، **للقحطاني**، ص: 142.

الرياء أو السمعة، فيريد من الناس الثناء عليه، كأن يقرأ مسلم القرآن لله تعالى وتقرباً له، وعندما يرى الناس تنصت له يُلحن في صوته ابتغاء الثناء عليه، أو يتصدق إنسان بمال لكي يُمدَحَ ويثنى عليه، أو يحسن الرجل صلاته التي يتقرب بها إلى الله لما يرى من نظر الناس إليه، وغير ذلك من الأعمال والعبادات التي تصرف لله تعالى، وإلا لو صرف ـ ابتداءً لغير الله لأصبح ذلك شركاً أكبر يخرج من الملة، ولكن بعد البدء فيها يدخل عليه حب المدح والثناء على فعله وعبادته وعاقبة الرياء الذي يخالط العمل هو إبطال أجر وثواب هذا العمل، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110] ، وقال رسول الله ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسئل عنه فقال: «الرياء»(1).

إن الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله، ونوى به شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص: أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية، ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الإسلام وهي ملة إبراهيم عليه السلام(2).

والعبد المؤمن يخشى على نفسه من الرياء وأن تصير أعماله هباءً منثوراً، فقد قال الله تعالى عن أقوام: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: 23].

وقال الفضيل في هذه الآية: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (5/ 428).

(2) العقيدة الصافية، ص: 406.

﴿يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47] قال: عملوا أعمالاً وحسبوا أنها حسنات فإذا هي سيئات[1].

وقريب من هذا أن يعمل الإنسان ذنباً يحتقره، ويستهون به فيكون هو سبب هلاكه، كما قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: 15].

وقال بعض الصحابة: إنكم تعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات[2].

وأصعب من هذا من زين له سوء عمله فرآه حسناً، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤﴾ [الكهف: 103، 104].

قال سفيان بن عيينة: لما حضرت محمد بن المنكدر الوفاة جزع، فَدَعوا له أبا حازم فجاء فقال له ابن المنكدر: إن الله يقول: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 47]، وأخاف أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب، فجعلا يبكيان جميعاً، فقال له أهله: دعوناك لتخفِّف عليه فزدته فأخبرهم بما قال[3]، وقال الفضيل بن عياض: أُخبرت عن سليمان التيمي أنه قيل له: أنت أنت ومن مثلك؟ فقال: مه، لا تقولوا هذا، لا أدري ما يبدو لي من الله، سمعت الله يقول: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾[4]. وكان

---

(1) المحجة في سير الدُلجة، لابن رجب الحنبلي، ص: 90.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: ما يتقى من محقرات الذنوب (الحديث: 6492).

(3) ذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة (2/ 167).

(4) المحجة في سيرة الدلجة، لابن رجب، ص: 92.

سفيان الثوري يقول عند هذه الآية: ويلٌ لأهل الرياء من هذه الآية، وهذا كما في حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار: العالم، والمتصدِّق، والمجاهد[1].

وكذلك من عمل أعمالاً صالحة وكانت عليه مظالم، فهو يظن أن أعماله تنجيه فيبدو له ما لم يكن يحتسب، فيقتسم الغرماء أعماله كلها، ثم يفضل لهم فضل فيطرح من سيئاتهم عليه ثم يطرح في النار[2].

وقد يناقش الحساب فيُطلب منه شكر النعم فتقوم أصغر النعم فتستوعب أعماله كلها وتبقى بقية النعم فيُطالب بشكرها فيعذَّب، ولهذا قال ﷺ: **«من نوقش الحساب عُذِّب أو هلك»**[3].

وقد يكون له سيئات تحبط بعض أعماله أو أعمال جوارحه سوى التوحيد، فيدخل النار وقد يحبط العمل بآفة من رياء خفي أو عُجُب به ونحو ذلك ولا يشعر به صاحبه[4]. قال ضيغم العابد: إن لم تأت الآخرة المؤمن بالسرور لقد اجتمع عليه الأمران، ، هم الدنيا وشقاء الآخرة، فقيل له: كيف لا تأتيه الآخرة بالسرور وهو يتعب في دار الدنيا ويدأب؟ فقال: كيف بالقبول، كيف بالسلامة؟ ثم قال: كم من رجل يرى أنه قد أصلح عمله يُجمع ذلك كله يوم القيامة ثم يضرب به وجهه، ومن هنا كان بعض الصالحين يقلقون من هذه الآية ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ

---

(1) المحجة في سيرة الدلجة، لابن رجب، ص: 93.

(2) المصدر نفسه، ص: 94.

(3) أخرجه البخاري في كتاب: الرقائق، باب: من نوقش الحساب عذب (الحديث: 6536).

(4) المحجة في سير الدلجة، ص: 96.

ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 27].

ولذلك فالمسلم لا يثق بكثرة العمل، لأنه لا يدري يقبل منه أم لا، ولا يأمن ذنوبه فإنه لا يدري هل كفِّرت عنه أم لا؟ لأن الأعمال مُغَيَّبة عن العبيد لا يدرون ما الله صانع بهم[1].

ومن تأمل هذا حق التأمل أوجب له الخوف والخشية والقلق، فإن ابن آدم متعرض لأهوال عظيمة من الموت والقبر وأهوال البرزخ وأهوال الموقف، كالصراط والميزان وأعظم من ذلك الوقوف بين يدي الله ﷻ ودخول النار، ويخشى على نفسه الخلود فيها بأن يُسلب إيمانه عند الموت، ولم يأمن المؤمن شيئاً من هذه الأمور، قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: 99].

قال الشاعر:

أمــا والله لــو عــلــم الأنــام ... لِمَا خُلقوا لما غفلوا وناموا

لقد خلقوا لما لو أبصرته ... عيون قلوبهم تاهوا وهاموا

ممات ثم قبر ثم حشر ... وتوبيخ وأهوال عظام

ليوم الحشر قد عملت رجال ... فصلوا من مخافته وصاموا

ونحن إذا نهينا أو أمرنا ... كأهل الكهف أيقاظ نيام[2]

3 ـ الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

ـ الشرك الأكبر يخرج صاحبه من الإسلام بخلاف الشرك الأصغر.

---

(1) المحجة في سير الدلجة، ص: 98.

(2) المصدر نفسه، ص: 101.

- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، أما الشرك الأصغر فإنه يحبط العمل الذي خالطه فقط.

- الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والشرك الأصغر ليس كذلك.

- الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، أما الشرك الأصغر فلا يخلد صاحبه في النار وإن دخلها.

- الشرك الأكبر يوجب المعاداة وقطع الموالاة فلا يجوز موالاته مهما كانت قرابته، أما الشرك الأصغر فلا يقطع الموالاة على الإطلاق، وإنما يوالى بقدر ما لديه من التوحيد ويعادى بحسب ما فيه من الشرك[1].

4 ـ آثار الشرك:

إن الشرك الذي يقع فيه الإنسان له آثاره الوبيلة في دنياه وآخرته، سواء أكان الواقع فيه فرداً أم جماعة، فمن تلك الآثار:

- إطفاء نور الفطرة.
- القضاء على منازع النفس الرفيعة.
- القضاء على عزة النفس ووقوع صاحبه في العبودية الذليلة.
- تمزيق وحدة النفس البشرية.
- إحباط العمل[2].

ثانياً: الكفر:

أصل الكفر: تغطية الشيء، وسمي الليل: كافراً؛ لتغطيته كل

---

(1) عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 143.

(2) فقه النصر والتمكين، ص: 203.

شيء[1]، وذكر أهل التفسير أن الكفر في القرآن على خمسة أوجه:

أحدهما: الكفر بالتوحيد ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝﴾ [البَقَرَة: 6].

والثاني: كفر نعمه ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البَقَرَة: 152].

والثالث: التبرؤ ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ [العَنكبوت: 25]، أي يتبرأ بعضكم من بعض.

والرابع: الجحود ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِۦ﴾ [البَقَرَة: 89].

والخامس: التغطية ومنه قوله تعالى: ﴿أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحَديد: 20]. يريد الزراع الذين يغطون الحب[2].

وأما الكفر اصطلاحاً: فهو الإنكار المتعمد لما جاء به محمد ﷺ أو بعض ما جاء به محمد مما علم من دينه بالضرورة[3].

والكفر والإيمان ضدان متى ثبت أحدهما ثبوتاً كاملاً انتفى الآخر[4].

والكفر ليس حقيقة واحدة ولا هو شعبة واحدة، فليس ينحصر في التكذيب أو الاعتقاد القلبي، بل هو شعب متعددة ومراتب متفاوتة، كما أن ما يقابله وهو الإيمان شعب متعددة كما سبق ذكره، ويقع الكفر

---

(1) التبيان لعلاقة العمل بمسمى الإيمان، علي سوف، ص: 249.

(2) نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي (2/ 119، 120).

(3) عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 49.

(4) الإرشاد إلى معرفة الأحكام، للسعدي، ص: 203، 204.

بالتكذيب وبالجحود وبالإعراض وبالتكبر عن أوامر الله[1].

وكما أن الإيمان ذو شعب دل عليها حديث النبي ﷺ المتفق عليه في قوله ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة: أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**[2].

فكذلك الكفر له شعب أيضاً.

أنواع الكفر:

ينقسم الكفر إلى نوعين:

1 ـ كفر أكبر يناقض الإيمان ويوجب الخروج من الملة والخلود في النار وهو على خمسة أنواع:

أ ـ كفر التكذيب: وهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا قليل جداً، لأن الله أيد رسله بالآيات وأعطاهم من المعجزات ما يقوم به دليلاً على صدقهم وقيام الحجة على أممهم، قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: 14]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33]، وإنما يلجأ بعض الكفار إلى التكذيب بالرسل من ألسنتهم فقط وليس من قلوبهم.

ب ـ الإباء والاستكبار: والمسمى: بالكفر الإبليسي، فإنه إنما

---

(1) التبيان لعلاقة العمل بمسمى الإيمان، ص: 256.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الإيمان، باب: أمور الإيمان (الحديث: 9)، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها (الحديث: 152).

جحد أمر الله وأنكر عناداً واستكباراً وهذا النوع يقع من معظم الكفار حيث يقولون: ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يس: 15]، وكما يقول قوم فرعون: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: 47][1].

ج ـ **كفر الإعراض**: وذلك بأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول ﷺ لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي له، ولا إلى ما جاء به البتة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: 3].

د ـ **كفر الشك**: بأن لا يجزم بصدق النبي ﷺ ولا يكذبه وإنما يشك في ذلك أو يشك في القيامة، ومن هذا الكفر كفر صاحب الجنة والبستان الذي غره ما عنده من الرزق، وفقد الإيمان بالله واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف: 35-38] فلقد عبّر عن عقيدته في اليوم الآخر بقوله: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ هكذا على سبيل الشك وعدم اليقين فوقع في الكفر كما قال له صاحبه: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾ [الكهف: 37] وهذا هو مصير أصحاب القلوب المريضة والعياذ بالله.

هـ ـ **كفر النفاق**: وهو إظهار الإيمان باللسان، وإخفاء الكفر، والتكذيب في القلب وهو النفاق الأكبر، وهذا النوع من أشد أنواع

---

(1) مدارج السالكين (1/ 346).

الكفر خطراً على الإسلام والمسلمين، وأصحاب هذا النفاق يتغلغلون في صفوف المسلمين، ويحاولون تفريق الكلمة وتمزيق الأمة ودليله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة: 8-9][1].

2 ـ **كفر أصغر**: وهذا لاينافي أصل الإيمان، ولا يذهب به بالكلية، وإنما ينقص كماله ويصبح الموصوف به مذموماً شرعاً وإن بقيت أحكام الإسلام تجري عليه لبقاء أصل الإيمان به[2]، وهو كل ذنب ورد تسميته في الكتاب والسنة كفراً، وهو لا يصل إلى حد الكفر الأكبر، وهذا النوع يوجب استحقاق الوعيد دون الخلود في النار، ومثال ذلك قوله ﷺ: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[3]. فإنَّ الكفر هنا معناه الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: 9] فقد سماهم الله مؤمنين مع اقتتالهم[4].

3 ـ **إطلاق حكم الكفر**: ليس كل من عمل عملاً أو قال قولاً كفرياً يكون كافراً إلا إذا وجدت الشروط في حق ذلك المعين، وانتفت

---

(1) العقيدة الصافية، ص: 397.

(2) عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 51.

(3) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: ما ينهى من السباب واللعن (الحديث: 6044).

(4) عقيدة أهل السنة والجماعة، ص: 51.

الموانع التي تمنع استحقاقه لذلك الحكم، فقد يقول الإنسان الكفر أو يعمله باجتهاد أو خطأ ولا يكفر به، وذلك لما يترتب على ذلك من الأحكام الشرعية كإهدار دمه، وزوال عصمة ماله وأولاده، وتحريم زوجته عليه، وعدم حل ذبيحته، وعدم جواز تغسيله، والصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين، وعدم جواز الاستغفار له بعد موته، ولورود الوعيد الشديد على من أطلق كلمة الكفر على مسلم ولم يكن كذلك ففي الحديث: «**من قال لأخيه: يا كافر فقد باء به أحدهما**»[1].

4 ـ شروط التكفير:

بيّن علماء المسلمين بأن الشخص المعين لا يكون كافراً حلال الدم والمال إلا إذا:

* ـ توفرت فيه شروط عدة.

* ـ وانتفت عنه موانع.

حينئذ يجوز الحكم عليه بالكفر، أما إذا انتفى أي شرط أو وجد أي مانع فلا يجوز أن يحكم عليه بالكفر، وليس معنى هذا إعفاءه من العقوبة تماماً، بل يعاقب على حسب حاله إنما الممنوع الحكم عليه بالكفر لا مطلق العقوبة.

ـ شروط التكفير: هناك شروط ثلاثة لا بد من اجتماعها بمن عمل عملاً يستحق عليه الوعيد كاللعن والكفر، وإذا سقط شرط منها فيمتنع لعن الشخص وتكفيره.

أ ـ العلم: فالله سبحانه وتعالى لم يشرع العقوبة قبل إقامة الحجة.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال (الحديث: 6103).

- قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15].

- قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: 165].

- قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ﴾ [القصص: 59].

- قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الملك: 8-9].

- قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾﴾ [طه: 134].

وهذه النصوص الربانية تفيد أن الله تعالى لا يؤاخذ عباده إلا بعد قيام الحجة عليهم، وعلمهم بالحق والصواب(1)، وقد ثبت في نصوص أخرى أن الله لا يؤاخذ جاهل، ولو كان جهله بمسائل في العقيدة، فقد قال ﷺ: «كان رجل يسرف على نفسه، ولما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر عليّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له»، وفي رواية:

---

(1) ظاهرة الغلو في الدين، محمد عبد الحكيم حامد، ص: 267.

«مخافتك يا رب»[1]، فهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل في قدرة الله تعالى على إعادة ابن آدم، بعدما أحرق وذري وعلى أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل ذلك، وهذان أصلان عظيمان:

- أحدهما: متعلق بالله تعالى، وهو الإيمان بأن الله على كل شيء قدير.

- والثاني: متعلق باليوم الآخر، وهو الإيمان بأن الله يعيد هذا الميت ويجزيه على أعماله.

ومع هذا فلما كان مؤمناً بالله في الجملة، ومؤمناً باليوم الآخر في الجملة وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت، قد عمل صالحاً، وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه، غفر الله له بما كان منه من الإيمان بالله. واليوم الآخر، والعمل الصالح[2].

وكذلك بلال بن رباح ﷺ، لما باع الصاع بالصاعين أمره النبي ﷺ برده، ولم يرتب على ذلك حكم آكل الربا من التفسيق واللعن والتغليظ لعدم علمه بالتحريم[3].

ب ـ العمد: لا بد من توفر شروط العمد، لأن الله تعالى قد رفع الإثم والمؤاخذة عن المخطئ والمتأول، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: 5] ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البَقَرَة: 286] ، وقد ثبت عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى قال: قد

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: 54 (الحديث: 3481).

(2) الفتاوى (12 / 491).

(3) المصدر نفسه (20 / 253).

فعلت»، مما دعا النبي ﷺ والمؤمنون بهذا الدعاء[1].

وقال ﷺ: **«إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان»**. وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد، لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية[2]. تلك أدلة رفع الإثم والمؤاخذة عن المخطئ والمتأول[3].

وإذا كان المسلم متأولاً في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك، كما قال عمر ابن الخطاب ﷺ لحاطب بن أبي بلتعة: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: **«إنه قد شهد بدراً، ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**[4]، وكذلك ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد: أنه قتل رجلاً بعد ما قال: لا إله إلا الله، وعظم النبي ﷺ ذلك لما أخبروه وقال: **«يا أسامة أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟»** كرر ذلك عليه حتى قال أسامة: تمنيت أني لم أكن أسلمت يومئذ، ولم يوجب عليه قوداً ولا دية ولا كفارة، لأنه كان متأولاً، ظن جواز قتل ذلك القائل لظنه أنها قالها تعوذاً[5].

ج ـ **الاختيار والقدرة**: قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ

---

(1) تفسير صحيح ابن كثير (1 / 323).

(2) الفتاوى (3 / 229).

(3) ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، ص: 271.

(4) أخرجه البخاري في كتاب: المغازي، باب: غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة. . . . (الحديث: 3983)، وأخرجه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أهل بدر. . . (الحديث: 6351).

(5) ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث، ص: 272، الحديث صحيح رواه الشيخان.

إيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: 106]. ففي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: 106] فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظهم مكرهاً لما ناله من ضرب وأذى، وقلبه يأبى ما يقول وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله، وقد نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر، فقد أخذه المشركون فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**كيف تجد قلبك؟**» قال: مطمئناً بالإيمان، قال النبي ﷺ: «**إن عادوا فعد**»[1].

ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء لمهجته ويجوز له أن يأبى كما كان بلال ﷺ يأبى عليهم ذلك والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه، ولو أفضى إلى قتله[2]. والله سبحانه وتعالى أخبر في غير موضع أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها، كقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ [الأعراف: 42]، وأمر بتقواه بقدر الاستطاعة فقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16].

5 ـ موانع التكفير:

إن الحكم على الشخص المعين يتوقف على وجود شروط

---

(1) أخرجه الحاكم في مستدركه (2/ 257)، والزيلعي في نصب الراية (4 / 158).

(2) تفسير ابن كثير (2 / 587 ، 588).

وانتفاء موانع، ومن موانع التكفير: الخطأ، الجهل، العجز، والإكراه.

أ ـ **فالخطأ**: لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البَقَرَة: 286].

وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ [الأحزَاب: 5]. ووجود الخطأ من المسلم أحد موانع تكفير المعين، كما أن الله أمر الناس أن يطلبوا الحق على قدر وسعه وإمكانهم، فإن لم يصيبوا الحق في اجتهادهم، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والواجب في حقه أن يعبد الله بحسب ما توصل إليه اجتهاده، إن كان مؤهلاً للاجتهاد وبذل وسعه في طلب الحق.

إن الأدلة من الكتاب والسنة متضافرة على أن المجتهد المخطئ معذور، كما دل الإجماع والقياس على ذلك[1].

ب ـ **الجهل**: قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النِّساء: 165] ، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسرَاء: 15].

فالجهل أحد موانع تكفير المعين لأن الإيمان متعلق بالعلم، ووجود العلم بالمؤمن به شرط من شروط الإيمان به[2].

ج ـ **العجز**: قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا

---

(1) منهج ابن تيمية في مسألة التكفير (1 / 249 ، 257).

(2) الفتاوى (1 / 261).

﴿٧٥﴾ [النّساء: 75]. فأولئك كانوا عاجزين عن إقامة دينهم فقد سقط ما عجزوا عنه[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: 97-99]. فهذه الآيات في جماعة من المؤمنين كانوا يستخفون بإيمانهم، وهم عاجزون عن الهجرة، فعذرهم الله تعالى[2].

ومثال آخر على موانع التكفير، العجز، أن النجاشي كان ملك النصارى في الحبشة، فلم يطعه قومه في الدخول في الإسلام، ولم يدخل معه سوى نفر يسير منهم، فلما مات، صلى عليه النبي ﷺ بالمدينة، خرج بالمسلمين إلى المصلى، فصفهم صفوفاً، وصلى عليه وأخبرهم بموته يوم مات فقال: **«قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلموا فصلوا عليه»**[3]. وكثير من شرائع الإسلام لم يكن دخل فيها لعجزه عن ذلك، فلم يهاجر، ولم يجاهد، بل قد روي: أنه لم يصل الصلوات الخمس، ولا يصوم رمضان، ولا يؤدي الزكاة الشرعية، لأن ذلك يظهر عند قومه فينكرون عليه وهو لا يمكنه مخالفتهم ويعلم قطعاً أنه لم يكن يمكنه أن يحكم بينهم بحكم القرآن، لأن قومه لا يقرونه

---

(1) الفتاوى (19/ 220، 221).

(2) المصدر نفسه (19/ 220).

(3) أخرجه مسلم في كتاب: الجنائز، باب: في التكبير على الجنازة (الحديث: 2205).

على ذلك، ولهذا جعل الله هؤلاء من أهل الكتاب الذين آمنوا بالنبي ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران: 199].

وقال بعض العلماء هذه الآية: إنها نزلت في النجاشي، ومنهم من قال: فيه وفي أصحابه[1]، وكذلك ما أخبر به عن حال مؤمن آل فرعون مع قوم فرعون، وعن حال امرأة فرعون، وكما كان يوسف الصديق عليه السلام مع أهل مصر، فإنهم كانوا كفاراً ولم يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من دين الإسلام، لأنه دعاهم إلى التوحيد والإيمان فلم يجيبوه[2].

إن من عجز عن أداء ما شرع الله عليه، واتقى الله ما استطاع، فإنه معذور، غير مؤاخذ على ما تركه.

د ـ الإكراه: قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: 106]. كل ما أدى بشخص لو لم يفعل المأمور به إلى ضرب أو حبس، أو أخذ مال، أو قطع رزق يستحقه أو نحو ذلك[3] وشروطه أربعة:

ـ أن يكون فاعله قادراً على إيقاع ما يهدد به، والمأمور عاجزاً عن الدفع، ولو بالفرار.

---

(1) الفتاوى (19/ 217 219).

(2) تفسير الطبري (4/ 218 219).

(3) مناهج ابن تيمية في مسألة التكفير (1/ 266).

ـ أن يغلب على ظن المكره أنه إذا امتنع أوقع به ما هدده به.

ـ أن يكون ما هدده به فورياً، أو بعد زمن قريب جداً، أو جرت العادة أنه لا يخلف ما هدده به.

ـ أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره[1].

6 ـ ما يمحو الكفر بعد ثبوته على المعين:

التوبة: هي رجوع العبد إلى الله، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين[2].

والله سبحانه وتعالى يقبل توبة العبد من جميع الذنوب، الشرك فما دونه، كما قال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: 53]. وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾. وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: 38].

والتوبة تمحو جميع السيئات وليس شيء يغفر جميع الذنوب إلا التوبة ومعلوم أن من سَبَّ الرسول من الكفار المحاربين، وقال: هو ساحر، أو شاعر أو مجنون، أو معلم، أو مفتر، وتاب، تاب الله عليه، وقد كان طائفة يسبون النبي ﷺ من أهل الحرب، ثم أسلموا وحسن إسلامهم وقبل النبي ﷺ منهم، منهم: أبو سفيان بن الحارث

(1) فتح الباري (12/ 311).

(2) مدارج السالكين (2/ 199).

ابن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ وعبد الله ابن أبي السرح، وكان قد ارتد، وكان يكذب على النبي ﷺ ويقول: أنا كنت أعلمه القرآن، ثم تاب، وأسلم وبايعه النبي ﷺ على ذلك[1]، فالتوبة هي الأمر الوحيد الذي يمحو الله به الكفر بعد ثبوته، وقد انعقد الإجماع على ذلك[2].

ثالثاً: الأمثال القرآنية للكافرين:

1 ـ **السراب وأعمال الكفار**: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝٣٩﴾ [النور: 39].

يبين الله سبحانه وتعالى أن مثل أعمال الذين كفروا بالله مثل سراب بأرض منبسطة يرى وسط النهار وحين اشتداد الحر، فيظنه العطشان ماء، فإذا أتاه ملتمساً الشراب لإزالة عطشه لم يجد السراب شيئاً، فكذلك الكافرون في غرور من أعمالهم التي عملوها وهم يحسبون أنها تنجيهم عند الله من الهلاك كما حسب العطشان السراب ماء، فإذا صار الكافر إلى الله واحتاج لعمله لم ينفعه وجازاه الله الجزاء الذي يستحقه[3].

وتلاحظ خلال المثل صورة السّراب، ثم صورة الظامي، الذي ظنه ماء، ثم خيبته عند وصوله إليه، وحذف ما عدا ذلك لأن الخيال يتمُّ رسمها وفي الممثل له لم يُذكر إلا عمل الذين كفروا وطُوي ما عدا ذلك لأن الفكر قادر على أن يستدعيه وهذا من بلاغة القرآن[4].

---

(1) مجموع الفتاوى (3/ 291).

(2) منهج ابن تيمية في مسألة التكفير (1/ 273).

(3) الشرك في القديم والحديث (2/ 1382).

(4) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص: 133.

2 ـ ظلمات الكفر: قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: 40]. هذه مثل آخر لأعمال الكفار، إلا أن المثل الأول في انخداع الكافر بعمله في الدنيا وغروره به، وهذا المثل لأعمال الكفار في أنها عملت على خطأ وفساد وضلال وحيرة وعلى غير هدى، فهي في ذلك كمثل ظلمات في بحر عميق جداً كثير الماء، وفوق هذا الموج موج آخر، وفوقها سحاب متراكم، فاجتمعت عدة ظلمات، وهكذا عمل الكافر ظلمات في ظلمات[1].

فهذا المثل يصور الحالة النفسية والفكرية والقلبية للذين كفروا بعد أن تركوا نور الهداية الربانية، إنهم يطلبون سعادتهم في الظلمات، فقلوبهم مظلمة بالكفر، ونفوسهم تائهة في بحر من ظلمات الأهواء والشهوات، وأفكارهم تسبح في ظلمات أسباب لذات الدنيا، وإرادتهم تحت كلّ هذه الظلمات، فمثلهم كمن في ظلمات قاع بحر عميق، فوقه أمواج في العمق الظلمة، فوقها أمواج في السطح تُضاعف الظلمة، فوقها سحاب يزيد الظلام ظلاماً، ظلماتُ بعضها فوق بعض[2].

إن مثل الظلمات في سورة (النور) دل على حقائق علمية تتصل بالعلوم الدنيوية المادية التطبيقية أو النظرية، وإن هذه الحقائق تنقسم ثلاثة أقسام:

ـ **القسم الأول**: دلالة المثل على معجزة علمية للنبي ﷺ تتمثل في الإخبار بوجود أمواج في باطن البحار العميقة اللجية (المحيطات)

---

(1) الشرك في القديم والحديث (2/ 1383).

(2) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، ص: 133.

والتي لم تكن معلومة في ذلك الوقت، بل لم تكن بمقدور البشر اكتشافها لكونها على عمق لا يصله إلا الغواصات أو الغواصون المزودون بالأكسجين.

ـ **القسم الثاني**: الإخبار عن حقائق علمية في العلوم المادية الدنيوية بما يطابق ما ثبت عند المتخصصين فيها، وقد اشتمل المثل على فائدتين من هذا القسم، هما:

أولاً: إفادة المثل أن أعماق البحار العميقة مظلمة ظلمة شديدة مع بيان سبب ذلك، وهو وجود حُجُب حجبت الضوء هي عبارة عن أوساط شفافة متعددة أسهمت مجتمعة في منع الضوء عن تلك الأماكن وتسببت في ظلمتها واتفاق ذلك مع ما تقرر في علم البحار، وعلم الضوء.

ثانياً: دلالة المثل على التفسير العلمي للرؤية وأنه يشترط له وصول الضوء من مصدر مضيء إلى الجسم المرئي، وإذا انعدم الضوء ولم يصل منه شيء إلى الجسم فإنه يظلم ولا يُرى واتفاقه مع التفسير الصحيح المتقرر عند المتخصصين في ذلك الشأن، كما تضمن المثل ـ أيضاً ـ إبطال التفسير القديم القائم على أن سبب الرؤية خروج أشعة من العين تسقط على الأجسام فتحدث رؤيتها.

القسم الثالث: إفادة المثل حقائق علمية ثابتة في نفسها وإن لم تكن مسلمة عند كل المشتغلين بتلك العلوم، وذلك في الأمور العقلية التي تبحث عادة فيما يسمى بعلم النفس والسلوك والاجتماع.

وقد دل المثل على حقيقتين من هذا القسم، هما:

أولاً: حقيقة أن الكفار يتقلبون في ظلمات حالكة وضلالات لا ينفكون عنها.

ثانياً: حقيقة أن الكفار في خوف وقلق وحيرة دائمة[1].

3 ـ الرماد وأعمال الكفار: قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝١٨﴾ [إبراهيم: 18]، شبه الله تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف، فشبه سبحانه أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلاً كالهباء المنثور لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان وكونها لغير الله ﷻ وعلى غير أمره، برماد طيرته الريح العاصف فلا يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه، فلذلك قال تعالى: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْۗ﴾ [البقرة: 264] لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء فلا يرون له أثراً من ثواب ولا فائدة نافعة.

فإن الله لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه موافقاً لشرعه... وفي تشبيهه بالرماد سر بديع، وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم وبين الرماد في إحراق النار وإذهابها لأصل هذا وهذا، فكانت الأعمال التي لغير الله وعلى غير مراده طعمة للنار وبها تسعر النار على أصحابها، وينشىء الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطلة ناراً وعذاباً كما ينشئ لأهل الأعمال الموافقة لأمره ونهيه التي هي خالصة لوجهه من أعمالهم نعيماً وروحاً، فأثرت النار في أعمال أولئك حتى جعلتها رماداً، فهم وأعمالهم وما يعبدون من دون الله وقود النار[2].

---

(1) الأمثال القرآنية (2/ 755) د. عبد الله جربوع.

(2) إعلام الموقعين (1/ 170).

4 ـ نفقة الكفار والريح الشديدة: قال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عِمرَان: 117]. شبه الله سبحانه ما ينفق الكافر ويتصدق به على وجه القربة إلى الله هو مشرك بالله وجاحد به ومكذب لرسله، وأن ذلك غير نافعه، وأنه مضمحل عند حاجته إليه ذاهب بعد ما كان يرجو نفعه، كشبه ريح فيها برد شديد وتحمل النار فأصابت زرع قوم أملوا إدراكه ورجوا ريعه لكنهم كفرة، فأهلكت الريح التي فيها الصر الزرع ولم ينتفع بشيء منه، وكذلك يفعل الله بنفقة الكافر وصدقته ويبطل ثوابها، والمراد بالمثل صنيع الله بالنفقة[1].

وهذا مثل - أيضاً - ضربه الله تعالى لمن أنفق في غير طاعته ومرضاته، فشبه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر ولا يبتغون به وجه الله، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله واتباع رسله بالزرع الذي زرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره، فأصابته ريح شديدة البرد جداً يحرق بردها ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته[2].

5 ـ قلب الموحد وقلب الكافر: قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعرَاف: 58]. بيَّن سبحانه وتعالى في هذا المثل أن البلد الطيب تربته العذبة مشاربه، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث طيباً ثمره في حينه ووقته، والبلد الذي خبث فتربته رديئة،

(1) الشرك في القديم والحديث (2/ 1386).
(2) إعلام الموقعين (1/ 186).

ومشاربه مالحة، ويخرج نباته بعسر وشدة، فهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، لأن قلب المؤمن لما دخله القرآن آمن به وثبت الإيمان فيه وفاض بالخير، وقلب الكافر لما دخله القرآن لم يتعلق منه بشيء ينفعه، ولم يثبت فيه الإيمان ففاض بالنكد والشر والفساد[1].

وقد سمى الله في كتابه المؤمن بالطيب والكافر بالخبيث فقال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: 37]. فالخبيث في هذه هم الكفار والطيب هم المؤمنون[2].

هذه بعض الأمثلة القرآنية التي ضربت للكفار، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

رابعاً: النفاق:

لفظ إسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الإسلام بهذا المعنى المخصوص، وحاصل عبارات العلماء في تعريفه يمكن إرجاعها إلى أن النفاق هو: إظهار الإيمان، وإبطان الكفر[3].

1 ـ **أنواع النفاق**: ينقسم النفاق إلى نوعين، نفاق الاعتقاد ونفاق العمل:

أ ـ **نفاق الاعتقاد**: وهذا النوع من النفاق الأكبر الذي يخرج

---

(1) تفسير الطبري (8/ 211)، تفسير ابن كثير (2/ 222).

(2) تفسير القرطبي (7/ 401)، الشرك في القديم والحديث (2/ 1375).

(3) النفاق أثره في حياة الأمة، د. عادل الشدي، ص: 20.

صاحبه من ملة الإسلام، ويوجب له الخلود في النار، ويُحرّم عليه دخول الجنة، وذلك لأنه أظهر الإسلام والخير وأبطن الكفر والشر، وهؤلاء هم أشد خطراً وبلاءً على الإسلام، والمسلمين، لأنه يؤمن جانبهم لما ظهر من أمور تدل على إيمانهم ويأتي الخطر كل الخطر من جانبهم، فهم الذين يشيعون الفاحشة في الذين آمنوا وهم الذين يذبذبون الصف المسلم، وغير ذلك ولكن الله كاشف أمرهم، وهو على إذلالهم قدير، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة: 8 ـ 10].

ب ـ **النفاق العملي**: وهو النفاق الذي لا ينقل صاحبه عن الملة، بل يظل معه مسلماً، ويبقى معه إيمانه، وهذا النفاق العملي هو الاتصاف ببعض أعمال المنافقين التي لا تنقض الإيمان، بل في المعاملات، وذلك مثل الكذب في الحديث، إخلاف الوعد، الغدر عند الخصام، الخيانة عند الائتمان، فإنه قد يجتمع في العبد بعض خصال الخير، وبعض خصال الشر، ويستحق من الثواب على قدر ما عنده من خصال الخير ويستحق من العذاب على قدر ما عنده من خصال الشر والنفاق، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يخافون النفاق ويحذرون الوقوع فيه والاقتراب منه[1]، قال ابن أبي مليكة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه[2].

إن اتهام بعض الصحابة أنفسهم بالنفاق والخوف من الوقوع

(1) العقيدة الصافية، ص: 412.

(2) المصدر نفسه، ص: 413.

فيه، يدل على أشياء كثيرة ومعانٍ رفيعة منها:

- مدى حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - على إيمانهم وتوحيدهم وحفظ إيمانهم من أن تشوبه شائبة تعكّر صفوه أو تنقص كماله.

- تواضع الصحابة رضوان الله عليهم وعدم اغترارهم بأعمالهم.

- ما يجب أن يكون عليه العبد من الخوف والرجاء، فإنه يخاف ربه وأن يقع فيما يغضبه، وفي نفس الوقت يرجو رحمته[1].

2 - من أبرز صفات المنافقين:

أ - الإفساد في الأرض بتهديم شريعة الله واتهام المؤمنين بالسفه، قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: 11-13].

ب - خداع المؤمنين: قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: 14].

ج - الإعراض عن التحاكم إلى شرع الله: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾

---

(1) العقيدة الصافية، ص: 413.

[النساء: 60، 61].

د ـ الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف: قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: 67]

هـ ـ اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين: قال الله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: 138-139][1].

هذه أبرز صفات المنافقين، وإلا التي ذكرت في القرآن الكريم كثيرة.

خامساً: الرِّدَّة:

هي رجوع المسلم العاقل البالغ عن الإسلام إلى الكفر، مختاراً غير مكره، ويستوي فيه الذكر والأنثى[2].

1 ـ أنواع الردة:

أ ـ الارتداد بالقول: كسبّ الله تعالى، والنطق بقول يكفر به.

ب ـ الارتداد بالفعل: كالسجود للأصنام والكواكب ونحوها، أو إذا أتى بفعل صريح، كالاستهزاء بالدين، أو امتهان القرآن، أو وضعه في القاذورات.

---

(1) الإيمان، للزنداني ومجموعة من العلماء، ص: 153، 154.

(2) العقيدة الصافية، ص: 418.

ج ـ **الارتداد بالاعتقاد**: كاعتقاد الشريك لله سبحانه وتعالى أو اعتقاد حِلّ شيء من المحرمات المجمع عليها إجماعاً قطعياً.

هـ ـ **الارتداد بالشك**: كما لو شك في شيء من واجبات الدين، كالصلاة أو الصيام، أو الزكاة أو يشك في تحريم الشرك، أو شيء من المحرمات المعلومة من الدين بالضرورة، مثل الزنا والخمر أو شك في رسالة النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء أو في صدقه، أو في دين الإسلام، أو في صلاحيته لهذا الزمان أو غيره من الأزمنة[1].

2 ـ الأحكام التي تترتب على الارتداد:

أ ـ **استتابة المرتد**، فإن تاب ورجع إلى الإسلام في خلال ثلاثة أيام قُبِل منه ذلك.

ب ـ **إذا أبى أن يتوب وجب على القاضي الأمر بقتله**، لقول النبي ﷺ: **«من بدل دينه فاقتلوه»**[2].

ج ـ **يُمنع من التصرف في ماله في مدة استتابته**، فإن أسلم فهو له وإلا صار فيئاً لبيت المال من حين قتله أو موته على الردة، وقيل: من حين ارتداده يصرف في مصالح المسلمين.

د ـ **انقطاع التوارث بينه وبين أقاربه**، فلا يرثهم ولا يرثوه.

هـ ـ **إذا مات أو قتل على ردته**، فإنه لا يُغسَّل ولا يُصلَّى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين، وإنما يدفن في مقابر الكفار أو يوارى في التراب في أماكن غير مقابر المسلمين، هذا في الدنيا، وأما في

---

(1) العقيدة الصافية، ص: 418.

(2) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: لا يعذب بعذاب الله (الحديث: 3017).

الآخرة فإنها تستوجب العذاب الشديد والخلود في النار[1]، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: 217].

3 ـ الأشياء التي يصير بها المسلم مرتداً:

ـ الشرك بالله تعالى، وهو أن يجعل لله نداً من مخلوقاته يُدعى كما يُدعى الله، ويخاف كما يخاف الله، ويتوكل عليه كما يتوكل على الله، أو يصرف له شيء من العبادات، فإذا فعل ذلك كفر، وخرج من الإسلام قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزُّمَر: 8].

ـ إظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: 25 ـ 28].

ـ موالاة المشركين والكافرين، قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(1) العقيدة الصافية، ص: 419.

ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: 51].

وقال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ [آل عِمرَان: 28].

ـ الجلوس عند المشركين في مجالس شركهم من غير إنكار، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء: 140].

ـ الاستهزاء بالله أو بكتابه أو برسوله، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: 65-66].

ـ ظهور الكراهية والغضب عند الدعوة إلى الله وتلاوة كتابه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ [الحج: 72].

ـ كراهية ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد: 9].

- جحد الناس شيئاً من كتاب الله ولو آية، أو بعضها أو شيء عن النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: 150، 151].

- عدم الإقرار بما دلت عليه آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، قال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾﴾ [غافر: 4].

- الإعراض عن تعلم دين الله والغفلة عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: 3].

- كراهية إقامة الدين والاجتماع عليه، قال تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: 13].

- السحر، تعلّمه وتعليمه والعمل بموجبه، قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: 102].

- إنكار البعث قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد: 5].

- التحاكم إلى غير حكم الله ﷻ قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: 50].

سادساً: الفسق:

هو الخروج عن طاعة الله سواء كان خروجاً كلياً أو جزئياً.

وينقسم إلى نوعين:

1 ـ فسق ينقل من الملة وهو الكفر، فهو فسق كلي، خرج صاحبه عن طاعة الله وعبوديته، ولقد سمّى الله تعالى الكفر المخرج عن الملة الموجب لصاحبه النار، سمّاه فسقاً، كما قال تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: 50]، وسمّى الله تعالى أصحاب النار فُساقاً، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [السّجدَة: 20].

2 ـ **النوع الثاني** وهو الفسق الذي لا ينقل من الملة وهو فسق جزئي، وهو يطلق على بعض المعاصي، وعلى بعض العصاة، وهو لا يخرج من الملة وصاحبه ما زال في حظيرة الإسلام، ولقد سمّى الله المؤمنين الذين يرمون المحصنات، ثم لم يأتوا بالشهداء بأنهم فاسقون وهم ما زالوا في حظيرة الإسلام يتمتعون بعقيدة المسلمين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَـٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النّور: 4].

سابعاً: المعاصي: الكبائر والصغائر:

1 ـ المعاصي: هي ترك المأمورات وفعل المحظورات، أو ترك ما أوجب وفرض من كتابه أو على لسان رسوله وارتكاب ما نهى الله عنه أو رسوله ﷺ من الأقوال والأعمال الظاهرة أو الباطنة[1].

ولفظ المعصية والفسوق والكفر إذا أطلقت المعصية لله ورسوله

(1) الكبائر والصغائر، حامد محمد المصلح، ص: 19.

دخل فيها الكفر والفسوق كقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: 23]. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ [هود: 59]. فهذه معصية لجنس الرسل[1].

وقد جاء معنى العصيان بألفاظ كثيرة في القرآن الكريم:

ـ الذنب، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت: 40].

ـ الخطيئة، قال تعالى عن إخوة يوسف: ﴿إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: 97].

ـ السيئة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: 114].

ـ الحُوب، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: 2].

ـ الإثم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ﴾ [الأعراف: 33].

ـ الفسوق والعصيان، قال تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: 7].

ـ الفساد، قال جلّ وعلا: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة: 33].

ـ العتو، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف: 166].

2 ـ أنواع المعاصي: تنقسم المعاصي إلى كبائر وصغائر حسب

---

(1) الكبائر والصغائر، حامد محمد المصلح، ص: 20.

تقسيمها في الكتاب والسنة للأدلة الآتية، أما في الكتاب فمنها قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: 31]، ففي هذه بيان أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر[1].

وقوله جلّ جلاله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: 32]، في استثناء منقطع، لأن اللمم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال فهو استثناء من عامة الكبائر، وقوله تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: 7]. فجعلها مراتب ثلاثاً وسمّى أولها كفراً، وثانيها فسقاً، وثالثها عصياناً[2].

وقوله تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: 49] ، وهذا نص صريح في أن ما يعمل الإنسان يدون عليه صغيراً كان أو كبيراً[3].

وأما في السنة فقد جاءت أحاديث كثيرة منها:

- عن ابن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: **«أن تجعل لله نداً وهو خلقك»**، قال: قلت له: إن ذلك لعظيم. قال: قلت: ثم أي؟ قال: **«أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»** قلت: ثم أي؟ قال: **«أن تزاني حليلة جارك»**[4].

---

(1) الكبائر والصغائر ، حامد محمد المصلح، ص: 23.

(2) المصدر نفسه، ص: 23.

(3) المصدر نفسه، ص: 23.

(4) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب. . . . (الحديث: 253).

- وعن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»** ثلاثاً: **«الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، أو قول الزور»**، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[1].

- وقال رسول الله ﷺ: **«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إن اجتنبت الكبائر»**[2] فهذه الأدلة وغيرها كثير تدل دلالة صريحة على أن المعاصي منها ما هو كبائر بل وأكبر الكبائر، كما جاء في الأحاديث السابقة.

3 ـ **تعريف الكبيرة**: كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب، أو لعنة أو عذاب[3]، وقيل: كل ما أوجب فيه حد أو ورد فيه توعد بالنار أو جاءت فيه لعنة[4]. وقال بعض أهل العلم وغيرهم أنه يمكن أن تعرّف الكبائر بالعد بدلاً من الحد، ومنهم من قال عن الكبائر: هي على السبعين أقرب منها إلى السبع[5]. وذكر الهيثمي عن العلائي أنه صنف جزءاً جمع فيه ما نص عليه النبي ﷺ أنه كبيرة وهي: الشرك، والقتل، والزنا، وأفحشه بحليلة الجار، والفرار من الزحف، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، والسحر، وشهادة الزور، واليمين الغموس، والنميمة، والسرقة، وشرب الخمر، واستحلال بيت الله الحرام، ونكث الصفقة، وترك السنة، والتعرب بعد الهجرة، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، ومنع ابن السبيل من فضل

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الشرك أقبح الذنوب (الحديث: 255).
(2) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها (الحديث: 255).
(3) الزواجر، لابن حجر (1/ 9).
(4) الكبائر والصغائر، ص: 27.
(5) تفسير الطبري (1/ 41).

الماء، وعدم التنزه من البول، وعقوق الوالدين والتسبب إلى شتمهما، والإضرار في الوصية، فهذه الخمس والعشرون هي مجموع ما جاء في الأحاديث منصوصاً عليه أنه كبيرة[1].

إن ما ذكره صحيح من حيث كونها كبيرة منصوصاً عليها والأدلة عليها في مظانها، ولكن ليس هذا مجموع ما جاء في الأحاديث الصحيحة المنصوص عليها بل قد ورد غيرها ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الآتي:

كالكذب، وقاتل نفسه، والمكثر من اللعان بغير حق، تشبه الرجال بالنساء أو العكس، سوء الجوار، الخيانة، الرشوة، تغيير منار الأرض...إلخ.

الخلاصة: إن الكبائر غير منحصرة بعدٍّ ولا حد منضبط، بل إنها كل معصية دل الدليل على توكيد التحريم وتغليظه سواء توعد عليها بلعن أو غضب أو نار أو عذاب أو حد أو غير ذلك، مما عظم ضررها في الوجود أو اقترن بارتكابها ما تعظم به[2].

4 ـ **تعريف الصغائر**: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة[3].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ [النجم: 32] ، واللمم: ما كان بين الحدين لم يبلغ حد الدنيا ولا حد الآخرة: موجبة قد أوجبالله لأهلها النار، أو فاحشة يقام عليها الحد في الدنيا[4]، والصغيرة مع الإصرار تشكل خطر على صاحبها وربما

(1) الكبائر والصغائر، ص: 28.
(2) المصدر نفسه، ص: 29 إلى 33.
(3) أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (3/ 1307).
(4) المصدر نفسه (3/ 1307).

تهلكه، قال رسول الله ﷺ: **«إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب، كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزاً، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»**[1].

ولأن السيئة وإن صغرت تجر أختها حتى توقع فاعلها في ما هو أكبر من الكبائر ولهذا دفع السيئة بالحسنة لا بالسيئة، قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: 96]، وقال ﷺ: **«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها»**[2].

فإن العبد إذا وقع في سيئة عليه أن يعمل حسنة تمحو تلك السيئة التي عملها فيبدل مكان السوء إحساناً ومكان السيئة الطاعة، فإنه إذا وُفِّق لفعل الحسنات ألفها وأحبها واطمئن قلبه لها فلا يفارقها أبداً حتى لو أجبر على سيئة لم يأنس بها، قلبه يؤنبه وإيمانه ينهاه عنها، فهو يزداد كل يوم خيراً وعن الشر بعداً[3].

5 - **حكم مرتكب الكبيرة**: سلك الصحابة والتابعون لهم بإحسان منهجاً وسطاً في شأن مرتكب الكبيرة، فلم يكفروه ولم يقولوا بأنه كامل الإيمان، بل إنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته أو هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن عاص، وهذا الحكم عليه إنما هو في

---

(1) السلسلة الصحيحة، **للألباني**، رقم: 389.
(2) صحيح الجامع، **للألباني**، رقم: 96.
(3) الكبائر والصغائر، ص: 35.

الدنيا، أما في الآخرة فهو تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وبهذا الحكم عليه جمعوا بين النصوص الشرعية التي تصف أهل الإيمان والنصوص التي لم تخرج الفاسق من دائرة الإسلام[1].

إن فساق الملة ليسوا مخلدين في النار وليسوا كاملين في الدين والإيمان والطاعة بل لهم حسنات وسيئات، يستحقون بهذا العقاب، وبهذا الثواب[2].

وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان، واتفقوا أيضاً على أن نبينا ﷺ يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبائر من أمته[3].

وقد استدل علماء الأمة الإسلامية على قولهم في مرتكب الكبيرة بالعديد من الأدلة من الكتاب والسنة منها:

أ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48]، وقد أبانت هذه أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه، ما لم تكن كبيرته شركاً بالله[4].

ب ـ قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟

(1) أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان، عبد العزيز عبد الله (3/ 1315).
(2) المصدر نفسه (3/ 1315)، الفتاوى (7/ 679).
(3) ذكره ابن تيمية في الإيمان، ص: 209.
(4) تفسير الطبري (4/ 129).

بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: 9 ـ 10].

رغم أن القتال بين المسلمين من الكبائر لم ينتف عن المتقاتلين اسم الإيمان ولم يخرجوا به عن أهله[1]، وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على أن المعصية وإن عظمت لا تخرج من الإيمان[2].

ج ـ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ﴾ [البقرة: 178]، مع أن الله ﷻ أوعد القاتل بالخلود في النار عقوبة له على جريمته قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: 93]. ومع ذلك لم ينف عن هذا القاتل العاصي صفة الإيمان فهو أخ لأولياء المقتول وهم مؤمنون: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍۗ﴾ [البقرة: 178] والمراد بالأخوة: إخوة الدين[3]، والقاتل جزاؤه جهنم، فإن شاء الله غفر له[4].

د ـ ولم ينف القرآن الكريم صفة الإيمان عمن أكل أموال الناس

---

(1) دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين، د.أحمد جلي، ص: 127.
(2) علي بن أبي طالب، للصّلاّبي، ص: 383.
(3) دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين، ص: 127.
(4) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (8/16).

بالباطل، أو أكل الربا مادام غير مستحل لذلك فيقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: 29]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: 278].

هـ - وورد أيضاً من الأحاديث الصحيحة التي تنص على أن المعاصي لا تخرج عن الملة ومن ذلك: عن أبي ذر ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض، وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فقال: **«ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك دخل الجنة»**. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: **«وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر»**[1]. ففي قوله: **«وإن زنى وإن سرق»**، دليل على أن أصحاب الكبائر لا يقطع لهم بالنار وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها، وختم لهم بالخلود في الجنة[2].

- وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس، فقال: **«تبايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه، فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه»**[3].

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: اللباس، باب: الثياب البيض (الحديث: 5827)، وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً (الحديث: 269).

(2) شرح صحيح مسلم (2/ 97).

(3) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الإيمان، باب: 11 (الحديث: 18)، وأخرجه مسلم في كتاب: الحدود، باب: الحدود كفارات لأهلها (الحديث: 4436).

و ـ ومما يستدل به: إجماع الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان على أن صاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته وهو تحت مشيئة الله تعالى في الآخرة[1].

(1) أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (3/ 1318).

الخاتمة

وبعد: فهذا ما يسره الله لي من الحديث عن الإيمان بالله ﷻ في هذا الكتاب، وقد سميته: «الإيمان بالله جلّ جلاله»، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليّ، فله الحمد، والمنة، وما كان فيه من خطأ، فأستغفر الله تعالى، وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسبي أني كنت حريصاً ألا أقع في الخطأ وعسى ألا أُحرم من الأجر.

وأدعو الله أن ينفع بهذا الكتاب بني الإنسان أينما وجد، ويكون سبباً في زيادة إيمانه، وهدايته أو تعليمه أو تذكيره، وأن يذكرني من يقرؤه من إخواني المسلمين في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى، وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

ويقول الشاعر:

إلهي لا تعذبني فإني ... مقر بالذي قد كان مني

وما لي حيلة إلا رجائي ... وعفوك إن عفوت وحسن ظني

فكم من زلة لي في البرايا ... وأنت عليّ ذو فضل ومنّ

إذا فكّرت في ندمي عليها ... عضضت أناملي وقرعت سني

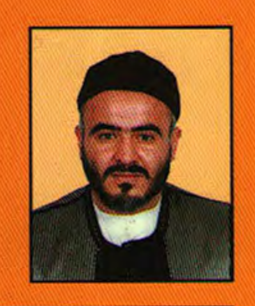
يظن الناس بي خيراً وإني لشرُّ الناس إن لم تعف عني

سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أن لا إلٰه إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

فهرس المحتويات

كتب صدرت للمؤلف:

1. السيرة النبوية : عرض وقائع وتحليل أحداث.
2. سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه.
3. سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
4. سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه.
5. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
6. سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
7. الدولة العثمانية :عوامل النهوض والسقوط.
8. فقه النصر و التمكين في القرآن الكريم.
9. تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.
10. تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.
11. عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.
12. الوسطية في القرآن الكريم.
13. الدولة الأموية، عوامل الإزدهار والإنهيار.
14. معاوية بن أبي سفيان.
15. عمر بن عبد العزيز.
16. عصر الدولة الزنكية.
17. دولة السلاجقة.
18. الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.
19. الشيخ عبد القادر الجيلاني.
20. حقيقة الخلاف بين الصحابة.
21. صلاح الدين الأيوبي.
22. إستراتيجية شاملة لمناصرة الرسول صلى الله عليه وسلم.
23. الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.
24. الأيوبيون بعد صلاح الدين.
25. المشروع المغولي عوامل الإنتشار وتداعيات الإنكسار.
26. الشورى في الإسلام.
27. السلطان محمد الفاتح.
28. الإيمان بالله جل جلاله.
29. الإيمان باليوم الأخر.
30. الإيمان بالقدر.
31. الإيمان بالملائكة.
32. الإيمان بالقرآن والكتب السماوية.
33. الإيمان بالرسل والرسالات.



الدكتور علي محمد محمد الصلابي

الإيمان بالله جل جلاله هو الركن الأول من سلسلة أركان الإيمان. الله الخالق العظيم، الرازق الكريم، الفعّال لما يريد، الكريم المنان، الواسع العليم، الذي جمع في هذا الوجود بين الكمال والجمال، وعنصر الجمال في هذا الكون مقصود قصدًا، جمال مقصود وكمال بلا حدود، فرؤية الجمال على حقيقته لا تكون إلا حينما ينظر القلب بنور الله، فتتكشف له الأشياء عن جواهرها الجميلة وروائعها البديعة، ويتذكر الله كلما وقعت عينه أو حسه على شيء بديع فيحسن الصلة، ويشعر بالترابط بين المبدع وما أبدع، والجميل وما جمّل، والمحسن وما أحسن.

ومن خلال بديع وعظمة خلق الله سبحانه وتعالى، يشعر الإنسان بصغر نفسه وحاجته لعفو الله وكرمه، وطلب رضاه، والإيمان بملائكته الكرام وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان والرضى بقدره جلّ وعلا.




ISBN 9953-85-209-X
9 789953 852096 90000>